الفِرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات

عبد المجيد همو

قرؤوا فوصلوا
لنقرأ حتّى نصل

الطَّبعة الأولى
2003 م
الطَّبعة الثَّانية
تمُّوز 2004 م
جمادى الأولى 1425 هـ

مُوافقة وزارة الإعلام: 71241 تاريخ 9 / 2 / 2002 م

الإشراف الفنّي : يزن يعقوب
التّدقيق والمُراجعة: إسماعيل الكردي

الكتاب : الفرَق والمذاهب اليهوديَّة
مُنذُ البدايات
تأليف: عبد المجيد همُّو

النَّاشر : الأوائل للنَّشر والتَّوزيع
سُوريَّة . دمشق الإدارة : ص . ب 3397
هاتف : 2233013 11 00963
الفاكس : 2460063 11 00963
البريد الإلكتروني : alawael@scs-net.org

التَّوزيع : دمشق ص . ب 10181
هاتف : 2248255 11 00963
البريد الإلكتروني: alawael@daralawael.com
جوّال : 411550 93 00963
418181 93 00963

موقع الدَّار على الإنترنت :
www.daralawael.com

عبد المجيد همو

الفِرَقُ والمذاهب اليهودية منذ البدايات

مراجعة وتدقيـــق
إسمـــاعيـــل الكـــردي

الأوائل

الفهرس

الإهداء

إلى الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم، نبي هذه الأمة
ورسولها، وهاديها ومُبَشِّرها إلى صراط مستقيم،
والقائل: انقسمت اليهودية إلى سبعين فِرْقَة،
وهو الذي أقرّ بانقسام اليهودية إلى فِرَقِهَا،
وعرف انقسامها واختلافها.
إلى الرسول الذي عاهد يهود يثرب، فخانوه، وغدروا به،
فَهَجَّرَهُم، وأعاد إلى الأمة العربية صفاءها.
إلى الرسول الكريم عيسى بن مريم الذي كشف زيف اليهود،
فتآمروا عليه، عسى أنْ ينهض أتباعه في الشرق والغرب ضدَّ
اليهودية الحاقدة الخبيثة.
إلى الفاروق الكريم الذي أمرَ بطرد اليهود من الجزيرة العربية إلى
غير رجعة بإذن الله.
إلى الإمام علي بن أبي طالب الذي فتح خيبر وحصونها بسيفه.
إلى الأرواح الطاهرة من بقية الصحابة،
الذين عرفوا سرّ اليهودية وخداعها.
أقدم هذا الكتاب علّ حكامنا العرب والمسلمين أنْ يستفيقوا
وينتبهوا إلى خطر الصهيونية الحديثة.

تنويهٌ هامٌّ

من أجل تواصُل أكثر مع السَّادة القُرَّاء ، فقد خَصَّصْنَا آخر (32) صفحة من هذا الكتاب لمنشورات الدَّار ؛ حيثُ يجد السَّادة القُرَّاء قائمة بمنشورات الدَّار ، ولمحة إلى كُلِّ كتاب أصدرتْهُ الدَّار .

هذه القائمة تُعطي انطباعاً عامَّاً عمَّا تنشُرُهُ الدَّار من آراء ، كما تُعطي لمحةً عامَّةً إلى الخطِّ الذي تنتهجُه الدَّار ، وهذا - بلا شَكٍّ - سيجعل التَّواصُل أسرع وأقرب وأصدق.

فنرجُو من السَّادة القُرَّاء قراءة هذه الصَّفحات بتأنٍّ وتدبُّر ، ونرجُو مُراسلتنا بمُلاحظاتكُم واستفساراتكُم عن الكُتُب التي تنشُرُها دارُ الأوائل .

مقدمة

لا أعتقد أنني أستطيع أنْ أوفي هذا البحث، وأن أجمع الفرق اليهودية كلها كاملة، لأن الحديث النبوي منذ ما يزيد عن 1400 عام حدّد آنذاك الفرق اليهودية بعدد 70 فرقة. ومن المعلوم - والبدهي - أن هذا العدد قد ازداد بطول الزمن واختلاف الحاخامات، وإنما سأبيّن أهم الفرق اليهودية التي ظلت حتى عصرنا الحالي وبعض الفرق الشهيرة حتى لو بادت - أو كادت تبيد -.

إنني في دراستي هذه سأحاول قدر الإمكان أنْ أبيّن قُرب هذه الفرقة أو بعدها عن العهد القديم، وما أهم تعاليمها، وهل هي تابعه للعزير، وخاصة فيما يدعونه بالتعاليم الشفهية التلمودية، أو تمسكها بالنص الذي ورد فيما يُدعى بأسفار موسى والعهد القديم.

إننا في هذه الحالة يجب أنْ نتطرق إلى أن الكتاب المقدس العهد القديم يتألف من جذرين رئيسيين خلافاً للباحثين الآخرين:

1 - **الجذر الأول:** ما يُنسب إلى موسى، وهي الأسفار التالية:

أ - سفر التكوين.

ب - سفر الخروج.

ج - سفر العدد.

د - سفر اللاويين.

هـ - سفر التثنية.

هذه الكتب يؤكد اليهود بالإجماع أنها شريعة موسى.

2 ـ **الجذر الثاني**: وهي الكتب التاريخية وكتب الحكمة، والأنبياء الكبار والصغار بأنها لا ترقى على موسى بصلة، مع إيمانهم بأنها كتب موحى إليها كتبها مَنْ كتبها، والخلاف في كاتبها وزمنها كبير وواضح.

لا أريد أنْ أناقش في هذا الكتاب عن صدق التوراة أو كذبها، وهل هي حقاً كتاب مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أم هو كتاب زُوِّر فيه كل شيء تاريخه وجغرافيته ودينه ولغته؟ فقد بحثتُ هذا بشكل مستفيض في كتابي (التوراة تحريف وتزوير) بأجزائه التسعة.

وإنما سأناقش هذه الفرق التي تشعبت وهي على خلافها وتشعبها إنما تقاتل في النهاية تحت راية واحدة كلها تؤمن بيهوه؛ هذا الإله الذي نصّبه لهم عزرا، وسلّطه على رقاب البشرية، وجعله سيفاً بتاراً. إنه إله مجرم، صورة جيدة عن اليهودي بأخلاقه، وقد ناقشتُ هذا الإله في كتابي (الله أم يهوه؟ أيهما إله اليهود؟).

وأنا حينما أسلّط الضوء على هذه الفرق أحبُّ أنْ أنبّه إلى خطر هذه الفرق كلها على البشرية دون استثناء، وذلك ما دامت تؤمن بهذا الكتاب شريعة ومنهاجاً، فإذا وفقتُ إلى ذلك كان ما أملتُ، وإلا فلي العذر أني حاولتُ، وقد يخطئ الرامي، ويخفق الرأي السديد، وعلى الله الاتكال.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المائدة: 18.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الجمعة: 6، 7.

صدق الله العظيم

المؤلف

الباب الأول:

فِرَقُ ما قبل الإسلام

الفصل الأول :

نشوء اليهودية وانقسامها.

هل وجدت اليهودية في فلسطين؟ وهل قامت دولة إسرائيل في فلسطين؟.

الفصل الثاني :

انقسام اليهودية وفرقها في زمن عزرا وبعده بقليل.

1 ـ اليهودية ومتى ظهرت ؟.

2 ـ السامرية.

3 ـ التأثر بالفكر اليوناني: الفرقة الصدوقية .

الفصل الثالث :

ارتدادات اليهودية .

1 ـ الحيديون .

2 ـ الفريسيون .

3 ـ الأسنيون .

4 ـ الغنوصيون.

الفصل الرابع :

الإيمان بالنص التوراتي والشفوفي .

1 ـ الكَتَبَةُ .

2 ـ المسورون .

3 ـ المتعصبون .

4 ـ الربانيون .

5 ـ التلموديون .

6 ـ الناموسيون .

نشوء اليهود وانقسامها

يدعي علماء اليهود بالإجماع أنهم يتبعون ديانة موسى عليه السلام، ولكنهم - مع ذلك - يرون في موسى وأخيه هارون أنهما خانا الرب، وخالفا معلوماته وأوامره، ولهذا، لم يدخلا فلسطين ضمن مَنْ دخلوها.

وقد اتهم كثير من الناس والباحثين أن بني إسرائيل قد قتلوا موسى، وتخلصوا منه، وبنوا ديانتهم - بعد ذلك - حسبما رأوه مناسباً لهم.

ولكني لا أرى ذلك للأسباب التالية:

أ - مال فرويد ومَنْ معه إلى وجود شخصيتين اسمهما موسى؛ موسى المصري الذي كان قائداً عند أخناتون في الحبشة يُمَهِّدُ لدعوته ودينه في جيش كبير، حتى إذا ما قام انقلاب على أخناتون ارتدَّ موسى عن بلاد الحبشة ليقاوم الانقلاب، ولكنه لم ينجح في هذا، فآثر أن ينسحب من مصر، فسار إلى سيناء ومعه جموع مؤلَّفة من فريقين: جيش مصري وأحباش وهما الفريقان الرئيسيان، وفي سيناء انضم إليه موسى المديني في جموع بني إسرائيل، فكوّنوا معاً جيشاً كبيراً، وفي قادش برينع - كما يقول فرويد - قُتل موسى المصري، واستلم موسى المديني الذي ثار على ديانة موسى وأخناتون، وألّف الديانة اليهودية، وقد كان الفريق القوي في هذه الدعوة الأحباش، وهذا ما أكّده فرويد في كتابه «موسى والتوحيد» وحسن حدّة في كتابه «موسى والتوراة» كما مال إلى هذا الرأي، وإنْ لم يؤكّده الباحث العربي الشهير أحمد سوسة.

ب - العلماء المسلمون الذين ساروا وراء التوراة - وخاصة وراء تفسير الإسرائيليات - رأوا في الديانة اليهودية ديانة سماوية نزلت على موسى - عليه السلام - وبشَّر بها، وقد ظل مَنْ يعتقد أنه يتبع آراء موسى يُسمّى باليهودي حتى يومنا هذا.

ولهذا، فالديانة اليهودية ديانة سماوية نزلت على موسى، وهي كالديانة النصرانية أو الإسلامية مصدرها الوحي الإلهي، ولكن التحريف الذي أصاب التوراة من قبل كَتَبَتِهَا والدسّ فيها قد أفسدها، ولا أرى هذا.

جـ - يحاول اليهود أن يتخطوا موسى - عليه السلام - إلى إبراهيم عليه السلام، بل إنهم يصلون في دعوتهم إلى نوح وآدم، ويرون أنهم أصحاب أول رسالة سماوية نزلت إلى الأرض، فهم أصحاب الدِّين الأول، وكل ما أنزل الله من الديانات بعد ذلك فهي مأخوذة من هذا الدِّين الذي خلقه الله قبل أن يخلق آدم بـ/ 22/ قرناً، وهذا عمر التوراة التي أشاروا إلى وجودها منذ ذلك العصر.

د - كيف يسيرون وراء شخصية ادعوا أنها خانت الرب، ومنعته من دخول فلسطين مع مَنْ دخلوا، حتى أنهم فضّلوا يشوع بن نون عليه؟ وهذا ما أشار إليه الكتاب المقدس (العهد القديم) « وكلّم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً: اصعد إلى جبل عبارئيم، هذا جبل نبو الذي في أرض موآب، الذي قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيتُها لبني إسرائيل ملكاً، ومُتْ في الجبل الذي تصعد إليه، وانضم إلى قومك كما مات أخوك في جبل هو، وانضم إلى قومه، لأنكما خنتماني في وسط إسرائيل عند ماء مريبة قادش في برية صين، إذ لم تقدساني في وسط إسرائيل، فإنك تنظر الأرض من قبالتها، ولكنك لا تدخل إلى هناك، إلى الأرض التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل » تثنيه 32/ 48 - 52/ .

فهل تكون اليهودية ديناً لنبي خان ربه، وغضب عليه هذا الغضب، و منعه من دخول فلسطين على حَدِّ زعم كَتَبَه التوراة؟ ودخلها يشوع؛ هذا الرجل الذي هو من جبل موسى، ولكن يهوه ظل غاضباً على موسى، ورضي على يشوع، ولا أريد أنْ أناقش تناقض التوراة الآن في قصة موسى، وإنما أريد أنْ أنبِّه أن الأسفار الأخرى لم تشر إشارة صريحة إلى خيانة موسى للرب.

هـ - الديانة اليهودية ليست ديانة سماوية:

هذه الفكرة ناقشتُها في كتابَي جذور اليهود أمام النقد التاريخي، وهل اليهودية ديانة سماوية؟ وقلتُ ما ملخصه:

1 ـ ليست الديانة اليهودية سماوية، لأنها ليست ديانة موسى عليه السلام، وإنما هي ديانة العزير بدلالة القرآن الكريم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ ولو كان موسى ـ عليه السلام ـ هو صاحب الديانة اليهودية لقالوا: موسى ابن الله.

2 ـ لا تؤمن اليهودية بالكتب السماوية السابقة التي أُنزلت على نوح وإبراهيم وشيث.

3 ـ لا تؤمن اليهودية بيوم بعث، ولا بقيامة الأموات، ولا بجنة ولا نار، وجزاؤها مادي دنيوي، وعقابها مادي دنيوي.

4 ـ سمات الإله التي تؤمن بها اليهودية تختلف عن سمات الله سبحانه وتعالى، وأستطيع أنْ ألخصها بما يلي:

أ ـ الإله إله قبلي، فلإسرائيل إله يختلف عن آلهة بقية الأمم، ولكل أمة إله، ويستطيع القارئ للكتاب أنْ يلحظ هذا بشكل واضح، وسأسوق مثالاً واحداً على ذلك، فخير القلادة ما أحاط بالعنق.

« فالآن يا إسرائيل، ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أنْ تتقي الرب إلهك، لتسلك في كل طرقه، وتحبه، وتعبد الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التي أنا أوصيكَ بها اليوم لخيرك، هوذا للرب إلهك السموات وسماء السموات والأرض وكل ما فيها، ولكنَّ الرب إنما التصق بآبائك ليحبهم، فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب كما في هذا اليوم» تثنيه 10/ 12 ـ 15/ .

هذا الإله عنصري عرقي فهو يحب بني إسرائيل، وهو خاص بهم، يغفر لهم خطاياهم مهما فعلوا، وهو ليس إله الشعوب الأخرى.

ب ـ ليس الإله الذي يعبدونه إله الكون، ولا إله الشعوب الأخرى، فالإله ليس للعالم، وإنما هو إله قوي لشعب قوي كما يُصوِّرونه في التوراة، بينما يمتاز الدِّين النصراني والدِّين الإسلامي بأن الله رب العالمين، رب الأمم كلهم.

جـ ـ الإله جاهل، ولا يريد لعباده أنْ يكونوا متعلمين، خُذْ حادثة آدم في الجنة، وكيف طرده يهوه من الجنة « وقال الرب: هوذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارفاً الخير والشر، والآن لعله يريده، ويأخذ من شجرة الحياة، ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب من جنة

عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها ، فطرد الإنسان ، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » تكوين 3/ 22 ـ 24/ .

بل إن جهله لا حدَّ له ، فهو لا يعلم الحسن ولا القبيح إلا بعد خلقه الشيء ، وفي الصفحات الأولى من سِفر التكوين نلحظ : ورأى أنه حسن مرات عديدة .

أما جهله فيتجلى في موقفه من آدم حينما اختبأ آدم ، وعلم أنهما عريانان :

« وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ، واختبأ وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ، فنادى الربُّ الإلهُ آدمَ ، وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعتُ صوتك في الجنة ، فخشيتُ لأني عريان ، فاختبأتُ ، فقال : مَنْ أعلمكَ أنك عريان؟ هل أكلتَ من هذه الشجرة التي أوصيتكَ أن لا تأكل منها؟ » تكوين 3/ 8 ـ 10/ .

د ـ الإله يندم على فعله ، ويمر الندم في صفحات التوراة بشكل كثير حتى إذا وصلنا إلى التلمود كان كتاب التلمود أشد وقاحة على الله ، فصوَّروا صوراً عن ندم إلههم بما لا يقبله عقل كامل ، وإليك صورة عن ندم الإله في التوراة :

« ورأى الرب أن شر الإنسان كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسف في قلبه ، فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتُهُ ، الإنسان مع البهائم وذبابات وطيور السماء لأني حزنتُ لأني عملتهم » تكوين 6/ 5 ـ 7/ .

وإليك صورة أوضح للندم في سفر صموئيل الأول حينما اختار يهوه ملكاً لإسرائيل هو الملك شاول ، ولكن اختياره كان خاطئاً ، فندم على ذلك ، وحاول نزع الملك من شاول ، ولكن هذا الاختيار السيئ قد كلَّف بني إسرائيل حروباً كثيرة لم تنته بمقتل شاول مباشرة ، وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً : ندمتُ على أني قد جعلتُ شاول ملكاً ، لأنه رجع من ورائي ، ولم يقم كلامي . صموئيل الأول 15/ 10 ـ 11/ .

هـ ـ الإله يعاقب الضعيفَ ، ويثيب القويَّ ، يهوه إله يحبُّ بني إسرائيل ، ولا يعاقبهم ، بل يثيبهم على كل ما يفعلون ، ويعاقب مَنْ يسيء إليهم ، وكأني به في مجلس الأمن في الأمم المتحدة ، وإليك بعض الأمثلة التي عاقب يهوه الأغيار لأخطاء إسرائيل :

1 ـ وحدث ـ لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات ـ أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا، فقال الرب: لايدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيفانه، هو بشر، وتكون أيامه مائة وعشرين سنة. تكوين 6/ 301/.

كيف ينجس أبناء يهوه (ومنهم اختار إسرائيل) النطفة الإلهية، فألقوها في رحم الأغيار. ولهذا، عاقب يهوه الناس في الطوفان.

2 ـ وسأله أهل المكان عن امرأته (إسحق) فقال: هي أختي، لأنه خاف أن يقول: امرأتي لعلّ أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة، لأنها كانت حسنة المنظر، وحدث إذ طالت له الأيام هناك أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر، وإذا إسحاق يلاعب امرأته رفقة، فدعا أبيمالك إسحاق وقال: إنما هي امرأتك، فكيف قلت: هي أختي؟ فقال له إسحاق: لأني قلت لعلي أموت بسببها، فقال أبيمالك: ما هذا الذي صنعتَ بنا، لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك، فجلبتَ علينا ذنباً. تكوين 26/ 7 ـ 10. كما قال إبراهيم عن سارة هي أختي.

3 ـ فأرسل أبيمالك ملك جرار، وأخذ سارة، فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل، وقال: ها أنتَ ذا ميت من أجل المرأة التي أخذتها، فإنها متزوجة ببعل، ولم يكن أبيمالك قد اقترب إليها أأمة بارة تقتل؟ ألم يقل هو لي: إنها أختي، وهي أيضاً نفسها قالت: هو أخي؟ بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلتُ هذا، فقال الله في الحلم: أنا أيضاً علمتُ أنك بسلامة قلبك فعلتَ هذا، وأنا أيضاً أمسكتك عن أنْ تخطئ إليَّ، لذلك لم أدعك تمسها. تكوين 20/ 1 ـ 6.

لاحظ معي أأمة بارة تقتل؟ أمسكتك عن أنْ تخطئ إليَّ.

والتلمود يقول: مَنْ صفع يهودياً فكأنه صفع رب العزة، وكل مَنْ يقرأ التوراة يلحظ أن اليهودي إذا أخطأ في الأغيار يُثابُ، ويُعاقَبُ الأغيارُ، وإذا ما أخطأ الأغيار يُعَاقَبُ الأغيارُ، ويثابُ اليهوديُّ، فهو إله متحيز، يكيل بمكيالين، ويعير بمعيارين.

و ـ الإله مجرم يأمر بالسرقة والإبادة، وقد أمر بني إسرائيل بسرقة حلي المصريين، وهو إله يأمر يشوع بالإبادة لأريحا، ويغضب على شاول لأنه لم يقتل ملك أجاج الكنعاني، ولن

أسترسل في هذا الباب، فَمَنْ أراد التوسع فليرجع إلى كتابي «الله أم يهوه، أيهما إله اليهود؟» وفيه فَصْلُ الخطاب.

5 ـ ليست الديانة اليهودية ديانة توحيدية، فهي لا تعبد إلهاً واحداً، ومَنْ يقرأ التوراة يلحظ وجود عدة آلهة.

أ ـ الإله إيل وقد بدأت صفحات التكوين بذكر إيل، ومن ثم وردت الأسماء غيره، ولا أستطيع أنْ أسير وراء التوراة بأن إيل بمعنى إله، وإنما الاسم إيل إنما هو اسم الله سبحانه وتعالى، ودلالتي على ذلك الأسماء الإلهية:

إسماعيل: سامع الله، إسرائيل: الساري لله، هابيل: هاب الله، جبريل: جبر الله، ولو كانت الكلمة تعني إله لكانت الكلمات تعني سامع إله، هاب إلهاً، وسرى لإله، وهذا المعنى لا تريده التوراة، ولا يقرّه القرآن الكريم.

ب ـ يهوه الإله الخاص بإسرائيل، وإسرائيل ابنه البكر حسب أقوال التوراة وادعاء كَتَبَتِهَا، وصفات يهوه تختلف تمام الاختلاف عن إيل الرحيم الغفار، وقد عددتُ بعض صفات يهوه في خلال صفات إله اليهود.

جـ ـ هنالك العجل الذي صنعوه من الذهب، وعبدوه في زمن هارون وموسى.

د ـ هنالك الحية التي وردت في زمن موسى.

هـ ـ هنالك عشتار وأدونيس وبعل وتموز، وهي آلهة متعددة.

هذه الديانة لا يمكن أنْ تكون ديانة توحيدية في شكل من الأشكال، وبالأحرى أستطيع أنْ أقول: إن الديانة اليهودية لا ترقى إلى مستوى الديانة السماوية التي نادى بها آدم، وظلت متتابعة، وانتهت في القرآن الكريم رسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

نشأت هذه الديانة التي تُدعى باليهودية على يد كاتب شريعة السماء كما يدَّعون عزرا، أو ما يسميه القرآن الكريم العزير.

كتب توراته ـ التي هي بين أيدينا ـ فإذا بها تختلف في نصوصها، لأنها استُمدَّت من مصادر عديدة حسب رأي نقاد التوراة، مصدر إيلي، مصدر يهوي، مصدر كهنوتي، مصدر

تثنوي، وقد أعدتُ التوراة إلى مصادرها من مصر وكنعان وبابل وأوغاريت والفرس والهند كما أن فيها بقايا من كتاب موسى عليه السلام.

والتوراة التي بين أيدينا تختلف تمام الاختلاف عن التوراة التي كانت لموسى عليه السلام، وتعاليم عزرا تخالف تماماً ما كُتب في الأسفار التي نُسبت إلى موسى.

وإليك نقطة مهمة من هذه الخلافات:

فقام عزرا الكاهن، وقال لهم: إنكم قد خنتم، واتخذتم نساءً غريبة، لتزيدوا على إثم إسرائيل، فاعترفوا الآن للرب؛ إله آبائكم، واعملوا مرضاته، وانفصلوا عن شعوب الأرض، وعن النساء الغريبة، فأجاب كل الجماعة، وقالوا بصوت عظيم: كما كلمتنا كذلك نعمل. عزرا **10/ 10 - 11**.

هذه الدعوة نراها تخالف ما جاء في الكتب المنسوبة لموسى، وإليك بعض النقاط:

1 - يهوذا تزوج ابنة رجل كنعاني اسمه شوع فأخذها، ودخل عليها.

2 - عيسو تزوج يهوديت بنة بيري الحثي، وبسمة بنة أيلون الحثي.

3 - بوعز تزوج راعوث المؤابية.

4 - يوسف تزوج المرأة المصرية، وأولدها منسى وأفرايم.

5 - تزوج موسى امرأة من مدين صفورة، وتزوج امرأة كوشية.

6 - تزوج سليمان عدة نساء صيدونيات، وكنعانيات، وحثيات، وابنة فرعون، هذه بعض الزيجات التوراتية، فكيف يطلب عزرا طلاق النساء غير اليهوديات...؟.

هذا الطلب كان سبباً في انشقاق اليهود إلى فرقتين سنبحثهما فيما بعد.

ولو أردتُ أن أحلِّلَ أسباب انقسام اليهودية إلى فرقها لكان لنا في ذلك عدة مذاهب:

أ - **مذاهب سياسية**: فقد انقسمت دولة إسرائيل - حسب رأي التوراة - إلى إسرائيل، ويهودا، وكُلٌّ منهما شكَّل مذهباً خاصاً، فقد كانت دولة إسرائيل تعبد إله إيل كما تدّعي التوراة، ومالت عن عبادة إيل إلى عبادة البعل والعجول، ارجع إلى سِفر أخبار الأيام. بينما

عَبَدَتْ دولة يهوذا ـ حسب رأي التوراة ـ يهوه إلهاً آخر، وقد جمع بين هذين المذهبين في تقليدين توراتيين الإيلي واليهوي.

ب ـ **مذاهب فقهية**: الصدوقية والفريسية.

جـ ـ **مذاهب مؤمنة بالتوراة فقط**، وآخرون يؤمنون بكتب أخرى كالتلمود.

وسنبحث بشكل مفصَّل في كُلٍّ مذهب من هذه المذاهب، أو في الفِرَقِ التي نتجت عن هذه المذاهب الواحدة تلو الأخرى.

هل وُجدت اليهودية في فلسطين؟
وهل قامت دولة إسرائيل في فلسطين؟

خير كتاب قرأتُهُ في هذا المجال: «اختلاق إسرائيل القديمة وإسكات التاريخ الفلسطيني» وأستطيع أن أناقش ذلك بشكل ملخص لأنتهي إلى النقطة التي أريدها.

أ ـ وُجدت إسرائيل في نهاية العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي، وهذا يقابل **1200** ق.م، ولكن الآثار التي وُجدت في فلسطين كلها لم تتغير عن الآثار التي كانت موجودة في العصر البرونزي مما يدلُّ على أنْ لا وجود لغزو واستيطان إسرائيليين في تلك الفترة.

ب ـ إن لوحة مرنفتاح ـ التي وُجدت في مصر ـ ورد فيها إسرائيل، والنص: لقد دَمَّرْتُ إسرائيل، ولم أبقِ لها بذاراً.

وقد حاول الكاتب الأمريكي وايتلام أن يستخلص من أقوال المؤرخين الآخرين أن إسرائيل هذه غير إسرائيل التي وردت في التوراة.. ولكنْ؛ تظل مسألة الربط الواضح وغير المشكوك فيه بين الكيان المذكور في لوح مرنفتاح الحجري وبين إسرائيل التوراتية كما يراها بيسمون بحاجة إلى إثبات، فالمعلومات الوحيدة الواضحة التي يوفرها هذا اللوح الحجري المنقوش هي أن كياناً ما يُدعى إسرائيل كان جيش الفرعون قد واجهه في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد: ولكنَّ هذا لا يُثبتُ ـ أو ينفي ـ أن إسرائيل كانت تنظيماً قبلياً أو مساحة جغرافية[1]..!..

ورغم أن الكُتّاب قد شرَّقوا في النص، وغرَّبوا، ورأوا فيه إثباتاً لوجود إسرائيل، فإنني أرى في هذا النص أنه قد حُرِّفَ كما حُرِّفت النصوص الأخرى.

1 ـ إن ورود كلمة إسرائيل في مسلّة مرنفتاح في سلسلة المدن التي افتتحها مرنفتاح في فلسطين، لهي تدل دلالة واضحة على أن الكلمة لا تعني قوماً أو شعباً على الإطلاق، وإنما تدل على اسم مدينة أو سهل أو ما شابه ذلك.

---

(1) اختلاق إسرائيل القديمة، ص 319، كيث وايتلام.

2 ـ لا يمكن أن يكون مرنفتاح فرعون الخروج ـ حسب رأي المؤرخين ـ وهو الذي غرق في البحر ـ حسب الرأي التوراتي ـ ومن ثم يكون هو المنتصر على إسرائيل.

3 ـ لا يمكن أن يكون 1220 ق. م ـ وهي السنة التي مات فيها مرنفتاح ـ نصراً على إسرائيل نصراً كاملاً، فقد كانت إسرائيل ـ حسب الرأي التوراتي ـ تعيش متفرقة في صحراء سيناء، فقد ظل بنو إسرائيل في التيه مدة / 40/ سنة، فكيف يكون مرنفتاح فرعون الخروج؟ وكيف يكون المنتصر على إسرائيل؟ وكيف سكن بنو إسرائيل فلسطين، وقضى مرنفتاح عليهم؟

أسئلة لابُدَّ من الإجابة عليها، وكل سؤال سيؤدي إلى خلق مشكلة أمام الجواب الثاني.

4 ـ تحريف جماعة الآثار لهذه القراءة، فهي كلمة يزرعئيل، وهو السهل الذي ورد في سفر الملوك على أنه السهل الساحلي لفلسطين، وهو المسمّى سهل مرج ابن عامر. وفي هذا لا يمكن أن يكون اسم إسرائيل المحرَّف عن يزرعئيل إلا اسماً لسهل، ولا يثبت وجود إسرائيل في فلسطين في تلك الأيام.

جـ ـ إن اللقى الأثرية التي احتج بها بعض مَنْ يريد إثبات وجود إسرائيل في فلسطين ليست بحجة كافية، فقد وُجدت التماثيل التي لا تعترف بها إسرائيل واليهودية كآلهة الخصب وبعل والعبادات الكنعانية، ولم نجد أثراً واحداً يثبت وجود معبد يهودي كما وصفته التوراة. حتى أن هيكل سليمان لم يثبت له وجود في فترة سليمان وداود على الإطلاق.

بدأت اليهودية في الأسر على يد عزرا كما قلتُ، وفي أيام الدولة الفارسية وُلد عزرا 458 ق. م، وتوفي 392، وفي أيام أرتحششتا الفارسي بدأ تسلل اليهود إلى فلسطين، وفي أيامه صار الحكم اليهودي الفلسطيني تحت الحراب الأخمينية، وفي ذلك العهد انقسم اليهود إلى سامرة ويهود كما يدّعي كتابهم المقدس.

فوجود اليهودية في فلسطين مقترن بفترة بعد الأسر، وكذلك قيام الهيكل والآثار التي وجدها الباحثون اليهود والأمريكان معاً قبل هذه الفترة لا دليل فيها على الإطلاق. بوجود إسرائيل أو اليهود في فلسطين على الإطلاق، وكل انقسام بين الفِرق اليهودية قبل ذلك ليس إلا متابعة لادعاء اليهود أن ديانتهم قديمة، وأنهم كانوا موجودين منذ إبراهيم الخليل عليه السلام، أو ما قبله، ولهذا، فإبراهيم واحد منهم، وهذا ما جرَّ كثيراً من الكُتَّاب والباحثين إلى

الوقوع في هذه المصيدة، وخير مثال على ذلك الكاتب والباحث المصري محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني:

«إن الأصل في تكوّن اليهود أنهم كانوا قبائل متفرقة يسكنون شرق الفرات، ثم هاجروا تحت زعامة إبراهيم عليه السلام كما قال الرب: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريكَ، فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة... وما زالوا يتنقلون حتى أتوا إلى أرض كنعان المعروفة باسم فلسطين، وكانت خالية، وعاشوا بها عيشة البادية، وكانوا يرتادون مساقط الماء، ويرعون غنمهم، ويلتمسون رزقهم»[1].

لا أعتقد أن كاتباً يهودياً أراد أن يكتب يستطيع أن يُوطِّد للعهد القديم واليهودية كما فعل الكاتب، ولي على هذا النص النقاط الآتية:

أ ـ نَسَبَ اليهودية إلى القدم، فهي أقدم من إبراهيم الخليل عليه السلام.

ب ـ جعل إبراهيم الخليل يهودياً، وهذا ما نفاه القرآن الكريم، وأي قارئ للقرآن الكريم سيرى الآيات التي تدل على ذلك: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

ولن أتطرق إلى الآيات كلها، فهذا ليس مجالنا.

جـ ـ جعلهم يفدون إلى أرض كنعان (إبراهيم ويعقوب) والأرض خالية، فكيف سُمّيت أرض كنعان؟ وكيف كانت خالية؟ أليست هذه الجملة هي تأكيد أرض بلا شعب لشعب دون أرض؟.

هذه المقولة تُردِّدُها ألسنة اليهود والصهاينة ومَنْ والاهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن جماعة الصهاينة يحاولون أن يدخلوا تاريخ فلسطين ضمن التاريخ الإسرائيلي، لا تاريخ إسرائيل ضمن التاريخ الفلسطيني.

---

(1) محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني، الدِّين المقارن، ص116.

إنني حينما طالعتُ العهدَ القديمَ لم أجد كلمة يهودية أو ما يشير إلى الدِّين اليـهودي قبـل سفر عزرا الذي كتب التوراة الحالية التي بين أيدينا ، وقد نشأت الديانة اليهودية على يديه كَما أسلفتُ .

ولهذا ، فأي مذهب أو فرقة من فرق اليهود لن تتعدى في الزمن القرن الخامس ق . م ، وعلى هذا الأساس يمكننا بحث الفِرَق اليهودية .

الفصل الثاني

انقسام اليهودية وفرقها في زمن عزرا وبعده بقليل

1 ـ اليهودية ومتى ظهرت؟

2 ـ السامرية.

3 ـ التأثر بالفكر اليوناني: الفرقة الصدوقية.

1 ـ اليهودية ومتى ظهرت؟

لقد أُسِرَ بنو إسرائيل ـ حسب ادعاء توراتهم ـ على يدي الملك البابلي نبوخذ نصر.

كان يهوياكين (ياكين) ابن ثماني سنين حين مَلَكَ، ومَلَكَ ثلاثة أشهر وعشرة أيام في أورشليم، وعمل الشر في عيني الرب، وعند رجوع السنة أرسل الملك نبوخذ نصر، فأُتي به إلى بابل مع آنية بيت الرب الثمينة وملك صدقيا أخاه يهوذا وأورشليم، وكان صدقيا ابن إحدى وعشرين سنة حين مَلَكَ، ومَلَكَ إحدى عشر سنة في أورشليم، وعمل الشر في عيني الرب إلهه، ولم يتواضع أمام إرميا النبي من عند الرب، وتمرد أيضاً على الملك بنوخذ نصر الذي حلفه بالله، وصلب عنقه، وقوى قلبه عن الرجوع إلى الرب إله إسرائيل، حتى إن جميع رؤساء الكنهة والشعب أكثروا الخيانة حسب رجاسات الأمم، ونجسوا بيت الرب الذي قدَّسه في أورشليم، فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله مبكراً ومرسلاً لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه، فكانوا يهزؤون برسل الله، ورذلوا كلامه، وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء. فأصعد عليهم ملك الكلدانيين، فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم، ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب، بل دفع الجميع ليده، وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك

ورؤسائه، أتى بهم جميعاً إلى بابل، وأحرقوا بيت الله، وهدموا سور أورشليم، وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل، فكانوا له ولبنيه عبيداً إلى أن مَلَكَتْ مملكة فارس. أخبار الأيام الثاني 36/ 9 ـ 20/ .

أقف أمام هذا النص قليلاً لأُبدي بعض الملاحظات:

1 ـ كيف مَلَكَ يهوياكين وعمره ثماني سنين وأخوه صدقيا ابن عشرين عاماً؟

2 ـ حذرهم إرميا ـ حسب سِفر إرميا ـ لكنَّ نصحه لم يُجْدِ فقد خانوا ـ كما قالوا ـ الله سبحانه وتعالى رسله وأنبياءه حسَب النص الوارد في سِفر إرميا. وبهذا، لم يعد لرسالة موسى أي أثر.

3 ـ إن بختنصر ـ حسب ادعاء كَتَبَة التوراة ـ قد أحرق بيت الله وفيه كتاب التوراة، ولهذا، قد أُحرقت نسخة التوراة، ولم يبق لها أَي أثر بعد ذلك.

4 ـ أحرق بختنصر جميع القادة المختارين والكهنة المختارين ما عدا إرميا الذي ظل في أورشليم يعظ الناس المتبقين بعد الأسر، ولهذا، لم يبق من الكهنة أحد يستطيع هؤلاء الاعتماد عليهم في كتابة التوراة من جديد، ولم يحفظ التوراة أحد.

5 ـ إن وجود مملكة فارس ـ التي أتت بعد سقوط أورشليم بخمسين سنة ـ قد أحيت الآمال لدى المسبيين بالعودة.

ولكنْ؛ لكل شيء ثمن، ومن هنا بدأت الدعوة إلى قيام تكتل جديد من الأسرى ضدّ الدولة البابلية، وكان هذا التكتل بداية تشكيل الدِّين اليهودي.

اجتمع بقية أحبار بني إسرائيل وهم يدينون بالإله إيل، الإله الذي أنزل الرسالة على إبراهيم ويعقوب وإسحاق وإسماعيل وموسى وهرون، وكتبوا ما يحفظونه من التوراة. وبهذا، شُكِّلَ التيار الإيلي، والتيار الإيلي هو التيار الذي يؤمن بالإله إيل، ومَنْ يقرأ التوراة يلحظ أن التيار الإيلي واضح فيها وضوح الشمس، واسمع هذا النص الإيلي الوارد في التوراة:

وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر، فتختتنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم. تكوين 17/ 9/ 11.

ولو أراد باحث متخصص أن يُخرج النصوص الإيلية لاستطاع، وهذه النصوص كلها تؤمن بالله (إيل)، وهذه النصوص فيها نفحة موسوية من كتاب موسى، ولكنْ؛ ليس النص الموسوي بذاته، وإنما لم يكونوا يحفظون التوراة، فقد نصت التوراة على عدم حفظها إلا في إصحاح واحد ورد في سِفر التثنية، إذا صحَّ سفر التثنية من الكتب التي نزلت على موسى. ولهذا الكتاب تقليد خاص، وقد ورد الإصحاح الثاني والثلاثون كله، فقد قال موسى في الإصحاح الذي قبله:

فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين جامعي تابوت العهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم، ليكون هناك شاهداً عليكم، لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة، هوذا وأنا بَعْدُ حي معكم اليوم، قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي، اجمعوا إلي كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم، لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات، وأشهد عليهم السماء والأرض، لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به، ويصيبكم الشر في آخر الأيام، لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم، فنطق موسى في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه. تثنية **31/ 24 ـ 30/** .

ويأتي بعد ذلك الإصحاح الثاني والثلاثون وهو المطلوب حفظه، وهذا الإصحاح تاريخ كتاب التثنية كما تقول التوراة.

إنه ظل غائباً مفقوداً حتى أيام يوشيا، وفي عهده وُجد مكتوباً بين القضة، وجده حلقيا الكاهن. وإليك بعض ملامح التيار الإيلوهي:

1 ـ الله في هذا التيار يُسمى إيلوهيم، فهم يعبدون الإله إيل.

2 ـ نصه أقل حيوية وواقعية، فهو نص مجرد.

3 ـ يتجنب الإيلي وجوه التشبيه عن الله، فالله ليس كالإنسان ولا شبيهاً به، وهو إله لا يُدرَك، يتجلّى بواسطة الأحلام، وحين يتكلم بنفسه يكون ذلك أثناء تجليات أو ترائيات ساطعة، ولا يمكن تصوير الإله.

4 ـ الإيلي كثير الاهتمام بالمسائل الأخلاقية، وشعوره بالخطيئة يدفعه إلى الابتعاد عنها، فهو يشرح على سبيل المثال: أن إبراهيم لم يكذب، ولم يقل إن سارة أخته، والشريعة التي نزلت على موسى هي شريعة أخلاقية أكثر مما شريعة طقوس.

5 ـ العبادة الصحيحة هي الطاعة لله واحترام العهد، ورجال الله الحقيقيون ليسوا الملك أو الكهنة، بل الأنبياء وإبراهيم وموسى..

هذا التيار الإيلي التقى تياراً آخر هو التيار اليهوي، فمن أين أتى هذا التيار؟.

عاش جماعة هذا التيار تحت الحكم الفارسي ردحاً من الزمن، وقد تأثروا في ديانة مزدك الفارسية، ولهذا، عَظَّم هذا التيارُ الحكمَ الفارسيَّ، فاسمع ما يقوله أشعيا عن كورش الحاكم الفارسي الذي أسقط حكم بابل:

القائل عن كورش راعيَّ، فكلَّ مسرتي يتمم، ويقول عن أورشليم ستبني وللهيكل ستؤسس. هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه، لأدوس أمامه أمماً، وأحقاء ملوك أحُل، لأفتح أمامه المصراعين، والأبواب لا تُغلق، أنا أسير قدامك، والهضاب أمهد، أكسر مصراعي النحاس، ومغاليقَ الحديد أقصف، وأعطيك ذخائر الظلمة، وكنوز المخابئ، لكي تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك إله إسرائيل، لأجل عبدي يعقوب وإسرائيل مختاري دعوتُكَ باسمك لقيتكَ وأنت لستَ تعرفني. أشعياء: 44/ 28 و 45/ 1 ـ 4/ .

وفي هذا النص يردّ مصور النور، وخالق الظلمة، صانع السلام، وخالق الشر مما يتبين الأثر الفارسي في الديانة اليهودية، وإذا ما عرفنا أن الإصحاحات الأخيرة من سفر أشعيا قد كُتبت في عصر متأخر عن أشعيا عرفنا أن الفكر الفارسي قد أثّر تأثيراً كبيراً في الفكر اليهودي.

إذن، باستطاعتنا أن نقول: إن الأحبار الذين تآمروا مع فارس ضدّ بابل، وفتحوا أبواب بابل أمام كورش، ما كان منهم إرضاء للعاهل الفارسي وللفكر الفارسي أن أخذوا منه الإله، وإذا ما عرفنا أن إله الخير لدى الفرس يُسمّى أهورا مزدا والإلهة ياهي، فصاغوا من الاسمين اسماً واحداً (يهوه) وحتى تنطلي الحيلة على التيار الأول الإيلي وضعوا النص على لسان موسى على النحو التالي:

وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبني إسرائيل : يهوه إله آبائكم ، إله إبراهيم ، وإله إسحق ، وإله يعقوب ، أرسلني إليكم ، هذا اسمي إلى الأبد ، وهذا ذكري إلى دور فدور .

وقد ورد قبل ذلك سؤال موسى للإله : فقال موسى لله : ها أنا ذا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلني إليكم ، فإذا قالوا : ما اسمه ، فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى : أَهْيَه الذي أَهْيَه ، وقال : هكذا تقول لبني إسرائيل : أَهْيَه أرسلني إليكم . خروج 3/ 13 ـ 14/ .

وترجمة أَهْيَه الذي أَهْيَه أكون مَنْ أكون ، وبجرة قلم تحوَّل من أكون مَنْ أكون إلى اسم علم يهوه ، وبدأ التيار اليهوي بالسيطرة على التيار الإيلي ، وبدأ يهوه هذا الإله المجرم السفاح الشاذ الذي لا أخلاق له بالسيطرة على التيار الإيلي شيئاً فشيئاً ، وهكذا ، أتم يهوه بقوة كهانة الذين يعضدهم الحكم الفارسي ، ومن ثم وقف الحكم الفارسي بكل قواه يعضد التيار اليهوي ، ومن ثم ليوجد لنفسه أرضاً دعاها يهودا نسبة إلى أحد أسماء الأسباط كما يدّعون ، وقد وجدوا في القدس جبل الجودي ، فحرَّفوه إلى يهودا ، وشكّلوا جذوراً منضمة ليثبتوها في أرض فلسطين ، وتكوَّنت اليهودية ، وكان كاهنها الأكبر الذي قادها عزرا ، يعينه في ذلك خصي الملك وساقيه نحميا ، ولم ترد كلمة يهودية كدين إلا في سِفري عزرا ونحميا ، وكان انتصار التيار اليهوي تحت حراب الحكم الفارسي ، فما ملامح هذا التيار :

1 ـ قصَّاص رائع وخياله واسع ، وهو مُصوِّر بارع ، فهو يقوم بالتجسيد الإلهي ، فهو في رواية خلق العالم بستاني ، ثم فخاري ، ثم طبيب جراح ، ثم خياط .

أ ـ وَجَبَلَ الربُّ الإلهُ آدمَ تراباً من الأرض ، ونفخ في أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفساً حية . تكوين 2/ 7 خزاف (فخاري) .

ب ـ وغرسَ الربُّ الإلهُ جنةً في عدن شرقاً ، وأنبت الإله الرب من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل ، وشجرة الحياة في وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر ، وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة . تكوين 2/ 8 ـ 10/ بستاني .

جـ ـ فأوقع الربُّ الإلهُ سباتاً على آدم فنام ، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً ، وبنى الربُّ الإلهُ الضلعَ التي أخذها من آدم امرأة ، وأحضرها إلى آدم . تكوين 2/ 21 ـ 22/ طبيب جراح .

د ـ ودعا آدمُ اسمَ امرأته حواء لأنها اسم كل حي، وضع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد، وألبسهما. تكوين 3/ 21/ خياط.

2 ـ الإله له صفات الإنسان من تعب وراحة وندم وغضب وقتل وسرقة، فهو مثل الفرد اليهودي، صاغه اليهود حسب نفسيتهم، وحتى لو جمعتَ أحطّ صفات البشر في إنسان لكان أرفع منزلة من يهوه.

3 ـ إله يرحم بني إسرائيل، فهو إله عنصري متميز، ويبيد البشرية كلها، ويمكن للناس أنْ تتوسطه كموسى أو إبراهيم أو يعقوب.

هذا هو التيار اليهوي السائد الذي انتصر على التيار الإيلي الذي لا يلائم أخلاق اليهود واحتياجاتهم. ولهذا، صار يهوه إله اليهود، وصار هذا الإله يبتلع الآلهة الأخرى في التوراة، ويحلّ محلها.

ومن هنا بدأ انطلاق الكهنة بتسمية خاصة لِمَنْ تبعهم، سمّوهم باليهود، وقد حار الناس في تسمية اليهود، فمنهم مَنْ أرجعهم نسبة إلى يهوذا بن إسرائيل أحد الأسباط، ونسبوا إليه احتلال القدس وما حوله، يساعدهم في ذلك سبط بنيامين، ولكنهم سرعان ما أنهوا سبط بنيامين في معركة مُختلَقة، ولم يبق من هذا السبط سوى أربعمائة رجل دون زواج، وأُبيد هذا النسل فاجتمع بنو بنيامين من المدن إلى جبعة لكي يخرجوا لمحاربة بني إسرائيل، وعدَّ بنو بنيامين في ذلك اليوم من المدن ستة وعشرين ألف رجل مخترطي السيف ما عدا سكان جبعة الذين عدّوا سبع مائة رجل منتخبين من جميع هذا الشعب، سبع مائة رجل منتخبون عُسْرٌ كل هؤلاء يرمون الحجر بالمقلاع على الشعرة ولا يخطئون، وعدّ رجال بني إسرائيل ماعدا بنيامين أربعمائة ألف رجل مخترطي السيف، كل هؤلاء رجال حرب... فضرب الرب بنيامين في ذلك اليوم خمسة وعشرين ألف رجل ومائة رجل... فأسرع الكمين واقتحموا جبعة، وزحف الكمين، وضرب المدينة كلها بحدّ السيف... فحاوطوا بنيامين، وطاردوهم بسهولة، وأدركوهم مقابل جبعة لجهة شروق الشمس فقط من بنيامين... ورجع رجال بني إسرائيل إلى بني بنيامين، وضربوهم بحدّ السيف في المدينة بأسرها حتى البهائم من كل ما وجد، وأيضاً جميع المدن التي وُجدت أحرقوها بالنار. قضاة / 20/ كله. وبهذا، صفا الجو لسبط يهوذا كما يدَّعون، ولهذا، أرجعوا أنفسهم إلى هذا النسب، وانتسبوا إلى يهوذا، وسمّوا أنفسهم يهوداً.

وقال آخرون : إن الصفة اللغوية هاد يهودُ بمعنى تابَ يتوبُ ، ولهذا ، فكلمة يهود هو التائب ، وكأنهم عرفوا أنهم بعيدون كل البعد عن الديانة السماوية ، فأرادوا العودة إليها ، ولكنهم لم يجدوا أمامهم إلا هذه الصحف التي صاغها لهم كهنتهم وأحبارهم .

ولنسر مع سِفر عذرا لنرى كيف تدرَّج في هذه التسمية :

1 ـ في الإصحاح الأول « هكذا قال كورش ملك فارس... وهو أوصاني أنْ أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا ، مَنْ منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه ، ويصعد إلى أورشليم التي في يهوذا ، فيبني بيت الرب إله إسرائيل » . عزرا 1/ 2 ـ 3/ .

فالنسبة إذن هو إلى يهوذا والنداء لمَنْ هو من شعب يهوذا فقط ، أما بقية الأسباط فليس لهم أي ذكر ، ورغم أن بنيامين يُعَدُّ منتهياً إلا أنه ذكرهم من جديد ، « فقام رؤوس يهوذا وبنيامين والكهنة واللأويون » . .

وهكذا ، ذابت بقية الأسباط التي وردت في التوراة ولم يعد لها ذكر ، وبقي يهودا واللاويون وقليل من بنيامين حسب التعبير التوراتي ، وقد خصص السِّفر السبي الذي سباه بختنصر ، ولم يسب بختنصر إلا جماعة يهوذا ، وقسماً من بنيامين وقليلاً من اللأويين ، لأن البقية أسرهم وسباهم ـ حسب الرأي التوراتي ـ سنحاريب الآشوري .

2 ـ في الإصحاح السادس ورد كلمة اليهود بشكل صريح وواضح :

أما والي اليهود وشيوخ اليهود فليبنوا بيت الله هذا في مكانه ، وقد صدر مني أمر بما تعملون مع شيوخ اليهود هؤلاء في بناء بيت الله . عزرا 6/ 7 ـ 8/ .

وهنا يقصد اليهود بأبناء يهوذا حسب التعبير ، ولم يقصد ديناً معيناً ، وإنما كان النداء لأبناء سبط يهوذا وبنيامين واللاويين ، ثم بعد ذلك حذف سبط بنيامين واللاويين ، ولم يبق إلا اليهود ، وكان النداء لعشيرة معينة أو سبط معين ولكنْ ؛ في نهاية الأمر تحول النداء إلى دين ، حتى إذا وصلنا إلى الإصحاح العاشر بدأ بتحريم اليهود على غير اليهوديات ، وطلاق اليهوديات . وبهذا ، إذا أخذنا اللفظ على عاهنه يجب طلاق كل امرأة متزوجة من سبط يهوذا ، ولم تكن من هذا السبط يجب أن تُطلَّق حتى ولو كانت تدين بديانة يهوذا ، ولكنَّ كَتَبَة التوراة داروا حول النص ، وعَدُّوا أن اليهودية ديانة ، وحوَّلوا النداء من جنس إلى دين .

وانتهى سفر عزرا بتعداد الرجال الذين هم من سِفر اللاويين قد تزوجوا نساءً غريبة، ومنهن مَنْ وَلَدْنَ أولاداً.

3 - وجدنا في سِفر نحميا أنه حاول أنْ يوسع الأمر أكثر، فشمل بعض الذين بيعوا إلى الأمم الأخرى:

وكان صراخ الشعب والنساء عظيماً على إخوتهم اليهود، وكان مَنْ يقول بنونا وبناتنا دعنا نأخذ قمحاً.. وهانحن نخضع بنينا وبناتنا عبيداً.. وقلتُ لهم: نحن اشترينا أخوتنا اليهود الذين بيعوا للأمم حسب طاقتنا. نحميا 5/ 1 - 5 - 8/.

ولكنه عاد فأكَّد أن والي اليهود هو والي أرض يهوذا، وكان ذلك في أيام أرتحشستا، وذلك من حكمه من السنة العشرين إلى السنة الثانية والثلاثين، وكان نحميا الوالي وعزرا الكاهن، ومن ثم يطالب نحميا الطلب نفسه الذي قدمه عزرا من طلاق للنسوة غير اليهوديات.

وهكذا، أُلِّفَت اليهودية على يد نحميا وعزرا، فألَّفا طبقه من الكهان، فسمِّيت بالسنهدرين. وبهذه الكهنة قام التنظيم اليهودي، وتمت كتابة التوراة اليهودية والتي تتألف من أربعة أقلام إذا صح التعبير:

1 - التقليد الإيلي الذي بدأ يتضاءل أمام قوة الأحبار عزرا وجماعته.

2 - التقليد اليهوي الذي قام على أكتاف عزرا ونحميا.

3 - التقليد الكهنوتي الذي قام على أكتاف السنهدرين.

4 - تقليد التثنية، ولا نستطيع معرفة مَنْ كتب هذا السِّفر.

2 - السامرية:

هذه أول فرقة ثارت ضدّ اليهودية التي خالفت موسى عليه السلام. وقد كان لها توراة تختلف عن التوراة التي بين أيدينا، وقد تطرقتُ إلى شرح مفصل لهذه التوراة في كتابي التوراة تحريف وتزوير، وأستطيع أن أقول - بكل هدوء - عن نقاط الخلاف بين التوراتين:

أ ـ لا يقبل جماعة السامرية إلا في الأسفار الستة الأولى : سِفر التكوين ، سِفر الخروج ، سِفر اللاويين ، سِفر العدد ، سِفر التثنية ، سِفر يشوع .

ب ـ هناك خلاف في الحوادث في التوراتين وفي الأسماء والأعداد ، ولن أتطرَّق إلى هذا البحث الآن ، فهذا ليس مجاله .

جـ ـ يدل هذا الكلام على أن السامرية ليست الديانة التي آمن بها بنو إسرائيل الأسباط العشرة الذين انفصلوا عن دولة سليمان ، وأقاموا دولة سمّوها دولة إسرائيل . وأحبُّ أن أذكر إلى أن النصوص الآثارية لم يرد فيها كلمة دولة إسرائيل ، وإنما ذكرت دولة بيت عمري ، وحاول كَتَبَةُ اليهود أن ينسبوه إلى إسرائيل ، لكنَّ التاريخ لم يقل هذا إطلاقاً .

وكل ما ورد في هذا المجال نص نقش ميشع ملك مؤاب وإليك النص :

أنا ميشع بن لكموش ملك مؤاب الديبوني ، حكمَ والدي مؤاب ثلاثين عاماً ، وملكتُ بعد والدي . بنيتُ محلاً عالياً لكموش في قورخا ، لأنه أنقذني من جميع الملوك ، وجعلني أزدري أعدائي كابن عمري ملك أيشرائيل اضطهد مؤاب سنوات لأن لكموش كان غاضباً على بلاده أثناءها خلفه معاصرى ابنه الذي قال أيضاً : سأحكم مؤاب ، ولكني أهلكتُهُ وبيته وإسرائيل هلاكاً أبدياً . .

استولى عمري على أرض ميدبا ، وسكن عليها هو وابنه لمدة أربعين سنة ، لكن لكموش افتتحها في عهدي ، وقد شيدتُ بعل ميون ، وعملتُ فيها خزاناً ، وأعدتُ بناء تيرجانان .

سكن رجال جاد أرض عطروت ، حاربتُ المدينة ، واستوليتُ عليها ، وقتلتُ جميع أهلها ، ليس لكموش ومؤاب ، وحملت منها مذبح داود ، وسحبته أمام لكموش في المدينة .

ثم أسكنتُ فيها رجال شارون وماخاروت . قال لي لكموش : اذهب ، وافتح نبو بالقرب من إسرائيل ، فذهبتُ إليها ليلاً ، وحاربتها من الفجر حتى الظهر ، وتغلبتُ عليها ، وذبحتُ جميع سكانها / **7000**/ رجل وولد وامرأة وطفل ، لأنني أوقفتهم إلى عشور لكموش ، وأخذتُ منها مذابح يهوه ، وحررتُها على الأرض أمام لكموش ، وقد بنى ملك إسرائيل جهاز ، وقطنها حين كان يعلن الحرب عليَّ .

لكن لكموش هزمه أمامه ، وافتتحتُ المدينة ، وضممتُها إلى ديبون .

أنا الذي بنيتُ قورخا والسور الخشبي والمتاريس، وأعدتُ بناء بواباتها وأبراجها، وشيدتُ قصر الملك، وحفرتُ أقبية قورخا بواسطة إسرائيل، وقد أعدتُ بناء عروعير، وعبدتُ الطرقات في أرنون، وأعدتُ بناء بيت باروت لأنها كانت تهدمت، وأعدتُ بناء يبزر لأن كل ديبون كانت خاصة لسلطاني، وحكمتُ منه المدينة التي ضممتُها إلى مملكتي، وأعدتُ بناء مأدبا، واستوليتُ على بيت ديلاتون وبيت بوميون، وأخذت هناك.[1]

هذا النص أول ما أورده إسرائيل ولغنسون وهو يهودي معروف، وقد ورد في كتابه اللغات السامية، وهو مُدرِّس اللغات السامية (العربية) القديمة في جامعات مصر، وعنه نقل الآخرون. ورغم أنه يقول إن هذا النص في اللغة العبرية فقد رددتُ ذلك في كتابي التوراة تحريف وتزوير اللغة.

غير أن لي على هذا النص النقاط التالية:

1 ـ مرت كلمة إسرائيل في النص ثلاث مرات، ولما رجعتُ إلى النص وجدتُ كلمة يشرال، ولم توجد كلمة إسرائيل والشين غير السين.

2 ـ ربما كانت الكلمة تحريفاً لكلمة أخرى بعيدة كل البعد عن إسرائيل.

3 ـ حارب ميشع أرض عطروت، وحمل منها مذبح داود، ولم يكن مذبح داود ومعبده في أرض عطروت، وإنما كان في القدس في بيت أرونان.

4 ـ لم يرد في التوراة ذكر لمدينة جهاز التي وردت في هذا النص، وتقول التوراة: إن المدينة الوحيدة التي بناها إسرائيل هي مدينة السامرة.

5 ـ رجال جاد لم يكونوا تابعين ليهوذا، وإنما كانوا تابعين لدولة إسرائيل.

6 ـ لم يتطرق ملك مؤاب إلى ذكر دولة يهوذا، مع العلم أن مؤاب أقرب إلى دولة يهوذا من بني إسرائيل.

7 ـ ذكر النص صراحة ابن عمري وملك عمري.

النص الثاني الذي ورد فيه ابن عمري وعمري: نص آشوري نقبه سلمانصر الثالث 859 ـ 824 ق.م، وضع فيه أسماء الحلف الآرامي الذي قام ضدّه:

---

(1) تاريخ موجات الجنس العربي في بلاد الشام، ص176.

1 ـ برهدد ملك دمشق ، وهو القائد العام لهذا الحلف .

2 ـ أرخولين ملك حماة مع 700 عربة ، 700 فارس ، 10000 مقاتل .

3 ـ آخاب بن عمري 2000 عربة ، 10000 مقاتل .

4 ـ أمير قوية ، وهي مملكة صغيرة بين نهري سيحان وجيحان 500 مقاتل .

5 ـ أمير مصر ، مملكة مصرية مجهولة (إقليم في بلاد الشام 100 مقاتل) .

6 ـ أمير بلاد عرقاته شمال شرقي طرابلس 100 عربة ، 10000 مقاتل .

7 ـ ماتينو بعل أمير أرواد 200 مقاتل .

8 ـ أمير أشتاتو جنوب جبلة 200 مقاتل .

9 ـ أدونو بعل أمير سيانو شرق جبلة 30 عربة ، 1000 مقاتل .

10 ـ جندب أمير بلاد العرب 1000 هجان .

11 ـ باعاسة أمير عمان 1000 مقاتل .

12 ـ أمير بيت رحبى[1] .

هذا النص كما ورد ، ورد آخاب بن عمري كما ورد في النص التوراتي ، ولكنْ ؛ لم يأت فيه ملك إسرائيل في النص ، وإنما أضاف ذلك القرّاء والمترجمون .

يقول النص الآشوري :

أما منحيم فقد هبطتُ عليه كما العاصفة الثلجية ففرَّ وحيداً ، ثم عاد فانحنى عند قدمي ، أعدتُهُ إلى مكانه ، وفرضتُ عليه جزية ، وسقتُ الكثيرين من بيت عمري وممتلكاتهم إلى آشور[2] .

وقد ضربتُ هذه الأمثلة ، وقدمتُها من أجل أن أعرف أن اليهودية لم تعرف ما يُسمّى بالمذهب السامري أو الفرقة السامرية قبل ذلك الوقت .

---

(1) د . علي عساف ، الآراميون ، ص51 .

(2) السواح فراس ، الحدث التوراتي ص : 106 .

متى نشأت السامرية؟

أجاب عن هذا التوراة بذاتها في سِفر نحميا: في تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعموريات ومؤابيات، ونصف كلام بينهم باللسان الأشدودي، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي، بل بلسان شعب وشعب، فخاصمتُهم ولعنتُهم وضربتُ منهم أناساً، ونتفتُ شعورهم، واستحلفتُهم بالله قائلاً:

لا تعطوا بناتكم لبنيهم، ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم، ولا لأنفسكم، أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل، ولم يكن في الأمم الكثيرة ملك مثله، وكان محبوباً إلى إلهه، فجعله الله ملكاً على كل إسرائيل؟ هو أيضاً جعلته النساء الأجنبيات يخطئ، فهل نسكت لكم أن تعملوا كل هذا الشر العظيم بالخيانة ضدّ إلهنا بمساكنة نساء أجنبيات؟ وكان واحد من بني يويا داع بن الياشيب الكاهن العظيم صهراً لسنبلّط الحوروني فطردته من عندي، اذكرهم يا إلهي لأنهم نجسوا الكهنوت، وعهد الكهنوت، واللاويين، فطهرتهم من كل غريب، وأقمتُ حراسات الكهنة واللاويين كل واحد على عمله، ولأجل قربان الحطب في أزمنة معينة وللباكورات. نحميا / 13/ 23 ـ 31/ .

إذن، انقسم جماعة توراة عزرا إلى قسمين: الأول: هم الذين دُعوا باليهود. والقسم الثاني: دُعوا بالسامرية نسبة إلى السامرة، ولولا هذا الانشقاق لكان اليهود في ذلك الوقت أقوى مما هم عليه.

ويقول في هذا الأب اصطفان شربنتيه: ويبدو أن عزرا نجح في فرض شريعة إله السماء لا على اليهود فقط، بل على السامريين، ولم تدم الوحدة المقدسة في الواقع إلا زمناً قصيراً، ولقد شيّدوا هيكلهم الخاص في جبل جرزيم، ولكنهم حافظوا على الشريعة أو التوراة التي يطابق نصها على التقريب نص شريعة اليهود، لا، بل إن السامريين واليهود لا يعترفون إلا بهذه الكتب المقدسة. والعلاقات بين السامريين واليهود معقدة جداً، ونحن نعرف كيف كانت العلاقات متوفرة بين الجماعتين في أيام المسيح، كانتا تعترفان بوحدة المصير. ولا يزال إلى أيامنا جماعة من السامريين، وهي تقرب كل سنة ذبيحة الحمل الفصحى على جبل جرزيم[1].

---

(1) الأب اصطفان شربنتيه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، ص: 79.

وأخذت العداوة بين السامرية واليهودية تزداد على الأيام، فاليهود ينظرون إلى السامريين نظرة محتل لبلادهم، مغتصب لأملاكهم، يعبدون إلهاً غير إله بني إسرائيل، فهم يعبدون الإله إيل، بينما يعبد اليهود إلههم يهوه.

والسامريون ينظرون إلى اليهود بأنهم كافرون متخاذلون منقسمون على أنفسهم، ويَعُدُّ اليهود أن السامريين قوم لا يمتون إلى بني إسرائيل بصلة، وإنما أصولهم تعود إلى أقوام أسكنهم الآشوريون مكان بني إسرائيل حينما غزاهم سنحاريب وأسرهم، وقد دان هؤلاء، بالتوراة، لكنهم لم يسيروا على خطى عزرا، وسنتطرق فيما بعد إلى الفروق الكاملة بين الفرقتين.

والشيء المهم هو أن السامريين يرون أن اليهود يجب ألا يُمَسّوا، ولا يُخالطوا، ولا يُعاملوا، لأنهم ليسوا شعب الله المختار كما يعتقدون. ويَعُدّ اليهود السامريين غير متبعين الديانة اليهودية على التمام، وأنهم نجسون (غويتم)، وأنهم ليسوا شعب الله المختار مثلهم، بل هم فقط الذين وعدهم الله بإقامة دولتهم، وأن المسيح المنتظر منهم. بينما في القرآن الكريم ورد ما يناقض التوراة من حيث بناء السامرة على أيدي بني إسرائيل، إذ ورد ما يُسمّى بالسامري في عهد موسى، وهو الذي صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل، وكان السامري من قوم يعبدون العجل، ويقول ابن كثير في قصص الأنبياء: لم يكن السامري من قوم موسى بني إسرائيل، ولكنه مشى معهم في خروجهم من مصر، فَقُضي له أن يرى أثراً، فقبض منه قبضة، فمرَّ به هارون، فقال له هارون: يا سامري: ألا تلقي ما في يديك؟ وهو قابض على الأثر لا يراه أحد طوال ذلك، فقال: هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر، ولا ألقيها لشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد، فألقاها، ودعا له هارون، فقال: أريد أن تكون عجلاً، فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع وحلي ونحاس وحديد فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح وله خوار، فتفرق بنو إسرائيل فرقاً، فقالت فرقة: يا سامري ما هذا وأنتَ أعلم به؟ قال: هذا ربكم، ولكنَّ موسى أضل الطريق... وقالت فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى، فإنْ كان ربنا لم نكن أضعناه، وعكفنا عليه حين رأيناه، وإنْ لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسى. وقالت فرقة: هذا من عمل الشيطان، وليس ربنا، ولا نؤمن به، ولا نصدق. وأشربت فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري ولم يكذبوه [1].

---

(1) ابن كثير، قصص الأنبياء، ج: 1، ص: 152.

غير أن في هذه التفاصيل بعض المخالفات للقرآن الكريم، وإليك نص القرآن لتعرف الفارق:

﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ (83) قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ (84) قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي (86) قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ (87) فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا (89) وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي (90) قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ (91) قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي (93) قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي (94) قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي (96) قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴾ طه: 83-97.

من هذه الآيات الكريمة نستخلص خلاف ما رواه ابن كثير في قصصه (قصص الأنبياء) ولا أرى إلا أنه قد نقل عن مسلمة اليهود ما سمعه من أساطيرهم.

ولي على ما قاله ابن كثير ما يلي:

1 - لم ينقسم بنو إسرائيل كما قال إلى عدة فرق، ولا دليل على ذلك من القرآن ولا السنة، حتى التوراة نفسها لم تقل بهذا الانقسام الذي قاله ابن كثير.

2 - لم يستطع هارون منعهم من عبادة العجل على الإطلاق، حتى أن أخاه موسى لامه على ذلك، وأما في التوراة فإنهم ينسبون هذا العمل إلى هارون بالذات.

3 - الخلاف وقع بين بني إسرائيل بعد أن عاد موسى، وكان جواب قبولهم بالتوبة: ﴿ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ ﴾ ولم يحدثنا القرآن هل قتلوا أنفسهم.

أما التوراة فإليك النص الدموي الذي أوردته: وقال موسى لهرون: ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة؟ فقال هرون: لا يحم غضب سيدي، أنت تعرف هذا الشعب أنه في شر، فقالوا: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن موسى هذا الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقلتُ لهم: مَنْ له ذهب فلينزعه، ويعطيني، فطرحته في النار، فخرج هذا العجل، ولما رأى موسى الشعب أنه مصري، لأن هرون قد عزاه للهزء بين مقاوميه، وقف موسى في باب المحلة، وقال: مَنْ للرب فإلي، فاجتمع إليه جميع بني لاوي، فقال لهم: هكذا قال الرب إله إسرائيل، ضعوا كل واحد سيفه على فخذه، ومروا، وارجعوا من باب إلى باب في المحلة، واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه، وكل واحد قريبه، ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى، ووقع من الشعب في ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل، وقال موسى: املؤوا أيديكم اليوم للرب، حتى كل واحد بابنه وأخيه فيعطيكم اليوم بركة. خروج **32/ 21ـ29/** .

وهكذا حذف كَتَبَةُ التوراة اسم السامري ليقولوا: إن السامرة لم تكن موجودة قبلهم، وأنهم هم مَنْ بناها، وليؤكدوا أن لهم قدماً في فلسطين، وكذَّبهم القرآن الكريم حينما أورد اسم السامري بهذه الحادثة.

ويرى السامريون أن التوراة التي في أيدي اليهود ليست التوراة التي نزلت على موسى، وأنها حُرِّفت، وبُدِّلت، وغُيِّرت، وأن المحدث لهذه التي بين أيديهم قد وضعه عزرا، لأنه جمعها ممَّنْ كان يحفظها من بني إسرائيل، وأن التوراة الصحيحة هي التي في أيدي السامريين دون غيرهم.

والنسخة التي بين أيديهم تختلف اختلافاً كثيراً عن النسخة التي بين أيدينا لليهود، ويدَّعون أنها ترجع إلى ما قبل عهد المسيح، وهم يرفضون كل ما عداها، وما يزالون يتمسكون بها حتى اليوم.

وقد استقلت تلك الفئة بكيانها الدِّيني، وحاول اليهود إخراجهم من الحظيرة اليهودية، فلم يفلحوا، وقد بنت هيكلاً خاصاً بها على جبل جرزيم عند نابلس، وعدَّته بمثابة جبل الطور، وقد قام بينهما عداوة استمرت قروناً وقروناً، حتى راح السامريون أحياناً يعينون في كثير من الأحيان مَنْ يريد ضرب اليهود من الغزاة. وفي رواية للبيروني المتوفى في سنة **440** أن

السامريين هم الذين أعانوا نبوخذ نصر، ودلُّوه على نقاط الضعف عند اليهود حين غزا مملكة يهوذا وسبى اليهود إلى بابل. لذلك، لم يمسهم أذى.

ولكنني لا أرى هذا إلا إذا اعتمدنا التوراة ودولة إسرائيل ودولة يهوذا، أما إذا أخذنا نشوء الفرقة السامرية بعد عزرا عرفنا أن تلك الرواية كانت مجرد خطأ لنقله عن التوراة.

وطائفة السامريين من أقل الطوائف على وجه الأرض عدداً، إذ يبلغ مجموع أفرادها / 337/ شخصاً بين ذكور وإناث.

وقد مرَّ عليهم وقت غير بعيد لم يزد عددهم فيه عن / 100/ نفس متفرقين في قرى مختلفة، وقبل / 350/ سنة لم يكن قد بقي منهم سوى خمسة ذكور وخمس إناث لا غير، فجمعهم الكاهن صدفة في نابلس بعد أن كانوا يعيشون متفرقين في دمشق وغزة ومصر، ويرى السامريون أنهم ورثة بني إسرائيل جميعاً، وحماة التوراة العاملون بتعاليمها ووصاياها العشر، وأن الله قد اختارهم، وأنهم هم البقية الباقية من أولاد يعقوب عليه السلام.

وتقوم عقيدة السامريين على خمسة أركان:

1 ـ وحدانية الله.

2 ـ نبوة موسى عليه السلام.

3 ـ قداسة جبل جرزيم.

4 ـ الإيمان بأن التوراة (خمسة الأسفار الأولى من العهد القديم)منزلة من الله سبحانه وتعالى.

5 ـ الإيمان بيوم الدينونة والبعث، وأنه لا ريب فيه[1].

ويرى فيليب حتي أن السامريين قد شُكّلوا من امتزاج السكان الجدد الذين جلبهم سنحاريب، وأحلَّهم محل الإسرائيليين. امتزج المستوطنون الجدد ببني إسرائيل لِيُشكِّلوا السامريين، واتحدت معتقداتهم الدِّينية، وحصل الانشقاق النهائي بين الفريقين سنة 432 قبل الميلاد، بعد عودة عزرا ونحميا من السبي، ولقد طردا من أورشليم حفيدَ الكاهن الأعلى لزواجه من ابنة الحاكم السامري. ويبدو أن الشاب المطرود أصبح كاهن السامريين، وبنى هيكله الخاص على جبل جرزيم لينافس هيكل أورشليم، وكان كتاب اليهود المقدس حينذاك

---

(1) سوسة أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ج1، ص: 267.

يتألف من الكتب الخمسة فقط، وكان كتاب اليهود المقدس الوحيد للسامريين، وقد نقلوه من الحروف وجرزيم، وليس صهيون هو المكان المقدس الحقيقي لهم[1] . . . .

والفرقة السامرية اليهودية تنسب إلى مدينة السامرة القديمة التي كانوا يعيشون حولها والتي قامت على أنقاض مدينة نابلس، وهي تمثل معتقداً خاصاً تتناقض به مع غيرها من الفرق والمذاهب اليهودية، وهم يقولون: إن يعقوب الجد الأعلى للعبريين قد بنى معبده المكرس لله في هذا المكان، وسمّاه بيت إيل، فخرج يعقوب من بئر سبع، وذهب نحو حاران، وصادف مكاناً، وبات هناك لأن الشمس قد غابت، وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه، فاضطجع في ذلك المكان، ورأى حلماً، وإذا سلّم منصوبة على الأرض ورأسها يمسُّ السماء، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهو ذا الرب واقف عليها، فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك، وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض، وها أنذا معك وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض لأني لا أتركُكَ حتى أفعل ما كلمتُكَ به. فاستيقظ يعقوب من نومه، وقال: حَقّاً إن الرب في هذا المكان، وأنا لم أعلم. وخاف وقال: ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء، وبَكَّرَ يعقوب في الصباح، وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه، وأقامه عموداً، وصب زيتاً على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل، ولكن اسم المدينة أولاً كان نور. تكوين 28/ 10 ـ 19/ .

إذن، بيت إيل هو المكان الذي سمّوه جرزيم، وقد مرَّ في التوراة ما يقارب في جعل المكان المقدس هو جبل جرزيم وليس جبل القدس، وأوصى موسى الشعب في ذلك اليوم قائلاً: هؤلاء يقفون على جبل جرزيم لكي يباركوا الشعب حين تعبرون الأردن، شمعون ولاوي ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة.

راوبين وجاد وأشير ورابولون ودان ونفتالي، فيصرخ اللأويون ويقولون لجميع قوم إسرائيل بصوت عال: ملعون الإنسان الذي يضع تمثالاً منحوتاً أو مسبوكاً رجساً لدى الرب، عمل يدي نحات ويضعه في الخفاء. . . . تثنية 27/ 11 ـ 15/ .

---

(1) فيليب حتي، تاريخ سورية، ص: 214.

ولهذا، اعتقد السامريون أن المكان المقدس هو جبل جرزيم بالقرب من بيت إيل وصار لديهم حجتان ودليلان؛ الدليل الأول يعقوب، والدليل الثاني هو موسى، عليهما السلام.

وهكذا يزعم السامريون أنهم البقية الباقية على الدِّين الصحيح الذي أنزله الله على موسى، ويزعمون أن موسى - عليه السلام - كان يوجه وجهه للصلاة نحو بيت إيل، أما داود وسليمان فقد غيَّرا من شكل المجتمع الدِّيني بحسب هواهما حتى تحوّل الملك إلى مملكة فرعون أو بختنصر، وأنهما غيَّرا القبلة القديمة، كما غيَّر الأنبياء الكَذَبَةُ الذين ظهروا بعد موسى شكل الدَّين، وشوّهوه، وحرّفوه، والإله الذي يؤمنون به إله روحاني بحت، لا يمكن أن يكون له تجسيد وتشخيص، ولهذا، فهم أقرب إلى التيار الإيلي، ويعدّون موسى خاتم الرسل، وهم يؤمنون بالرسل الذين سبقوه، ولا يؤمنون بمَنْ جاء بعده من الرسل، ويعدّونهم أنبياءَ كَذَبَة. ولهذا، فهم لا يؤمنون بنبوة الأنبياء الذين وردوا في الأسفار بعد التوراة العهد القديم، ويعدّون الأسفار التي تلت - بدءاً من سفر القضاة وانتهاءً بآخر رسول وسفر في التوراة العبرية - من صنع البشر، وأنها من عمل قوم ضَالِّين ومضلِّين لا يستثنون من ذلك إلا يوشع بن نون، فإنهم يعترفون بسفره، ويرون أن موسى قد عهد إليه بالخلافة من بعده. ويرفضون بقية النصوص التي يعدّها اليهود مقدسة كالمشناد والتلمود والمدارش ونحوها، ويعدّونها من الأعمال البعيدة التي لم ينزلها الله، وهم لا يعترفون بالنسخة العبرية التي يعترف بها باقي اليهود، بل لهم نسخة خاصة برواية خاصة تختلف اختلافاً محسوساً عن التوراة الشائعة، كما أن لهم لهجة عبرية وكتابة خطية مختلفة يزعمون أنها جاءتا إليهم صحيحتين دقيقتين من عهد موسى. واليهود ينفون السامريين عن بني إسرائيل والإيمان بإلههم، فهم يؤمنون بيهوه، أما السامريون فيؤمنون بإيل، وقد وصل ذلك إلى حَدٍّ أن أحبار اليهود كانوا يُسمّونهم ثيران السباع. أما السامريون فإنهم ينسبون أنفسهم إلى هارون أخي موسى، وينتخبون كاهناً أعظم يُسمّونه الكاهن اللاوي؛ أي: المتحدِّر من سبط لاوي الذي تحدّر منه موسى وهارون، وكثيراً ما يكتفون بتسمية الكاهن بالحبر الكبير.

ما الفروق بين التوراة العبرية والتوراة السامرية؟

مما لاشك فيه أنه لم تقع بين يديَّ نُسخة من التوراة السامرية بشكل كامل، ولكني قرأتُ بعض الآراء الخاصة التي تفرق بين التوراة العبرية والتوراة السامرية:

1 ـ اختلاف المكان المقدس، فعند السامريين جبل جرزيم، وعند اليهود أورشليم، وقد ورد تصديق ذلك في الأناجيل حينما امرأة سامرية سألت عيسى ـ عليه السلام ـ عن جرزيم: فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا أن يسوع يصير ويعمد تلاميذ أكثر من يوحنا، مع أن يسوع نفسه لم يكن يُعَمِّد، بل تلاميذه، ترك اليهودية أيضاً، ومضى إلى الجليل، وكان لابُدَّ له أن يجتاز السامرة، فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها: سوخار بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه، وكانت هناك بئر يعقوب، فإذا كان يسوع قد تعب من السِّفر جلس هكذا على البئر، وكان نحو الساعة السادسة، فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماءاً، فقال لها يسوع: أعطني لأشرب، لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً، فقالت المرأة السامرية: كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية؟ لأن اليهود لا يعاملون السامريين، أجاب يسوع وقال لها: لو كنت تعلمين عطية الله ومَنْ هو الذي يقول لك أعطني لأشربَ لَطَلبت أنت منه فأعطاكَ ماءاً حياً. قالت المرأة: يا سيد، لا دلو لك، والبئر عميقة، فمن أين لك المَاء الحي؟ ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر، وشرب منها هو وبنوه ومواشيه؟ أجاب يسوع، وقال لها: كل مَنْ يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً، ولكنْ، مَنْ يشرب من الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية. . .

قالت له المرأة: يا سيدي، أرى أنك نبي، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أنْ يسجد فيه، قال يسوع: يا امرأة، صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهود. إنجيل يوحنا 4/ 1 ـ 14 و: / 19 ـ 22/ .

هذا النص الذي نُقل عن السيد المسيح حُجَّة قوية في أن نقف عند التوراة السامرية. ويقول رحمة الله بن خليل الهندي العثماني: وقال هورن في المجلد الثاني من تفسيره: إن المحقق هيلز أثبت بالأدلة القوية صحة النسخة السامرية، ولا يمكن تلخيص دلائله هنا، ويقول: لو لاحظنا آداب السامريين بالنسبة للتوراة، ولاحظنا عاداتهم، ولاحظنا سكوت المسيح ـ عليه السلام ـ حين المكالمة المشهورة التي وقعت بينه وبين المرأة السامرية. ولما علمت المرأة أن عيسى ـ عليه السلام ـ نبي سألت عن هذا الأمر الذي هو من أعظم الأمور المتنازعة بين اليهود والسامريين، ويدعي كل فرقة فيه تحريف الأخرى ليتضح لها الحق، فلو كان السامريون

حَرَّفوا التوراة في هذا الموضع كان لعيسى - عليه السلام - أن يبين هذا الأمر في جوابها، لكنه ما بيَّن، بل سكت عنه، فسكوته دليل على أن الحق ما عليه السامريون[1].

2 - الخلاف في كتب العهد القديم، فقد بيَّنت أن السامريين لا يقبلون إلا في الأسفار الخمسة الأولى، ويضيفون السِّفر السادس سِفر يشوع.

3 - الخلاف في الزمان من خلق آدم وحتى نوح، وإليك الجدول:

أسماء	عبرية	سامرية
آدم	130	130
شيث	105	105
أنوش	090	090
قينان	070	070
مهلائيل	065	065
يارد	162	062
أخنوخ	65	65
متوشالح	187	67
لامك	182	53
نوح	600	600
المجموع	1656	1327

4 - النسخة السامرية واليونانية: فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان وأرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة، أما في النسخة العبرية فقد أوصلت المرحلة في أرض كنعان 423 سنة، وفي أرض مصر فقد قال سِفر التكوين: فقال لأبرام: اعلم يقيناً

(1) إظهار الحق، ج1، ص: 162.

أن نسلكَ سيكون غريباً في أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم فيذلونهم أربع مائة سنة، ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة. تكوين15/ 13 ـ 14/ .

وبهذا، تكون العبرية قد جعلت المدة / 823/ سنة، بينما هي في السامرية / 430/ سنة، في مصر وكنعان.

5 ـ في النسخة السامرية والترجمة اليونانية في الآية عشرين من الإصحاح السادس: وأخذ عمرام يوكابد ابنة عمه زوجة له، فولدت له هرون وموسى ومريم أختهما، وفي العبرية: وأخذ عمرام يوكابد عمتة زوجة له، فولدت هارون وموسى، وأسقط ومريم أختهما.

ولن أتابع في هذه الخلافات الجزئية، فهي أكثر من أن تُعَدَّ وتحصى، ولكني أقول: إن التحريف واقع بين هذه النسخ، وجمهور اليهود وعلماء البروتستانت يقولون: إن السامريين قد حَرَّفوا، بينما يرى الدكتور كني كات ومؤيدوه أن اليهود هم الذين حَرَّفوا توراتهم، وقد استدلَّ الدكتور العالم كني كات أن السامريين لم يُحرِّفوا شيئاً، واليهود هم الذين حَرَّفوا بأدلة كثيرة ليس المجال الآن لسردها.

6 ـ من أهم الخلافات بين السامريين واليهود في العقائد؛ أي الإله وصفاته، وقد مرَّت معنا هذه الفقرة، ولم يؤمن اليهود بيوم القيامة والبعث كما يؤمن السامريون، ولقد آمن اليهود بالأنبياء الذين وردوا بعد موسى، ورفض السامريون هذه النبوءات بعد موسى وعدم إيمان السامريين بالكتب الأخرى كما أسلفنا.

3 ـ التأثر بالفكر اليوناني: الفرقة الصدوقية.

يحاول الصدوقيون أن ينسبوا أنفسهم إلى أيام سليمان عليه السلام، ويقولون بوجود كاهن في عهد سليمان اسمه صادوق، ولما رجعتُ إلى كتاب الملوك وجدت: وأما صادوق الكاهن وبنا ياهو بن يهوياداع وناثان النبي وشمعي وربعي والجبابرة الذين لداود فلم يكونوا مع أدونيا. ملوك أول 1/ 8/ .

وقد لعب صادوق الكاهن مع مَنْ وردت أسماؤهم في هذا المقطع دوراً كبيراً ـ حسب رواية سِفر الملوك ـ في تنصيب سليمان ـ عليه السلام ـ ملكاً على إسرائيل، وهو الذي مسح

سليمان، فنزل صادوق الكاهن وناثان النبي وبناياهو بن يهويا داع والجلادون والسعاة، وأركبوا سليمان على بغلة الملك داود، وذهبوا إلى جيحون، فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان، وضربوا بالبوق، وقال جميع الشعب ليحيي الملك سليمان. ملوك أول 1/ 38 ـ 39/ .

ولكن غالبية الباحثين لا يرون هذا، ويرون أنهم قد نشؤوا في القرن الثالث قبل الميلاد، وهذه الطائفة لعبت دوراً هاماً في حياة اليهودية.

ويقوم مذهبهم على النقاط التالية:

1 ـ لا يرون في التوراة أنها كتاب مقدس قداسة مطلقة.

2 ـ لا يؤمنون بالتعاليم الشفوية كالتلمود (المشنى والجمارا).

3 ـ لا يؤمنون بيوم القيامة، وهم ينكرون البعث والحياة الآخرة والحساب والجنة والنار، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا وبشكل مادي.

وقد اعتنقوا هذه الآراء من خلال كتابهم التوراة، وأهم نص ورد في هذا: أكرم أمك وأباك لكي تطول أيامك على الأرض التي أعطاك إياها إله إسرائيل.

والصدوقيون يؤلفون كبار الكهنة في فترة ما بعد السبي وخاصة في أيام الحكم اليوناني، وانضموا إلى المكابيين في الثورة، ولعبوا دوراً بارزاً في هذه الثورة.

لقد رأى الصدوقيون أن اليونان لا يمكن أن يُقاوَموا، وذلك في بداية دولتهم واشتداد قوتهم، بل إنهم رأوا في تعاطف بطليموس الثاني وصداقته لليهود فرصة لا تضيع حتى أنه إنه افتدى من ماله الخاص بعض الأسرى اليهود في بعض الحروب، ويقول المؤرخون لم يكن هذا حبّاً فيهم، وإنما للاستفادة منهم، وقد فتح أبواب الهجرة لليهود الفارين من الحكم السلوقي الذي كان قاسياً على اليهود فسافروا إلى الإسكندرية، وكوَّنوا هناك جالية كبيرة، كما أقاموا جالية أخرى في جزيرة الفيلة، ومن البديهي أن يختلط اليهود باليونان، فكلاهما لاجئ إلى مصر غريب عنها، ومن البديهي أن يتعاون الطرفان ضدّ هذا الشعب لكي لا يستطيع التحرك.

وبدأ اليهود ينسون لغتهم قليلاً فقليلاً حتى كادت تضمحل، وتعلّموا اللغة الإغريقية، وانغمسوا في ظل الثقافة اليونانية، ولم يعودوا يفهمون كتابهم المقدس لأنهم تأغرقوا لحماً

ودماً، ويذكر يوسيفوس أن بطليموس الثاني رغب في أن يترجم الكتب الدِّينية إلى اللغة الإغريقية، فأرسل إلى اليعاذر رئيس الكهنة أورشليم بعض الهدايا وكتاباً خاصاً يطلب فيه أنْ يرسل إلى مصر بعض الكهان أو الفقهاء الدَّينيين المطلعين على تعاليم الدِّين اليهودي، وسر الكتاب المقدس، والذين يعرفون اللغتين الإغريقية والعبرية معرفة تامة لكي يقوموا بترجمة صلواتهم وعباداتهم وكتابهم المقدس إلى اللغة الإغريقية[1].

وقد لبى اليعاذر هذه الدعوة حالاً، وأرسل إلى مصر سبعين فقيهاً من فقهاء اليهود ورجالهم الدَّينيين، وعملوا في الإسكندرية العمل الذي نُدبوا إليه، تقول الأسطورة: إنهم أتموا الترجمة في مدة سبعين يوماً، هذا ما رواه المؤرخ اليهودي يوسيفوس فيلافيوس، ولكن المؤرخين المحدثين تناولوها بالبحث والنقد، وأنكروا حدوثها، ورجّحوا ما قاله الأستاذ بيغان وغيره: بأن اليهود سواء في مصر أو في فلسطين قد نسي الغالبية منهم لغتهم الأصلية، وصار من الضروري ترجمة كتبهم إلى الإغريقية، وتمت هذه الترجمة في عهد بطليموس الثاني، واستمرت فترة طويلة لا كما قالوا: ترجم السبعون فقيهاً كل فقه بمفرده، فظلوا سبعين يوماً، ولما أنهوا العمل رأوا أن جميع الترجمات واحدة، وكأن الأمر إلهام رباني، هذه الترجمة عُرفت باليونانية، وهي تختلف تمام الاختلاف عن النسخة العبرية، وكأنهم نقلوها عن أصل آخر، وإليك بعض الخلافات بين اليونانية والعبرية:

---

(1) الأرض المقدسة، ص: 99.

أسماء	عبرية/ سنة الوفاة	يونانية/ سنة الوفاة
آدم	930	960
شيث	912	912
أنوشر	905	705
قينان	910	910
مهللئيل	895	850
يارد	962	962
أخنوخ	365	365
متوشالح	969	927
لامك	777	782
نوح	950	1650
سام	600	600
أرفكشاد	438	438
قينان	---	433
شالح	433	433
عابر	464	440
فالج	239	239
راعد	239	239
سروج	230	230
ناحور	148	248
تارح	205	205
إبراهيم	175	175

ولاحظ الفروق في الأعمار بين التوراة العبرية والتوراة اليونانية، حتى إن اليهودية لم تعترف بابن أرفخشد قينان فأسقطته من قائمة النسب. بل إن اليهود الذين هاجروا إلى مصر بنوا معبداً سمّوه معبد أونياسي الجديد، فكان هيكلهم الجديد الذي يحجّون إليه كل عام، ولم يعودوا يعدّون زيارة هيكل أورشليم أساساً من أسس ديانتهم، ومما لاشك أن اليهود كانوا يريدون الانخراط في هذه الحضارة القائمة القادمة.

ويطلق المؤرخون اسم الصدوقيين على هذه الفئة التي رغبت أنْ تصبح إغريقية في جميع مظاهرها، وفي ديانتها وعبادتها. هذه الفئة كما قلنا مؤلفة من بعض الكهنة وبعض الكتبة، وقد ظهرت في زمن السلوقيين، وهؤلاء لا يقرون بالمدارش والمشنا والجمارا من هو خارج عن الوحي المدوّن في أسفار التوراة الخمسة المنسوبة إلى موسى، ويقولون: علينا أنْ لا نراعي إلا ما ورد في النص المدوَّن، ولا نأخذ بما جاءت به التقاليد الشفوية الموروثة عن الآباء والأجداد.

ولو فتشنا في التوراة لما رأينا ذكراً ليوم القيامة ولا البعث والحساب ولا الحياة الأخرى، والمبدأ الصدوقي هو قبول اليهود كمعتقد فقط، والعيش كأفراد عاديين، تمتاز الصدوقية ـ بالإضافة إلى نكران الثواب والعقاب ويوم البعث ـ بأنها لا تؤمن بالحياة الأبدية للبشر بأفرادهم وأشخاصهم في الحياة الأخرى، وهي تنكر وجود الملائكة والشياطين، فالملاك الذي يُذكر في العهد القديم يفسرونه بالرب مباشرة، وهي تُنكر القضاء والقدر وما كُتِبَ للإنسان، كما تُنكر اللوح المحفوظ، وترى في الإنسان خالقاً لأفعاله، وهو مسؤول لأنه حرٌّ التصرف، وهم في هذه النقطة يقاربون المعتزلة في الإسلام.

أما خلود الروح فليس له وجود في شريعة موسى، ويبدو أنها أُضيفت في الكتب الأخرى التي كُتبت متأثرة بالفكر الفارسي، كما أنهم يعارضون ـ كالمعتزلة ـ فكرة الجبر، غير أن الميزة المهمة لديهم أنهم لا يَعُدُّون أنهم الشعب المختار، ويقبلون إذا ما أراد الناس الانضمام إلى اليهودية.

وقد أكّد ديورانت في قصة الحضارة عدم الإشارة إلى الحياة الأخرى بعد الموت، وكل مَنْ يقرأ التوراة يلحظ غياب البعد الأخروي في الديانة اليهودية.

ولعبت الصدوقية دوراً كبيراً في نقاش عيسى عليه السلام، وقد ورد العديد من النقاشات في الأناجيل، وإليك بعض الأمثلة:

1 ـ وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليُجرِّبوه، فسألوه أنْ يريهم آية من السماء، فأجاب وقال لهم: إذا كان المساء صحو لأن السماء محمرة. وفي الصباح اليوم شتاء لأن السماء محمرة بعبوسة، يا مراؤون تعرفون أنْ تميزوا وجه السماء، وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون، جيل فاسق شرير، يلتمس آية، ولا تُعطى له آية. متى 16/ 1 ـ 4/ .

2 ـ وجاء إليه قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة، وسألوه قائلين: يا معلم، كتب لنا موسى إنْ مات لأحد أخ وترك امرأة ولم يخلف أولاداً أنْ يأخذ أخوه امرأته ويقيم نسلاً لأخيه فكان سبعة إخوة... فأخذها السبعة ولم يتركوا نسلاً، وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً، ففي القيامة حين قاموا لِمَنْ منهم تكون زوجة لأنها كانت زوجة للسبعة، فأجاب يسوع وقال لهم: أليس لهذا تضلّون؟ إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنهم متى قاموا من الأموات لا يزوِّجون، ولا يُزَوَّجون، بل يكونون كملائكة في السموات. مرقس 12/ 18 ـ 25، لوقا 20/ 27 ـ 36/ .

إذن، أنكر الصدوقيون سلطة الشريعة الشفهية، بينما تمسَّك الفريسيون بها، وهناك مَنْ يعدّ الخلاف الذي نشب بين هاتين الفرقتين اليهوديتين راجعاً إلى كون الفريسيين تمسَّكوا بمساواة الشرائع الشفهية مع الشرائع المكتوبة من حيث إلزاميتها، وطالبوا بمعاقبة مَنْ ينتهك الأولى أسوة بالثانية.

بينما أنكر الصدوقيون عليهم ذلك، وأصروا على اعتبار الشرائع الواردة هي الأسفار الخمسة. وطالب الفريسيون بتعديل التوراة وتفسيرها بحيث تتلاءم مع الثقافة المتطورة، والوضع الاقتصادي المتغير، لكنَّ الصدوقيين رفضوا تلك البدع.

كانت هذه الفرقة تميل إلى مسالمة الرومان، لذلك، كان نفوذهم بين جماهير اليهود أقل من الفرق الأخرى المتطرفة كالفريسية، ولكنهم رغم ذلك يؤلفون كتلة قوية في مجلس السنهدريم الذي هو أعلى سلطة دينية سياسية عند اليهود، وبلغ عددهم عشرين عضواً من أصل سبعين عضواً.

كان الصدوقيون محافظين من الوجهة الدِّينية يتمسكون بأسفار موسى الخمسة من التوراة، ويرفضون التقاليد والسنن الإضافية والروايات الشفهية، كما كانوا يُنكرون الأنبياء، ولا يؤمنون بالبعث والنشور كما قدّمتُ، وكان مركز اهتمامهم الأمور المادية، وكانوا رجعيين من الوجهة الاجتماعية، حريصين على امتيازاتهم الأرستقراطية من نظام الطبقات.

خشي الصدوقيون تجمُّعَ اليهود حول السيد المسيح، فكانوا في طليعة المسؤولين عن محاكمته، وقد ورد اسمهم في الأناجيل لأنهم قاوموا دعوة المسيح عليه السلام.

الفصل الثالث

ارتداد إلى اليهودية

1 - الحسيديون .

2 - الفريسيون .

3 - الأسنيون .

4 - الغنوصيون .

1 - الحسيديون :

كلمة حَسَدَ في اللغة الآرامية والتي نُقلت العبرية عنها بمعنى رأف ، والحسيديم تعني الأتقياء الذين أرادوا من زمن عزرا أن يعيدوا بناء اليهودية على قيم روحية وعن الحسيديين نشأت الفريسية .

غابت معالم الحسيدية عنا ، وضاعت آراؤها فترة طويلة من الزمن ، والفريسية اغتالت أفكارها ، وأبعدتها عن الساحة ، فالفريسيون أشد تعصباً وهوساً .

ازدادت معرفتنا للحسيدية ، وتجدّدت بعد أن عُثر على مخطوطات قمران ، وهم قد شاركوا في ثورة المكابيين في عصيانهم ضدّ الدولة اليونانية ، وبعد انكسار دولة المكابيين وانتهائها لجأت هذه الفرقة إلى الجبال .

وهي تختلف عن الأسنيين ، فالأسنيّون لا يحبون العنف ، ولا يتزوجون ، أما الحسيدية فقد كانت تشارك في الحياة العامة .

وربما ذاب الحسيديون من جديد في فرقة الأسنيين بعد ثورة المكابيين، وقبلوا حياتهم، وهذا ما أكّده الباحث محمد فوزي حميد في كتابه «عالم الأديان» فقال: الحسيديم حَرَّمت القرابين والأضاحي، وتميزت بكثرة مناسبات الغسل والطهارة في شعائرها، وأنكرت التفرقة العنصرية، وقررت مبدأ المساواة بين جميع الناس[1]، وعملت على إلغاء الحروب، وطالبت بالعيش بسلام بعد أن ذاقت ويلات الحروب في ثورة المكابيين، وعدم إيذاء أحد من الناس على اختلاف مِلَلِهم وعقائدهم، وحَرَّمت طُرُقَ الكسب غير المشروع، وحَرَّمت الرقَّ والعبودية، والمِلَكِيَةَ الفردية، وهذه المبادئ تختلف تمام الاختلاف عن اليهودية التي صاغها عزرا، ولهذا، أستطيع أن أقول: إن هذه الفرقة مع الأسنيين حاولوا العودة إلى الديانة الموسوية الأصلية لولا تحريم الزواج والتبتل الذي فرضه الأسنيّون على جماعتهم.

2 ـ الفريسيّون:

1 ـ تمثل هذه الفرقة القاعدة الصلبة اليهودية، وعليها يعتمد جمهور اليهود. وهم متعصبون أشدّ حدود التعصب، يقاومون كل تطور، ويتمسكون بحرفية النص ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، يعتقدون أن التوراة بأسفارها الخمسة خُلقت منذ الأزل، وكانت مدوَّنة على الألواح، وقد نصّت التوراة على هذا الكلام: اذكر يا إسرائيل ولا تنس كيف أسخطتَ الرب إلهك في البرية من اليوم الذي خرجتَ فيه من أرض مصر حتى أتيتم إلى هذا المكان، كنتم تقاومون الرب، حتى في حوريب أسخطتم الرب، فغضب الرب عليكم ليبيدكم، حين صعدت إلى الجبل لكي آخذ لوحي الحجر لوحي العهد الذي قطعه الرب معكم، أقمت في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلةً لا آكل خبزاً ولا أشرب ماءً، وأعطاني الرب لوحي الحجر المكتوب بأصبع الله وعليهما مثل جميع الكلمات التي كلمكم بها الرب في الجبل من وسط النهار في يوم الاجتماع، وفي نهاية الأربعين نهاراً والأربعين ليلة، لما أعطاني الرب لوحي الحجر لوحي العهد، قال الرب: قُمْ، انزلْ عاجلاً من هنا لأنه قد فسد شعبك الذي أخرجته من مصر، زاغوا سريعاً عن الطريق التي أوصيتهم، صنعوا لأنفسهم تمثالاً مسبوكاً. تثنية 9/ 7 ـ 12/ . كما ورد ما يشابه هذا الكلام في سِفر الخروج وبشكل أكثر تفصيلاً.

---

(1) حميد فوزي محمد، عالم الأديان، ص: 358.

وهذه الألواح مقدسة. ولهذا، حينما كسرهما موسى في غضبه مـن شعبه أمره الله أنْ ينحت لوحين جديدين ليكتب الله له ما كتب في المرة الأولى، والألواح هي ألواح مقدسة عند الله مكتوبة قبل أن يخلق آدم ب ـ / 22/ قرناً، وحينما أُنزلا على موسى ليس العمل إلا تدوين نسخة جديدة.

ويعتقد الفريسيون في البعث وقيام الأموات، ويؤمنون بالملائكة والعالم الآخر.

ويرى الفريسيون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة التي يُعتمد عليها، وإنما هناك ـ بجانب التوراة ـ روايات شفوية، بل إنها بحدّ ذاتها أقدم من التوراة، وأقدس، وتلك الروايات حينما دُوِّنت سُمّيت بالتلمود، والتلمود جزءان؛ الصغير المشنا، والجمارا هي شرح للمشنى. واسمع قصة المشنى والتلمود كما رواها الهندي العثماني نقلاً عن آدم كلارك: وقرأ القانون غير المكتوب (المشنى) أعني الروايات اللسانية على يوشع، وصعد على جبل نبو في اليوم السابع من الشهر، ومات هناك، وفوض يوشع بعد في أن يوزع هذه الروايات إلى المشايخ، وهم فوّضوا إلى الأنبياء، فكان كل نبي يوصلها إلى نبي آخر إلى أن وصل إرميا، ومن إرميا إلى باروخ إلى عزرا، ومن عزرا إلى مجمع العلماء الذي كان شمعون صادق آخرهم، وهو أوصلها إلى ابنتي كونوس، وهو إلى بوني بن بحنان، وهو إلى يونس بن يوسير، وهو إلى تنهان الأريلي، ويوشع بن برخيا، وهما إلى يهودا بن يحيى وشمعون بن شطا، وهما إلى شمايا وأبي طليون، وهما إلى هلل، وهو إلى ابنه شمعون، والمظنون أن شمعون هذا هو الذي أخذ وبنا المتجي على يديه، إذ جاءت مريم إلى الهيكل بعد ما تم أيام تطهيرها، وهو أوصل إلى كملئيل ابنه، وعن كملئيل تعلم بولس، وهو أوصل إلى شمعون ابنه وهو إلى كملئيل ابنه، وهو إلى شمعون ابنه، وهو إلى الرباني يهوذا هدوش ابنه، وجمع يهوذا هذا هذه الروايات في كتاب مقدس (سماه مشنا) ثم قال:

إن اليهود يعظمون هذا الكتاب تعظيماً بليغاً، ويعتقدون أن ما فيه كله من جانب الله، أُوحي به إلى موسى على جبل سيناء مثل القانون المكتوب، ولهذا، هو واجب التسليم مثله، ومنذ صُنف هذا الكتاب صار رائجاً بينهم رواجاً تاماً بالتدريس والدرس، وكتب عليه علماؤهم الكبار شرحَين أحدهما في القرن الثالث في طبرية، والثاني في ابتداء القرن السادس في بابل، واسم كل من هذين الشرحين جمارا، ومعناهما الكمال، وقد حصل التوضيح التام

للمتن في هذين الشرحين في ظنهم، وإذا جُمع الشرح والمتن يقال لهذا المجموع: تلمود، ويقال للتمييز: تلمود أورشليم، وتلمود بابل، وكان مذهبهم الرايج الآن كله مندرج في هذين التلمودين اللذين كُتُب الأنبياء خارجة عنهما، ولما كان تلمود أورشليم مغلقاً فلذلك الآن اعتبار تلمود بابل عندهم زايد[1].

وقد وقف الفريسيون في وجه أي دعوة إصلاحية، وحاربوها، وكانوا السبب في أكثر من كارثة لليهود نُعدِّدُ منها:

2 ـ حرب اليهود؛ ثورة المكابيين: مرَّ معنا أن قسماً من اليهود اتبع الحضارة الإغريقية، وترجموا الكتاب المقدس إلى اليونانية بينما رفض الحسيديون الذين انشق عنهم الفريسيون مطاوعة التيار السائد، وأنكرت على بني جنسها ميلهم الشديد إلى نسيان لغتهم، وعاداتهم ودينهم وعباداتهم، وحاولت أنْ تحافظ على تقاليدها الخاصة، وكان لتعصبها هذا أنْ أثارت منذ سنة **200** قبل الميلاد نقمة بعض الحكام السلوقيين إلى إكراه هذه الفئة بالقوة على تغيير دينهم ومعتقداتهم مما زاد الحالة سوءاً، وأدى إلى حدوث ثورات عديدة من قبلهم ضدّ الحكم السلوقي.

أما الشرارة التي اندلعت منها نيران ثورة المكابيين فهي وصول رسول إغريقي إلى قرية مودين ليجبر الأهالي على عبادة الأوثان.

قام الكاهن متاتياس، وفتك به، وحَرَّض الناس على خلع طاعة السلوقيين، وأخذ يهيئ نفسه للدفاع عن قريته، وقام أولاده الخمسة بمساعدته، ولما مات متاتياس خلفه في قيادة الثورة ابن يهوذا المكابي، وانتصر على السلوقيين في موقعتين كبيرتين عُرفت الأولى باسم معركة بيت عور، وعُرفت الثانية باسم معركة بيت حور، ووقع يهوذا المكابي قتيلاً سنة **161** ق. م، وخلفه أخوه يوناثان، واغتاله أحد المقربين إليه، فقام من بعد أخوه سمعان الذي تقرَّبَ إلى الرومان تارة وإلى اليونان تارة، ولكن صهره بطليموس قتله وقتل جميع أولاده إلا واحداً منهم نجا من القتل يُسمّى هركانوس الذي استطاع أن يجمع في يديه السلطتين الدِّينية والمدنية معاً. ولما جاء ابنه أرسطو بولس الأول لَقَّبَ نفسه بلقب ملك، وصار للمكابيين ملكية اسمية، ولكن أرسطو بولس كان سيئ السيرة الشخصية، كثير الآثام، ولم يترك معصية أو خطية إلا ارتكبها.

---

(1) رحمة الله بن خليل الهندي العثماني، إظهار الحق، ج1، ص: 71-71.

وسقطت القدس على يدي بومبيوس. وفي عهد أرسطو بولس - وقد شاور أرسطو بولس رجال المدينة في الاستسلام فأبى رجال الدِّين - فلم يصغ إليهم، وخرج بنفسه وبعض حاشيته، وسلّم نفسه إلى بومبيوس والمدينة.

لكنْ؛ بعد أن دخل بومبي مدينة أورشليم اجتمع الكهنة والتجؤوا إلى هيكل أورشليم ذي الحصون القوية والجدران الحجرية المتينة، واعتصموا بالهيكل عسى أن ينفعهم في الدفاع عن أنفسهم ضدّ الرومان، وألقى بومبيوس الحصار داخل المدينة على الهيكل.

ولم تُجْدِ الشجاعة فتيلاً، ولا التعصب شيئاً أمام قوة الرومان الذين نقبوا سور الهيكل، ودخلوا منه، وقتلوا المدافعين، ودخل القائد الروماني الهيكل؛ وهكذا كانوا السبب في تدمير الهيكل وذبح الكثير من اليهود وقتلهم. وأقام معبداً لجوبتر الإله الروماني.

3 - كانوا سبباً في ثورة باركوخبا مما اضطر تيتوس أن ينهي قصة مقاومتهم للاحتلال الروماني، فأعاد سيرة البابليين بترحيله اليهود من فلسطين قاطبة، ومَنْ بقي فيها لقي كثيراً من العذاب والهوان، إنْ نجا من القتل، ولم يبق في فلسطين إلا كل مُستضعَفٍ لا يقوى على الفرار، وقد أنكر جنسيته ودينه.

كما قاموا بثورة ضدّ السلوقيين مما اضطُر أنطيوخس الرابع إلى الدخول لهيكل أورشليم ثم أمر بحمل جميع ما في الهيكل من آنية وأدوات ثمينة وإخراجها من الهيكل ونقلها إلى أنطاكيا، وأقام هيكلاً وثنياً في أورشليم للإله الإغريقي زوس، وأجبر اليهود على تقديم القرابين له وعبادته عبادة الإله يهوه، وأباح المدينة لجنوده ثلاثة أيام قتلاً ونهباً. .

4 - قاوموا عيسى - عليه السلام - أشدّ المقاومة، ورأوه خارجاً عن الديانة اليهودية، وهو في الواقع لم يكن يدعو إلى هذه الديانة التي وضعها عزرا الكاتب، وقد رأينا موقفه من المرأة السامرية حينما قالت له: إنه يهودي، فقالت المرأة السامرية: كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية؟ لأن اليهود لا يعاملون السامريين، أجاب يسوع وقال لها: لو كنت تعلمين عطية الله ومَنْ هو الذي يقول لك أعطني لأشربَ لطلبتِ أنت منه فأعطاكِ ماءاً حياً. إنجيل يوحنا 4/ 9 - 19/ .

إذن، نفى عيسى - عليه السلام - أنْ يكون يهودياً، ورأى الفريسيون بحق أنه يُغَيِّر ديانتهم.

لهذا، وقفوا له بالمرصاد في كل حركة، وإليك بعض مواقفهم منه عليه السلام.

أ- في إنجيل متى:

1 - في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبت بين الزروع، فجاع تلاميذه، وابتدؤوا يقطفون سنابل ويأكلون، فالفريسيون لما نظروا قالوا له: هو ذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت. متى 12/ 1 - 2/ وبهذا، نقض لهم يوم السبت.

2 - أما الفريسيون فلما سمعوا قالوا: لا يخرج الشياطين إلا ببعلز بول رئيس الشياطين، فعلم يسوع أفكارهم، وقال: كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب، وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت، فإنْ كان الشيطانُ يُخرج الشيطانَ فقد انقسم ذاته فكيف تثبت مملكته؟ وإنْ كنتُ أنا ببعلز بول أُخرج الشياطين فأبناؤكم بمَنْ يخرجون، لذلك هم يكون قضاتكم. متى 12/ 24 - 27/ . وهكذا اتهم قضاتهم بعبادة الشياطين رداً على اتهامه.

3 - حينئذ جاء إلى يسوع كَتَبَةٌ وفريسيون الذين من أورشليم قائلين: لماذا يتعدّى تلاميذك تقليد الشيوخ فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً؟ فأجاب وقال لهم: وأنتم أيضاً لماذا تتعدّون وصية الله بسبب تقليدكم؟ فإن الله أوصى قائلاً: أَكْرِمْ أباكَ وأمكَ، ومَنْ يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً، وأما أنتم فتقولون: مَنْ قال لأبيه وأمه، قربان هو الذي تنتفع به مني فلا يكرم أباه وأمه، فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم. متى 15/ 1 - 6/ .

4 - وجاء إليه الفريسيون ليُجرِّبوه قائلين له: هل يحلُّ للرجل أن يُطلِّق امرأته لكل سبب؟ فأجاب وقال لهم: ما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى، من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذاً ليسا بعد اثنين، بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان. قالوا له: فلماذا أوصى موسى أن يعطي كتاب طلاق فتطلق؟ قال لهم: إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكنْ؛ من البدء لم يكن هذا. وأقول لكم: إن مَنْ طلق امرأته إلا بسبب الزنا، وتزوج بأخرى يزني، والذي يتزوج بمطلقة يزني. متى 19/ 2 - 9/ وهكذا قُيِّدَ الطلاق.

5 - حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين: يا معلّم، نعلم أنك صادق، ونعلم طريق الله بالحق، ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا ماذا تظن؟ أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا؟ فعلم

يسوع خبثهم وقال: لماذا تجربوني يا مراءون؟ أروني معاملة الجزية، فقدموا له ديناراً، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا: لقيصر، فقال لهم: أعطوا إذاً مالقيصر لقيصر، وما لله لله، فتعجبوا. متى 22/ 15 ـ 22/ .

وقد هاجم عيسى ـ عليه السلام ـ الفريسيين في كثير من المواقف، واسمع هذا الموقف من متى: ويل لكم أيها الكَتَبَةُ والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات والأرض قدام الناس، فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون، ويل لكم أيها الكَتَبَةُ والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعله تطيلون صلواتكم، لذلك، تأخذون دينونة أعظم، ويل لكم أيها الكَتَبَةُ والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً، ومتى حصل تضعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً. . ويل لكم أيها القادة العميان. . . ويستمر حتى نهاية الإصحاح 23 وهو يخاطبهم ويُقرِّعهم، ولو أردنا أن نعدد الأسباب التي قَرَّعَهُم من أجلها لرأيناها كثيرة.

ب ـ إنجيل مرقص :

1 ـ شفاؤه ليد الرجل اليابسة في يوم السبت.

ثم دخل أيضاً إلى المجمع، وكان هناك رجل يده يابسة، فصاروا يراقبونه هل يشفيه في يوم السبت ليشتكوا عليه، فقال للرجل الذي له اليد اليابسة: قم في الوسط، ثم قال لهم: هل يحلُّ لكم في السبت فعل الخير أو فعل الشر، تخليص نفس أو قتل؟ فسكتوا. مرقس3/ 1 ـ 4/ .

2 ـ وجاء أيضاً إلى أورشليم، وفيما هو يمشي في الهيكل أقبل إليه رؤساء الكهنة والكَتَبَة والشيوخ، وقالوا له: بأي سلطان تفعل هذا؟ ومَنْ أعطاك هذا السلطان حتى تفعل هذا؟ فأجاب يسوع وقال لهم: وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة أجيبوني فأقول لكم بأي سلطان أفعل هذا، معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس أجيبوني؟ ففكروا في أنفسهم قائلين: إنْ قلنا: من السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا به، وإنْ قلنا: من الناس، فخافوا الشعب لأن يوحنا كان عند الجميع أنه بالحقيقة نبي، فأجابوا وقالوا ليسوع: لا نعلم. فأجاب يسوع وقال لهم: ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا. مرقس 11/ 27 ـ 33.

جـ - إنجيل لوقا:

1 - اتهامه بالتجديف.

وفي أحد الأيام كان يعلم، وكان فريسيون ومعلّمون للناموس جالسين، وهم قد أتوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم، وكانت قوة الرب لشفائهم، وإذا رجال يحملون على فراش إنساناً مفلوجاً، وكانوا يطلبون أن يدخلوا به، ويضعوه أمامه. ولما لم يجدوا من أين يدخلون به لسبب الجمع صعدوا على السطح، ودلّوه مع الفراش من بين الآجر إلى الوسط قدام يسوع، فلما رأى إيمانهم قال له: أيها الإنسان، مغفورة لك خطاياك، فابتدأ الكَتَبَةُ والفريسيون يفكّرون قائلين: مَنْ هذا الذي يتكلّم بتجاديف؟ مَنْ يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده؟ فشعر يسوع بأفكارهم، وأجاب وقال لهم: ماذا تفكرون في قلوبكم أيما أيسر أنْ يقال مغفورة لك خطاياك أم أنْ يقال قم وامش؟ لوقا **5/ 17 - 23/** .

2 - ولما سأله الفريسيون عن ملكوت الله.

ولما سأله الفريسيون عن ملكوت الله أجابهم وقال: لا يأتي ملكوت الله بمراقبة، ولا يقولون هوذا أو هوذا هناك لأن ملكوت الله داخلكم. لوقا **17/ 20 - 21/** .

3 - ولما قرب عند منحدر جبل الزيتون ابتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون، ويسبحون الله بصوت عظيم لأجل جميع القوات التي نظروا قائلين مبارك الملك الآتي باسم الرب بسلام في السماء ومجد في الأعالي، وأما بعض الفريسيين من الجمع فقالوا له: يا معلّم، انتهر تلاميذك، فأجاب وقال لهم: أقول لكم إنه إنْ مكث هؤلاء فالحجارة تصرخ. **19/ 37 - 40/** .

د - إنجيل يوحنا: اعتراف بعلم عيسى - عليه السلام -.

1 - كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس اليهود، هذا جاء ليلاً وقال له: يا معلم، نعلم أنك قد أتيتَ من الله معلماً، إذن، آمن نيقوديموس بأن يسوع مرسل من الله سبحانه وتعالى، ولهذا أتاه ليلاً لئلا يشعر به أبناء جلدته، ولكنه لم يعلن إيمانه، أو لنقل رفض أن يعلنه خوفاً من الفريسيين الآخرين، لأن ليس أحد يقدر أنْ يعمل هذه الآيات التي تُعمل إنْ لم يكن الله معه. يوحنا **3/ 1 - 2/** .

2 ـ محاولتهم إمساكه :

سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه، فقال لهم يسوع: أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبونني، ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أنْ تأتوا. يوحنا 7/ 33 ـ 34/ .
ولم يفهم اليهود ماذا يقصد عيسى ـ عليه السلام ـ.

3 ـ المرأة الزانية:

ثم حضر إلى الهيكل في الصبح، وجاء إليه جميع الشعب، فجلس يعلّمهم، وقدم إليه الكَتَبَةُ والفريسيون امرأة أُمسكت في زنا، ولما أقاموها في الوسط قالوا له: يا معلّم، هذه المرأة أُمسكت وهي تزني بذات الفعل، وموسى أوصانا في الناموس أنَّ مثل هذه تُرجم، فما تقول أنتَ؟ قالوا هذا ليجربوه، لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه، وأما يسوع فانحنى إلى أسفل، وكان يكتب بأصبعه إلى الأرض، ولما استمروا يسألونه، انتصب، وقال لهم: مَنْ كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر، ثم انحنى أيضاً إلى أسفل، وكان يكتب على الأرض، وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين، وبقي يسوع وحده، والمرأة واقفة في الوسط، فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة، قال لها: يا امرأة، أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما دانك أحد؟ فقالت: لا أحد يا سيد، فقال لها يسوع: ولا أنا أدينك، اذهبي، ولا تخطئي هنا. يوحنا 8/ 2 ـ 11/ .

هذه مواقف الفريسيين من يسوع عليه السلام، حتى إنهم ـ كما يقول الإنجيل ـ كانوا سبباً في القبض عليه وصلبه، وتآمروا عليه وأرادوا قتله كما يقول القرآن الكريم، ولكنهم لم يصلوا إليه، وانتهت دعوة عيسى ـ عليه السلام ـ برفعه إلى السماء.

وكان الفريسيون من اليهود أشدّ الناس خصومة لعيسى ـ عليه السلام ـ ولكل مَنْ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وقد رأينا تنديد عيسى ـ عليه السلام ـ بالكَتَبَةِ والفريسيين، ونقلنا بعضاً من تنديده بهم من الأناجيل الأربعة، وأنذرهم بالويل لانحرافهم عن الفضيلة والدِّين وملكوت الله وتكالبهم على الدنيا.

وقد صاغ الفريسيون حزباً بين بعضهم، وهم الذين حملوا فيما بعد اسم الحاخامين؛ أي معلّمي الشريعة، وأقاموا تفسيرات كثيرة حسب اجتهادهم. ولهذا السبب فقد ضلّوا وأضلّوا في محاولتهم لتفسير بعض طلاسم التوراة مستشهدين في ذلك بطلاسم أخرى وصفها الكَتَبَةُ الفريسيون في الأسفار الأخرى.

ويضرب الكاتب الباحث أحمد سوسة مثالاً لما فعله الكَتَبَةُ الفريسيون من هذا التخبط جنة عدن، حيث حدثت قصة التكوين. والواقع إنها قصة أسطورة مأخوذة من أساطير البابليين، اقتبسها الفريسيون، وكان عليهم إيجاد موقع مناسب لها، فاختاروا جنة عدن.

واختار الفريسيون هذا الموقع اعتباطاً من وصف حزقيال لجنة الله، وبالغوا، مما أضاع الكثير من الباحثين إلى يومنا هذا.

أما وصف حزقيال لعدن جنة الله فهو وصف ينطبق على جنوبي العراق، ولم يكن لهذا الموقع أية علاقة مع قصة التكوين عند حزقيال[1].

ويعطي الكاتب الباحث أحمد سوسة أمثلة كثيرة على هذا التحريف، والواقع أننا قلنا إن التوراة التي بين أيدينا إذا استثنينا سِفر التثنية فإنه يبقى لدينا ثلاثة تقاليد:

1 ـ الإيلي.

2 ـ اليهوي.

3 ـ الكهنوتي.

والاتجاه الكهنوتي هو الذي كتبه الكَتَبَةُ والفريسيون، وهو القسم الأكبر من التوراة التي بين أيدينا، وإليك هذا الجدول نقلاً عن موريس بوكاي لسِفر التكوين وما فعله الكهنوت فيه:

---

(1) د. سوسة أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ج1، ص: 49.

من الإصحاح	الآية	إلى الإصحاح	الآية	المصدر
1	1	2	4أ	كهنوتي
2	4ب	4	26	يهوي
5	1	5	32	كهنوتي
6	1	6	8	يهوي
6	9	6	22	كهنوتي
7	1	7	5	يهوي
7	6	-	-	كهنوتي
7	7	7	10	معدّل
7	11			كهنوتي
7	12			يهوي
7	13	7	16أ	كهنوتي
7	16ب	7	17	يهوي
7	18	7	21	كهنوتي
7	22	7	23	يهوي
7	24	8	2أ	كهنوتي
8	2ب			يهوي
8	3	8	5	كهنوتي
8	6	8	12	يهوي
8	13أ	8		كهنوتي
8	13ب			يهوي
8	14	8	19	كهنوتي
8	20	8	22	يهوي
9	1	9	17	كهنوتي
9	18	9	27	يهوي
9	28	10	7	كهنوتي
10	8	10	19	يهوي
10	20	10	23	كهنوتي
10	24	10	30	يهوي
10	31	10	32	كهنوتي
11	1	11	9	يهوي
11	10	11	32	كهنوتي

وهكذا يظهر لنا أن سفر التكوين كله صُنعُ تيارين: اليهوي والكهنوتي، ولا يظهر - حسب رأي موريس بوكاي - التيار الإيلي في سفر التكوين، بينما للأب اصطفان شربنتيه رأي آخر، فهو يرى أن قطع العهد مع إبراهيم هو اتجاه إيلي، ويناقش الروايتين معاً بين الكهنوتي واليهوي:

1 - يختلف العلم الكامن في هاتين الروايتين، فالأرض تظهر في التكوين اليهوي بمظهر واحة وسط الصحراء، أما في الكهنوتي فهي جزيرة في وسط المياه، والله يجري عدة عمليات فصل، فيصل اليبس ليجعل الإنسان فيه.

2 - في التكوين اليهوي يخلق الرجل أولاً ليفلح الأرض، ثم تأتي المرأة. أما في التكوين الكهنوتي فالإنسان (الرجل والمرأة) يخلق في آخر الأمر، وهذه طريقة أخرى في إظهار كرامة الإنسان، ففي موكب طقس يمشي الأول رتبة آخر الكل، والمخلوق هو الإنسان، ثم يضاف أنه ذكر وأنثى.

أما خلق العالم وعبور البحر:

هنالك وجوه شبه بين هذين النصين، فالله يتكلم ويعمل (مباشرة أو بواسطة موسى)، ويفصل بين المياه لكي يظهر اليبس، فالكاتب يظهر التحرير كعمل من أعمال قدرة الله الخالق، ويظهر خلق العالم كعمل من أعمال الله المحرر الذي يريد أن تكون جميع الشعوب والبشرية كلها حرة لا شعب واحد فقط هو إسرائيل[1].

وهكذا لعب جماعة الفريسيين في كتابة التوراة دوراً مهماً، وإلى هذا أشار الدكتور سوسة في كتابه الشريعة فقال: وضع الكَتَبَةُ البابليون الشريعة، وكما قال الدكتور روبن اتخذوا إجراءات استثنائية لعزل اليهود عن باقي العالم، ونظموا حياتهم الخاصة تنظيماً دقيقاً قاسياً، وفرضوا عليهم شروطاً حياتية تجعلهم تحت رحمة رؤسائهم ما داموا أحياء، بل وجعلوا منهم فئة محقوداً عليها، بل محارَبة من باقي العالم عن سابق قصد وتخطيط لا يحسدون عليه إطلاقاً.

ولقاء ذلك الثمن الباهظ الرهيب أعطوهم الوعد بتملّك العالم، لكنْ؛ بتاريخ لم يُحدَّد[2].

---

(1) الأب شربينيه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، صفحة 72.

(2) د. سوسة أحمد، العرب واليهود في التاريخ، الجزء الأول، صفحة 52.

وقد وقف الفريسيون على طرفي نقيض مع الصدوقيين، وحاربوهم حرباً شديدة لا هوادة فيها، ففي الثورة المكابية اتفق الفريسيون مع الملكة شالوم اكندرة / 78 ـ 69/ ق. م، وعقدوا صلحاً بعد أن كان الحكام السابقون متفقين مع الصدوقيين، ولكن انقسام المملكة بين هركانوس وأرسطوبولس بعد ذلك أضعف شوكتهم.

ومن مظاهر تطور الفكر الدِّيني عند الفريسيين بروز فكرة الإيمان بالله مع الاعتقاد الواضح في وجود الشيطان، وهي عقيدة لم يكن العبريون القدماء أدخلوها في نصوص التوراة، وتبعاً لذلك توسع الفريسيون في الكلام عن الملائكة على أنهم المؤتمرون بأمر الله، القائمون في خدمته، كما توسعوا في الكلام عن الأبالسة والجن والعفاريت على أنهم المؤتمرون بأمر الشيطان، القائمون في خدمته، ولو كان هذا أمراً جيداً يضاف إلى الوضوح والبروز في الاعتقاد في مجيء المسيح وإقامته مملكة الله على الأرض، وفي اليوم الآخر.

وأول ما ورد من ذكر للشيطان في سفر العدد، وقد سُمّي اسم عزرائيل اسماً للشيطان، ولعل هذا الأثر قد أخذه جماعة الكَتَبَة والفَريسيين عن بابل والفرس.

أما في سِفر أيوب فقد غدت قصة الشيطان واضحة، فهو يجلس في مجمع الآلهة:

وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم، فقال الرب للشيطان: من أين جئت؟ فأجاب الشيطانُ الربَّ وقال: من الجَوَلان في الأرض ومن التمشي فيها، فقال الرب: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب، لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر؟ فأجاب الشيطانُ الربَّ وقال: هل مجاناً يتقي أيوبُ اللهَ؟ أيوب 1/ 6 ـ 9/ .

ولهذا، كل ما جاء من ملائكة وشياطين وما شابههم إنما وفد إلى التوراة على لسان الكَتَبَة الفريسيين، ويؤكد الدكتور صابر عبد الرحمن طعيمة على أن الفريسيين قد قاموا منذ بداية عزرا وساهموا معه في كتابة التوراة: وبعد أن استرد عزرا السجلات القديمة للديانة نشأ في أورشليم بطريقة غير ملحوظة طائفتان مشهورتان: الصدوقيون والفريسيون، والتزم الأولون ـ وهم من أغنى وأبرز طبقات المجتمع ـ التزاماً شديداً بالمعنى الحرفي لشريعة موسى، وأضاف الفريسيون إلى سلطة الأسفار المنزلة سلطة التقاليد والأعراف حيث تقبّلوا ـ باسم التقاليد والأعراف ـ بعض الأفكار النظرية في فلسفة الأمم الشرقية، أو في ديانتها، وكان في عداد هذه

الأركان الجديدة للعقيدة نظريات القضاء والقدر والملائكة والأرواح والحياة الثانية بما فيها من ثواب وعقاب[1].

وهم حَرْفيون يفهمون الطقوس بحرفيتها، ولهذا، اصطدموا مع عيسى عليه السلام.

والباحثون كلهم يؤكدون أن هذه التوراة التي بين أيدينا ليست إلا من نسج الفريسيين وخيالهم، ولهذا، لا نستبعد أن يكون عزرا أحد العناصر الفريسية أو هو الذي أنشأها، وهم ينسبون هذه الأفكار إلى موسى، ويعلمون تمام العلم أن (موسى) لا علاقة له بهذا الكلام كله.

3 ـ الأسنيون :

لم نكن نعرف قبل اكتشاف مخطوطات قمران عن هذه الفرقة إلا القليل القليل، ولما كُشفت هذه المخطوطات انكشف لنا وجهها بشكل شبه واضح، فَمَنْ هذه الفرقة؟ وما أهدَافها؟ هل هي تميل إلى الفريسيين أم إلى الصدوقيين؟ هل هي متعصبة أم متسامحة؟ هل هي أقرب إلى اليهودية، أم أنها نواة المسيحية، والمسيح ـ عليه السلام ـ كان واحداً من أتباعها؟

وكان السؤال المطروح هو إلى أي حدّ تمثل السبعونية تقليداً مستقلاً تمام الاستقلال؟

وإلى أي حدّ ساهم المترجمون في إزالة الغموض عن هذه الفرقة، وقد بقي هذا السؤال معلقاً دون جواب حتى عام **1948**، حين بدأت الوثائق المعروفة بمخطوطات البحر الميت أو وادي قمران تظهر تباعاً من كهوف وادي قمران عند البحر الميت، ومنها لفائف تحتوي على أجزاء متفرقة من أسفار موسى الخمسة.

وقد أرجع الباحثون أقدم نص بينها إلى نهاية القرن الثالث ق.م، بينما تتوزع بقية الوثائق التوراتية على مدى القرن الثاني ق.م، في أيام الثورة المكابية، وأكدت لنا مخطوطات البحر الميت وجود أصول عبرية قديمة لنصوص توراتية منذ تكوين طائفتهم الصغيرة في القرن الرابع ق.م، ويعتقدون بتوراة لا تحتوي إلا على أسفار موسى الخمسة، ويعتقدون ببطلان ماعداها، وهذه تختلف مع النص التقليدي في ستة آلاف موضع بينها، في **1900** موضع تأتي متفقة مع الترجمة السبعونية، وتعود أقدم نسخها إلى القرن الحادي عشر الميلادي، رغم أن السامريين يعتقدون بأنها ترجع إلى أيام موسى نفسه، كان علماء الكتاب يقفون موقف الحذر من الأسفار

---

(1) طعيمة صابر عبد الرحمن، اليهودية بين الدِّين والتاريخ، صفحة **342**.

السامرية معتقدين أن الاختلافات إنما هي من صنع السامريين لتثبيت معتقداتهم في مواجهة اليهود والدفاع عن وجهات نظرهم تجاههم.

إلا أن مخطوطات البحر الميت قد أثبتت وجود أصل قديم عبري للتوراة السامرية، ففي الكهف الرابع من كهوف قمران تم العثور على بقايا من مخطوط قديم لأسفار موسى الخمسة يتفق مع التوراة السامرية ضدّ النص التقليدي والترجمة السبعونية، الأمر الذي أثبت أصالة كتاب السامريين وقِدَمَه وانتسابه إلى تقليدٍ مستقلٍّ بذاته له من المشروعية ما للنص التقليدي.

هذه الطائفة المنشقة عن اليهودية ـ والتي هجرت الثورة المكابية واعتزلت في الجبال ـ لم تكن إلا الطائفة الأسنية، وكانت تحتفظ إلى جانب نصوصها الخاصة بنصوص توراتية تنتمي إلى تقاليد متعددة دون أن تلزم نفسها بتقليد معين.

ومن المؤكد أن تعدد هذه التقاليد هذا هو الذي حث مجمع جمنيا على تثبيت النص التوراتي بشكل نهائي باعتماد أحد التقاليد وعَدّه المثل الحقيقي للكتاب المقدس.

ولا يهمنا الآن هذه التقاليد، وإنما الذي يهمنا هذه الفرقة التي فرت بدينها من الحكم المكابي الصدوقي أولاً، والفريسي ثانياً، وكانت هذه الفرقة هي فرقة الأسنيين أو المتطهرين، فَمَنْ هذه الفرقة؟ وما عباداتها؟

تتألف هذه الفرقة من رجال بالغوا في النظافة كثيراً حتى أنهم شُهروا بالمتطهرين أو المغتسلين لكثرة ولعهم بالنظافة والتطهر والغسل بالماء، ويزعم كثير من الباحثين أن يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) هو أحد تلامذتهم أو أحد أفرادهم.

ولهذا، ابتدؤوا التعميد بالماء في الأردن، ولم يرد التعميد بالماء في التوراة وخاصة في الأسفار الخمسة التي نُسبت إلى موسى، ولهذا، فالتعميد الذي تعمَّده اليسوع ـ حسب الرواية الإنجيلية ـ لم يكن إلا من تقاليد الأسنيين، ولهذا، ارتأى أيضاً الكثير من الباحثين أن يسوع ويحيى ـ عليهما السلام ـ لم يكونا إلا فردين من أفراد هذه الفرقة الأثينية.

وكان التعميد خاصة بين أفراد هذه الفرقة معروفاً، ولهذا، لم ينكر الفريسيون تعميد يسوع بينما أنكروا عليه أموراً أخرى وردت معنا في فقرة سابقة. بل إن يحيى عُرف بيوحنا المعمدان تمييزاً من غيره لاتخاذه التعميد وسيلة.

وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرر في برية اليهودية قائلاً: توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات، فإن هذا هو الذي قيل عنه بأشعيا النبي القائل: صوت صارخ في البرية: أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة. متى 3/ 1 ـ 2/ .

كان لباسه من وبر الإبل، وعلى حقويه منطقة من جلد، وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً، حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية، وجميع الكورة المحيطة بالأردن، واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم. متى3/ 4 ـ 5/ .

حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن، إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكنّ يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أَنْ أعتمد منك، وأنْ تأتي إليَّ، فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن، هكذا لا يليق بنا أن نكمل كل بر، حينئذٍ سمح له، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. متى 3/ 13 ـ 16/ .

هذه الحياة التي يعيشها الأسنيون حياة متقشفة، وأعضاء هذه الفرقة يُراعون طقوس السبت، ولهذا، وقف اليهود ضدّ عيسى في خرقه السبت، ويؤدون الصلاة، ويستغرقون في فترات صمت طويلة، وكثير منهم مَنْ يظل دون زواج، وقد كان الانضمام إليهم لا يتم إلا بعد فترة اختبار عنيف قد تمتد سنوات، وهذه الفرقة كانت تعتقد بيوم القيامة، وخلود الروح، ويمكن معرفة معتقداتهم ومظهرهم العام ضمن النقاط الآتية:

1 ـ الاعتزال عن الناس، والذي بدا لنا ـ من خلال حياة يحيى وعيسى عليهما السلام ـ أنهما خالفا هذه القاعدة، لأنهما رسولان يجب أن يُبلِّغا الدعوة والرسالة، بينما اعتزلت هذه الفرقة وعاشت في الجبال والكهوف قريباً من بحر الميت.

وهم متضامنون وخاصة بعد أنْ يقسم أحدهم اليمين التي ينضم فيها إلى هذه الفرقة، ثم لا يحلفون بعده يميناً.

2 ـ اللباس الأبيض والحرص على النظافة، وقد رأينا أن لباس يحيى ـ عليه السلام ـ كان خشناً من وبر الجمال، ولكنه كان نظيفاً.

3 ـ المعيشة الجماعية، ويتولى كل واحد منهم مهمة من مهمات الحياة اليومية، وحياتهم أقرب إلى الحياة الاشتراكية، فليس لأحدهم شيء خاص به.

4 - الاهتمام بالأناقة وتهذيب شعر الرأس واللحية والتطهير بالاغتسال والغطاس في الماء، ومن هنا جاء التعميد للأطفال والناس، وكان يوحنا يُعَمِّدُ الناس بالماء، ولهذا، سُمّوا بالمتطهرين.

5 - كانوا يُصلّون وصلاتهم كانت عند شروق الشمس، وقد اختلفت صلاتهم هنا عن صلاة اليهود، وقد تأثروا بهذه الصلاة بصلاة المجوس والمصريين، ويُسمّونها صلاة الأسلاف.

6 - يُحَرِّمُون الذبيحة، ويعدّونها سفكاً للدماء، ورأى بعض العلماء أنهم متأثرون بالفلسفة الهندية.

7 - كان لهم تنظيم داخلي دقيق في فرقتهم، ففي كل دار يعيشون فيها لهم رئيس يُعظمونه ويطيعونه، وكانت الطاعة عمياء والأوامر صارمة.

8 - التقشف والقناعة، وربما كان علماؤهم يحترفون الطب، وقد رأينا في الأناجيل أن عيسى - عليه السلام - كان يعمل في شفاء الأمراض وإحياء الموتى، ومَنْ يقرأ الأناجيل والقرآن الكريم يرى أن معجزات عيسى - عليه السلام - في شفاء الأمراض المستعصية، كالأكمه والأبرص والمقعد والموتى بإذن الله.

9 - يُحَرِّمُون على أنفسهم الزواج، وهذه النقطة تمثل تناقضاً صارخاً مع ما جرى عليه العرف الدِّيني اليهودي وضرورة الزواج، وكان اليهود يتزوجون في ذلك الوقت أكثر من امرأة، ويعدّون المرأة ملكاً من ممتلكات الرجل يحقُّ له أن يتصرف بها كما يشاء.

10 - يُحَرِّمُون الرق والاستعباد، وهذا التحريم مخالف لنص التوراة، ولو رجعنا إلى سفر اللاويين لرأينا فيه، وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم، منهم تقتنون عبيداً وإماء، 25/ 44، وقد أحلت التوراة استعباد العالم كلهم حتى المستوطنين الذين يسكنون مع اليهود اللاويين. 25/ 45/ .

11 - ذهب جنيبر إلى أنهم يُحَرِّمُون أكل اللحم، وقد رأينا أنهم يعدّون الذبح سفكاً للدم، وكانوا نباتيين، ومن هنا جاء تحريم اللحوم وما يخرج من كل نفس حية أياماً معدودة من كل سنة في الديانة المسيحية، وهذا التحريم الذي اعتقده الأسينيون لم يكن إلا أثراً فارسياً هندياً دخل إلى اليهودية.

12 ـ كانوا يؤمنون بضرورة التمسك بالتوراة وأحكامها ولو جرَّ ذلك عليهم القتل، ولهذا، فرّوا بدينهم، وسكنوا المغاور والكهوف، وللسبب نفسه أُعدم يحيى ـ عليه السلام ـ حينما وقف من هردوس الموقف المعروف فسمع هردوس الملك لأن اسمه صار مشهوراً، وقال: إن يوحنا المعمدان قام من الأموات، ولذلك تعمل به القوات، وقال آخرون: إنه إيليا.

وقال آخرون: إنه نبي أو كأحد الأنبياء، ولكنْ؛ لما سمع هيرودس قال: هذا هو يوحنا الذي أنا قطعتُ رأسه، إنه قام من الأموات. وذلك لأن هيرودس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه في السجن من أجل هيروديا امرأة فيليبس أخيه، إذ كان قد تزوج بها، لأن يوحنا كان يقول لهيرودس: لا يحل لك أن تكون لك امرأة أخيك، فحنقت عليه هيروديا وأرادت أن تقتله ولم تقدر، لأن هيرودس كان يهاب يوحنا، عالماً أنه رجل بار وقديس، وكان يحفظه، وإذ سمعه فعل كثيراً، وسمعه بسرور، وإذا كان يوم موافق لمّا صنع هيرودس في مولده عشاء لعظمائه وقواد الألوف ووجوه الجليل، دخلت ابنة هيروديا ورقصت فَسَرَّتْ هيرودس والمتكئين معه، فقال الملك للصبية: مهما أردتِ اطلبي مني فأعطيك، وأقسم لها أنْ مهما طلبتِ مني لأعطينك حتى نصف مملكتي، فخرجَت وقالت لأمها: ماذا أطلب؟ فقالت: رأس يوحنا المعمدان، فدخلت للوقت بسرعة إلى الملك وطلبت قائلة: أريد أن تعطيني حالاً رأس يوحنا المعمدان على طبق، فحزن الملك جداً ولأجل الأقسام والمتكئين لم يرد أن يردها. فللوقت أرسل الملك سيافاً وأمر أنْ يؤتى برأسه، فمضى وقطع رأسه في السجن، وأتى برأسه على طبق، وأعطاه للصبية، والصبية أعطته لأمها، ولما سمع تلاميذه جاؤوا، ورفعوا جثته ووضعوها في قبر. مرقس 6/ 14 ـ 29/ .

13 ـ هذه الفرقة تؤمن باليوم الآخر والمسيح، وهي بهذا تختلف عن بقية الفرق اليهودية الصدوقية وما شابهها.

14 ـ أكثر الفرق إيماناً بالقضاء والقدر.

15 ـ قَوِيَ بينهم تعاطي السحر والتنجيم وتأثير النجوم، وهذا ما أشار إليه الإنجيل في مجيء المجوسِ والنجوم ولما وُلد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه في المشرق، وأتينا لنسجد له، فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه، فجمع

كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح؟ فقالوا له: في بيت لحم اليهودية، لأنه هكذا مكتوب النبي، وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين أبناء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل، حينئذ دعا هيردوس المجوسَ سراً، وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر، ثم أرسلهم إلى بيت لحم. متى 2/ 1 ـ 8/ .

وهذا الأثر أتى لهم من الفرس المجوس أو من الديانة المزدوكية.

16 ـ كانوا يؤمنون بالأرواح والملائكة، ويعطونها أسماء، ويحاولون ـ بطقوس معينة ـ أنْ يُوجِّهوها إلى تحقيق ما يريدون، علماً أن الأرواح والملائكة قد وردت في كتاب صموئيل، ولم ترد قبل ذلك.

17 ـ يؤمنون بأن الله هو المتصرف في كل شيء، وهذا الإيمان يخالف إيمان اليهود في أن يهوه إله خاص لبني إسرائيل، وهم يختلفون عن اليهود بأن يهوه يخطئ، ويصحح له الأحبارُ أخطاءه.

18 ـ وكانوا يلتزمون بالفضيلة، ويبتعدون عن الشر، ولا يلجؤون إلى العنف.

ولهذا، ابتعدوا عن ثورة المكابيين، وانفردوا في هذه المغاور في وادي قمران قرب البحر الأحمر.

وقد يُطلَق على هذه الفرقة المغتسلين، ويؤلفون جماعة ذات قوانين صارمة لها صفة اشتراكية رغم الملكية الفردية ونظام الرق، يعيش أفرادها عيشة العباد الزاهدين بعيداً عن المدن، ويقيمون في المغاور والكهوف، ويحرصون على التقشف والنسك، ويُحَتِّمُون على أنفسهم الطهارة والغسل كل يوم صباحاً في مياه الينابيع الصافية.

وكانوا يفلحون الأرض، ويربون الماشية لتدبر أمر معيشتهم، ويشتركون في الطعام تبعاً لطقوس معينة خاصة. كما كانوا يرفضون القسم وحضور المراسم في الهياكل، وقد اكتُشِفَ نظام هذه الجماعة وعدد من كتبها بين مخطوطات قمران 1947. ويتحدث النظام عن رئيس الجماعة الذي يُسمّى معلّم العدالة.

ويذهب الباحثون إلى أن الأسنيين تأثروا بآراء البراهمة والبوذيين والفيثاغورثين التي كانت منتشرة في فلسطين ملتقى طرق التجارة العالمية في القرن الأول ق.م، ومن المحتمل أن

يكون يوحنا المعمدان قريباً منهم. كما آمنوا بيسوع الناصري على أنه أحد أنبياء بني إسرائيل المصلحين، لأنهم كانوا ينتظرون نزول المسيح لينشئ على الأرض ملكوت السموات ويحقق المساواة والسلام بين البشر، ومن الواضح أن آراءهم أثرت تأثيراً كبيراً في المسيحية، ولكنهم رفضوا دعوة بولس إلى العقيدة المسيحية المثلثة وظلوا متمسكين بالنواميس اليهودية. وقد عُرفوا بعد تدمير الهيكل باسم المسيحيين اليهود أو الأبيونيين.

4 ـ الغنوصيون:

هذه الفرقة ليست ذات أثر كبير في الحياة اليهودية ولا في اليهود، فقد جاءت متأخرة، إذ أننا لا نجد لهذه الفرقة ذكراً قبل المسيح عليه السلام.

وتأثرت الغنوصية بالعديد من الفلسفات والأفكار، فقد تأثرت بالأفلاطونية الحديثة وآراء أفلوطين. ويقوم مذهبهم على النقاط التالية:

1 ـ الإيمان برسالة موسى، وهم يعملون بتوراتهم في الكثير من شؤونهم، ولا يهتمون بالتلمود، وليس له أثر في حياتهم.

2 ـ يؤمنون بالله والملائكة والجن ويولون بعض الكواكب قدسية خاصة، وبخاصة نجوماً معينة كالمريخ وزحل وزهرة، ويقومون بشعائر معينة نحوها، وهم بهذا متأثرون بما في الديانة المزدكية والديانة المانوية الصابئية، وهم يختلفون عن المانوية بإيمانهم بموسى عليه السلام، فالمانوية لا تؤمن بموسى عليه السلام، ولكنها تؤمن بعيسى عليه السلام.

3 ـ يؤمنون بالمسيح واليوم الآخر، وهذا مما يدل على أنهم وُجدوا بعد المسيح بعدة قرون.

4 ـ يؤمنون بأن يحيى نبي مرسل وهو المسيح المنتظر ويمجّدونه في صلواتهم اليومية، وفي الوقت نفسه لا يعترفون بعيسى عليه السلام، لأنهم يرون أن المسيح سيأتي في آخر الزمن.

5 ـ أخذوا عن يوحنا (يحيى) ـ عليه السلام ـ شريعة التعميد وقدسية الزواج وتحريم الطلاق (وهو رأي الأناجيل) وتحريم تعدد الزوجات إلا زوجة ثانية في ظروف خاصة، كما أخذوا عن الطقوس المسيحية القربان المقدس.

6 ـ لهم أساطير دينية كثيرة معظمها يتعلق بالصلة بين البشر والكواكب كما يتعلق بعضها بالطوفان والأمطار.

الفصل الرابع

الإيمان بالنص التوراتي والشفوي

1 ـ الكَتَبَةُ .

2 ـ المسورون .

3 ـ المتعصبون .

4 ـ الربانيون .

5 ـ التلموديون .

6 ـ الناموسيون .

1 ـ الكَتَبَةُ :

عرفنا أن التوراة أُنزلت على موسى عليه السلام ، وهي كتاب موحى به إلى موسى ، وهو الرسول الخاص ببني إسرائيل ، وقد وُصفت التوراة بالقرآن الكريم بالصفات التالية :

أ ـ كتاب منزل كالقرآن والإنجيل ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ آل عمران : 3 .

ب ـ في التوراة تحريم الطعام والشراب الذي نهى عنه موسى عليه السلام : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ آل عمران : 93 .

ج ـ والتوراة كتاب معاملة بين المؤمنين بها : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة : 43 .

د ـ التوراة فيها هداية للبشرية ، وهي نور للبشرية كلها : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة : **44** .

هـ ـ إنها كباقي الكتب المنزلة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ التوبة : **111** .

و ـ إنها تبشر بالرسل الذين سيأتون بعد هـذا كالرسول العربـي صلى الله عليه وسلم : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف : **157** .

ز ـ التوراة كتاب تفصيل لكل شيء في الحياة : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام : **154** .

وهنالك آية أخرى تقول : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ الأعراف : **145** .

هذه الآيات كلها تؤكـد أن التـوراة كتـاب منزل مـن اللـه سبحانه وتعـالى ، شـأنها كشـأن الكتب الأخـرى ، وكمـا نـزل القـرآن الكريـم كذلـك أُنزلـت التـوراة ، فـالمصدر واحـد هـو اللـه سبحانه وتعالى ، ومن ثم اعترف كَتَبَةُ التوراة بأن هذا الكتاب هو من الله تعـالى ، واسمع هـذا النص الذي بين أيدينا في التوراة : حين صعدتُ إلى الجبل لكي آخذ لوحي الحجر لوحي العـهد الذي قطعه الرب معكم أقمتُ في الجبل أربعين نـهاراً وأربعـين ليلـةً لا آكـل خـبزاً ، ولا أشـرب ماءً ، وأعطاني الرب لوحي الحجر المكتوبين بأصبع اللـه ، وعليـهما مثـل جميـع الكلمـات التي

كلَّمكم بها الرب في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع، وفي نهاية الأربعين نهاراً والأربعين ليلة لما أعطاني الرب لوحي الحجر، لوحي العهد، قال الرب: قُمْ، انزل عاجلاً لأنه قد فسد شعبك الذي أخرجته من مصر. ولكنَّ موسى كسر لوحي الحجر - حسب ادعاء التوراة - حينما رأى قومه قد فسدوا.

في ذلك الوقت قال لي الرب: انْحَتْ لك لوحين من الحجر مثل الأولين، واصعد إليَّ إلى الجبل، واصنع لك تابوتاً من خشَب، فأكتب على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين اللذين كسرتهما، وتضعهما في التابوت، فصنعتُ تابوباً من خشب السنط، ونحتُّ لوحين من حجر مثل الأولين، وصعدتُ إلى الجبل واللوحان في يدي، فكتب على اللوحين مثل الكتابة الأولى الكلمات العشر التي كلَّمكم بها الرب في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع، وأعطاني الرب إياها، ثم انصرفتُ، ونزلتُ من الجبل، ووضعتُ اللوحين في التابوت الذي صنعتُ فكانا هناك كما أمرني الرب. تثنية **10/ 105/** .

تُرى هل اللوحان هما التوراة؟ أم أن التوراة شيء آخر؟ لنستقرئ في الأول التوراة، ثم نعود إلى القرآن الكريم بعد ذلك.

في التوراة الألواح فيها الوصايا العشر فقط ولا شيء غير ذلك، فالألواح غير التوراة، والتوراة هي الكتاب الذي وُجد بيننا، وهو سِفر التثنية كما يبدو من خلال كتابة سفر التثنية فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراةَ في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم، ليكون هناك شاهداً عليكم، لأني أنا عارف تمردكم، ورقابكم الصلبة، هو ذا وأنا حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي، اجمعوا إليَّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات، وأشهد عليهم السماء، والأرض، لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به، ويصيبكم الشر في آخر الأيام، لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم، فنطق موسى في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه. تثنية **31/ 24 - 30/** .

هذا المقطع حدَّدَ لنا كتابين لليهود:

1 - الألواح التي كتب الله كما يقولون بأصبعه.

2 ـ التوراة الكتاب الثاني والذي يتمثل عندهم في الأسفار الخمسة، وقد أكد سفر التثنية مرة أخرى أن التوراة هي كتاب غير الألواح، وكتب موسى هذه التوراة وسلّمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب، ولجميع شيوخ إسرائيل، وأمرهم موسى قالاً: في نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال، حينما يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يجتازه تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم أجمع الشعب والرجال والنساء والأطفال والغريب الذي في أبوابك لكي يسمعوا ويتعلموا أنْ يتقوا الرب إلهكم، ويحرصوا أنْ يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة، وأولادهم الذين لم يعرفوا يسمعون ويتعلمون أنْ يتقوا الرب إلهكم، كل الأيام التي تحيون فيها على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لكي تمتلكوها. تثنية 31/ 9 ـ 13.

أما القرآن الكريم فقد وحَّد بين التوراة والألواح، إذ وردت الآية: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام: **154**.

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ الأعراف: **145**.

والشيء الذي أسأله هو ما اللغة التي أُنزلت بها التوراة؟ هل اللغة هي الهيروغليفية؟

هل هي اللغة التي تكلمها موسى في مصر والتي عرفها بنو إسرائيل أم لغة كنعان حيث عاش بنو إسرائيل كما يدّعون في فلسطين؟

هذا السؤال لم يستطع أحد أن يجد له جواباً عن لغة التوراة، وتبقى هذه في مجاهل التاريخ، وهذه التوراة قد فُقدت تماماً ـ حسبما صرحت التوراة بذلك ـ حينما استولى الفلسطينيون على تابوت العهد، وبهذا، انتهت التوراة وأُنزل بديلاً منها الزبور.

وحينما بدأ عزرا والمسمّى بكاتب شريعة السماء بدأ عهد جديد وطبقة جديدة، هذه الطبقة الجديدة سُمّيت بطبقة الكَتَبَة، وهي تختلف عن طبقة اللاويين الكهنة، فالكهنة كُثُرٌ ولكن الذين يجيدون الكتابة قلائل، وسجلت التوراة على أيدي عزرا في اللغة الآرامية، وعرفنا كيف جمع عزرا التوراة، ولن نعود لنقاشها، ولكننا نناقش الآن هذه الطبقة.

فطبقة الكَتَبَة هي الطبقة التي صارت تتحكم في الكتاب المقدس العهد القديم، وقد وصف القرآن الكريم هذه الطبقة بأنها غيّرت، وحرّفت، وبدّلت، يُبدون منها ما يشاؤون، ويُخفون ما يشاؤون ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأنعام: **91**.

أما التحريف فقد وردت: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: **46**.

وقال أيضاً: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة: **13**.

وقد حرّف هؤلاء الآيات القرآنية عن معانيها وصاروا يقولون هذا من عند الله، وقد خص الله اليهود: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة: **41**.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة: **75 - 76**.

وعرَّف الدكتور أحمد شلبي هذه الطبقة فقال: الكَتَبَةُ تُطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود كانت مهمتهم كتابة الشريعة لمن يطلبها، فهم أشبه شيء بالنسّاخ[1].

(1) د. أحمد شلبي، اليهودية، ص 201.

وقد لعبت هذه الطبقة دوراً بارزاً في حياة عيسى عليه السلام، ولهذا، كان اسمهم يقترن بالفريسيين في الأناجيل ولم يصفهم عيسى ـ عليه السلام ـ بالأمانة:

1 ـ فلما أكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه لأنه كان يعلمهم كَمَنْ له سلطان وليس كالكَتَبَة. متى 7/ 28/ .

2 ـ حينئذٍ أجاب قوم من الكَتَبة والفريسيين قائلين: يا معلِّم نريد أن نرى منك آية. متى 12/ 28/ .

3 ـ حينئذ جاء إلى يسوع كَتَبَةٌ وفريسيون الذين من أورشليم قائلين: لماذا يتعدَّى تلاميذك تقليد الشيوخ؟ متى 15/ 1 ـ 2/ .

ولم تدمج الأناجيل بين الكَتَبَةِ والفريسيين، بل فرزت كل طبقة خاصة على حدة.

4 ـ وقد ندّد عيسى ـ عليه السلام ـ بالكَتَبَةِ والفريسيين أيما تنديد.

لكنْ؛ ويل لكم أيها الكَتَبَةُ والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات والأرض قدام الناس، فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون.

ويل لكم أيها الكَتَبَةُ والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلة تطيلون صلواتكم، لذلك تأخذون دينونة أعظم.

ويل لكم أيها الكَتَبَةُ والفريسيون المراءون لأنكم تطوفون البر والبحر لتكسبوا دخيلاً واحداً، ومتى حصل تضعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً. متى 23/ 13 ـ 15.

ومن ثم يصفهم بالقادة العميان من الآية 16 وحتى 23 ليعود من جديد يندد:

ويل لكم أيها الكَتَبَةُ والفريسيون المراءون لأنكم تعشرون النعنع والشيث والكمون، وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان، كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك. أيها القادة العميان الذين يُصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل. ويل لكم أيها الكَتَبَةُ والفريسيون المراءون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافاً ودعارة.

أيها الفريسي الأعمى نَقِّ أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضاً نقياً.

ويل لكم أيها الكَتَبَةُ والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة، هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً، ولكنكم من داخل مشحونون رياءً وإثماً.

ويل لكم أيها الكَتَبَةُ والفريسيون المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين، وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملؤوا مكيال آبائكم.

أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم. متى **23/ 13 ـ 23/** .

وتابع بقية كَتَبَةِ الأناجيل كذلك، وفوق الكَتَبَةِ مع الفريسيين في صف واحد.

مرقس:

1 ـ واجتمع إليه الفريسيون وقوم من الكتبة قادمين من أورشليم **7/ 1** .

2 ـ ولما جاء إليه التلاميذ رأى جمعاً كثيراً حولهم وكَتَبَةً يحاورونهم، وللوقت كل الجمع لما رأوه تحيروا، وركضوا، وسلّموا عليه، فسأل الكَتَبَةَ: بماذا تحاورونهم؟ فأجاب واحد من الجمع وقال: يا معلّم، قد قدمتُ إليك ابني به روح أخرس، وحيثما أدركه يمزقه، فيزبد، ويصر بأسنانه وييبس. مرقس **9/ 11 ـ 18**.

3 ـ فجاء واحد من الكَتَبَةِ وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى، وثانية مثلها هي: تحب قريبك كنفسك، ليست وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: جيد يا معلم. مرقس **12/ 28 ـ 22/** .

4 ـ وقال لهم: تحرروا من الكَتَبَةِ الذين يرغبون المشي بالطيالسة والتحيات في الأسواق والمجالس الأولى في المجامع والمتكآت الأولى في الولائم، الذين يأكلون بيوت الأرامل، ولعلة يطيلون الصلاة، هؤلاء يلقون دينونة أعظم. مرقس **12/ 38 ـ 40/** .

5 ـ وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين، وكان رؤساء الكهنة والكَتَبَةُ يطلبون كيف يمسكونه بمكر، ويقتلونه، ولكنهم قالوا: ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب. مرقس **14/ 1 ـ 2/** .

6 ـ فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكَتَبَةُ، وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالساً بين الخدام يستدفئ عند النار، وكان رؤساء الكهنة والجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه، فلم يجدوا. مرقس **14/ 53 ـ 55/** .

7 ـ والوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكَتَبَةُ والجمع كله، فأوثقوا يسوع، ومضوا به، وأسلموه إلى بيلاطس. مرقس **15/ 1** .

ويُسمّيهم في إنجيل لوقا بالناموسيين تارة، ويدعوهم مرة أخرى بالكَتَبَة.

وهكذا لعب الكَتَبَةُ دوراً بارزاً في مقاومة عيسى عليه السلام، وتتبعوه حتى شاركوا في تسليمه إلى الوالي الروماني حسب الرأي الإنجيلي.

أما القرآن الكريم فقد ندَّدَ بهذه الطبقة تنديداً واضحاً: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: **78 ـ 80** .

2 ـ المسورون:

هذه الفرقة كان الأحرى أنْ نضمَّها إلى الكَتَبَة ولكنهم يختلفون عنهم في أنهم قاموا بتشكيل التوراة كما فعل الحجاج ويحيى بن يعمر وعاصم بن نصر في القرآن الكريم، ورغم أنهم فعلوا خيراً في تثبيت القراءة للعهد القديم إلا أن بعض الأصابع ارتفعت في العصر الحديث لإدانة المسورين، واتهمتهم بتحريف الكتاب لجهلهم، وأنهم لم يميزوا في قراءة الكلمة. ولهذا، فكل ما وقع من تحريف في الكتاب المقدس إنما يقع على كاهلهم، وسأقف عند هذا التيار بعد أنْ نعرف عن هذه الفئة.

نُسبت هذه الفئات إلى قرية سورة البابلية والتي كانت فيها مدرسة لليهود، والنسخة التي بين أيدينا هي النسخة السوراتية (المسورة) وإذا ما عدنا إلى العهد القديم وجدنا أهم سؤال

يواجهنا هو: متى عرف العبريون الكتابة؟ وهذا ضروري لإدراك أقصى تاريخ يرتفع إليه تسجيل هذه النصوص.

يقول المستشرق الفرنسي أرنست رينان: إنه يبدو من كل القصص الخاصة بإبراهيم وإسحاق ويعقوب أن العبريين إذ ذاك كانوا أميين تماماً، بدليل أنهم كانوا إذا أرادوا أن يُخلّدوا ذكرى حادث أو أنْ يعقدوا حلفاً أو أن يميزوا قبراً لميت من عظمائهم عمدوا إلى إقامة حجر أو ذبح ذبائح وقرابين أو اختيار كهف طبيعي معروف أو شجرة مقدسة أو نبع ماء للقيام بذلك، ولم يرد قط ذكر لنصوص أو صحف مكتوبة.

أما على عهد موسى نفسه فكل شيء في التوراة يدل على وجود صحف مكتوبة لدى العبريين، وربما كانت هذه الصحف نقشاً على الحجر. وفي تلك الحالة لا يُستبعد أنْ تكون في الأصل معتمدة على الكتابة التصويرية الهيروغليفية أو الكتابة المقطعية المسمارية، ونلاحظ أنه قد وردت في توراة موسى / عدد 21/ 15/ آية فهم منها الباحثون أنه كانت هناك صحف مكتوبة يقرؤها بنو إسرائيل «لذلك يقال في كتاب حروب الرب».

والواقع أن هذه الآية وأمثالها يُرجَّحُ أنها من شروح كهنة إسرائيل القدامى انزلقت إلى داخل النص المقدس. فنحن نعلم أن هذا النص في صورته الحالية المسورت يرجع إلى عدة منابع في الرواية حسب الأبحاث التي بدأها المستشرقون الألمان[1].

إذن، الكتاب المقدس (العهد القديم) في صورته الحالية وشكله هو نتاج لمدرسة سورا بابل والتي وقع فيها الكثير من الأخطاء، وسنضرب بعض الأمثلة على ذلك.

1 ـ قال فراس السواح: إن إدخال الحركات والضوابط على النص بصورة اعتباطية في أحيان كثيرة قد غيَّر إعراب الجمل وحوار المعاني، وأدخل على النص التوراتي تحريفات هي أضخم بكثير مما يتصوّره علماء التوراة، ذلك أن عمل المسورين قد بدأ بعد مضي ألف سنة على الوقت الذي كانت فيه العبرية لغة حية ومتداولة.[2]

ويقول في هذا الصدد الأستاذ زياد منى: إن عملية تسجيل بعض مقاطع العهد القديم لم يُباشَر بها سوى بعد السبي البابلي ومما لا شك فيه أن الخطر الدائم والداهم الذي كان يحيط

(1) ظاظا حسن، الساميون ولغاتهم، ص 88.

(2) السواح فراس، الحدث التوراتي، ص8.

بني إسرائيل من إمبراطوريات المشرق العربي الكبير أقنع حاملي وناشري ذلك التراث الدِّيني بمباشرة عملية الجمع والتكوين يهدف الحفاظ عليه، ومن المفيد في هذا المجال التذكير بأن أقدم المخطوطات التي تحوي نصوصاً من العهد القديم هي لفائف البحر الميت والتي تعود للقرن الثاني ق م، وتحوي نصوصاً محدودة تتباين بشكل كبير عن رديفها في النسخ الحالية، كما أن نسخة التوراة الحالية والتي تعود بتاريخها إلى سنة **1008**م وتُسمّى نسخة لينيغراد حيث النسخة الأصلية تتباين إلى درجة كبيرة عن النسخة اليونانية الأقدم؛ أي: السبعونية، أما أقدم نسخة بلغة التوراة هي نسخة القاهرة التي تعود لعام **998**م.[1]

ولعلي أتساءل: ما اللغة التي كُتبت بها نسخة القاهرة حتى سماها بلغة التوراة ؟

وللجواب عن هذا نقول: لا شك أنها كُتبت بالحروف الآرامية المربعة، وهذه اللغة ليست لغة التوراة. ولا يمكن أنْ تكون هذه اللغة لغة التوراة ولا أدري لماذا نسير في ركاب غير ركابنا، ونلبس ثياباً لم تُفصَّل لنا ولا على مقاسنا، ومن ثم نتبع كل ناعق دون أن نفكر؟

ومن الأخطاء التي أوردها زياد منى: مراسم عبريم ومشتقاته **34** مرة في العهد القديم النسخة العبرية، و28 مرة في السبعونية ويقول: إنه كان لديهم نسخة أخرى من كتابهم المقدس، وهذه مسألة هامة ذلك أن التناقض بين النسختين يُظهِرُ أن المعنى لم يكن واضحاً لرجال الديانة اليهودية حتى تلك الفترة.

وفي مكان آخر يذكر مثالاً من سِفر صموئيل الثاني على الخطأ الذي وقع فيه المسورون في هذا المثال: «وعبر هعبره لعبرئيت بيت هملك» وتُرجمت إلى العربية وعبر القارب لتعبير بيت الملك.

وقد اعتقد المترجمون أن المقصود عبر نهر الأردن، لذا، فإنهم فهموا هعبرة على أنها (قارب: عبَّارة) رغم أن نهر الأردن لا يتسع لأي قارب، أما الترجمة الصحيحة فيجب أن تكون والطرف الآخر عبر لتعبير بيت الملك.

وإليك بعض النصوص المسورية يقابلها نصوص سبعونية وقمرانية، والأمثلة من سِفر صموئيل الأول:

1 ـ المسوري: ثم حين فطمته (صموئيل) أصعدته معها وثلاثة ثيران وإيفة دقيق وزق خمر، ودخلت بيت الرب في شيلوه وضعه والصبي صغير.

---

(1) منى زياد، جغرافية العهد القديم، ص21.

السبعونية: وصعدت معه إلى سلوام مع عجل ذي ثلاث سنين وخبز وإيفة دقيق وزق خمر، ودخلت بيت الرب في سيلوم ومعه الصبي.

قمران: وأصعدته معها إلى شيلوه مع عجل ذي ثلاث سنين وخبز وإيفة دقيق وزق خمر، ودخلت بيت الرب في شيلوه ومعهم الصبي.

2 ـ المسوري: فذبحوا الثور وجاءوا بالصبي إلى عالي.

وقالت السبعونية: وجاؤوا أمام الرب، وذبح أبوه التقدمة كما فعل سنة بعد سنة للرب، ثم قرّبوا الصبي، فذبح العجل، وأتت أم الصبي وقالت.

قمران: وجاؤوا أمام الرب، وذبح أمامهم التقدمة كما فعل سنة بعد سنة للرب، ثم قرَّبوا الصبي، فذبحوا العجل، وأتت حنة أم الصبي إلى عالي وقالت.

3 ـ المسوري: تهللوا أيها الأمم شعبه.

السبعونية: تهللوا أيتها الأمم مع شعبه، وأنتم يا ملائكة الله اعبدوه.

قمران: تهللي أيتها السموات معه، وأنتم أيها الآلهة اعبدوه.[1]

وقد أكد زياد منى أن المسوريين هم المسؤولون عما حدث في النص التوراتي: « قلنا إن العبرية كانت تُسجَّل بأحرف ساكنة، أما عملية التحريك التي تمت عبر فترة زمنية امتدت من الأعوام / 750 ـ 1000م فقد أُنجزت من قبل بعض رجال الديانة اليهودية الذين عُرفوا باسم المسوريين، وقد أُجريت هذه العملية بشكل اصطناعي، وهو الأمر الذي يعترف به أهل الاختصاص، لأنها تمت بعد قرون طويلة من اندثار العبرية النهائي من خارطة اللغات الحية وانصهار بني إسرائيل وذوبانهم في مجتمعاتهم الجديدة...القديمة. لذا، فإنه من الطبيعي أن موت تلك اللغة رافقه فقدان الكثير من المعاني الأصلية لبعض المفردات، وهو ما يشرح عدم فهم العديد من مقاطع العهد القديم، وقد أدرك المسورون هذا الأمر عندما قاموا بعملية التحريك، لكنهم ـ وعلى عكس ما يفعله بعض من علماء التوراة في هذه الأيام ـ تجنبوا العبث بالنص انطلاقاً من احترامهم لقدسيته لديهم»[2].

---

(1) السواح فراس، الحدث التوراتي، ص 22.

(2) منى زياد، جغرافية التوراة، ص 29 ـ 30.

أما الدكتور حسن ظاظا في كتابه الفكر الدِّيني اليهودي فقد قرر أن النص المسوري في وضعه الحالي هو نتيجة للنص بالإضافة إلى الحركات « وبهذا الوضع يمكننا أن نقول: إن المسورت؛ أي إقرار النص العبري في صورته النهائية الكاملة المتكاملة المقفلة قد استغرقت أجيالاً من العلماء من عهد الكَتَبَة في غضون القرن الثالث ق م، وحتى عهد الأحبار الفقهاء في القرن السابع والثامن الميلاديين، بل إننا نلاحظ من قراءة كتاب اللمع في النحو العبري للعالم اليهودي الأندلسي أبي الوليد مروان بن جناح القرطبي المتوفى في أواسط القرن الحادي عشر الميلادي أنه يشير بين الفينة والفينة إلى اختلاف الرسم أو القراءة في عصره بين مخطوطات متنوعة من الكتاب »[1].

3 ـ المتعصبون :

لا أستطيع أن أقول هناك يهود متعصبون ويهود غير متعصبين إذا كانوا ممَّنْ يؤمنون بالتلمود بالإضافة إلى كتاب التوراة.

فالتوراة في الأصل كتاب عنصري مقيت يجعل اليهود هم الناس فقط وبقية البشر ليسوا إلا بهائم وأنجاس، ولهذا، يدعونهم بالأغيار وبالآخرين، ولو طالعتَ صفحات التوراة كلها لألفيتَ ذلك موجوداً وبشكل واسع.

فيهوه يتدخل في شؤونهم جميعها، يتكلم معه ولا يتكلم مع غيرهم، إلههم وحدهم، أما بقية الناس فلهم آلهة أخرى ليسوا كيهوه، وإليك بعض الأمثلة:

1 ـ التوراة:

أ ـ سِفر التكوين:

1 ـ قال الرب: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريكَ، فأجعلكَ أمة عظيمةً، وأباركَكَ، وأعظِّم نسلكَ، وتكون بركة، وأبارك مباركيك، وألعن لاعنيك، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض. **102/ 1 ـ 2**.

2 ـ فضرب الرب فرعون وبنيه ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام، فدعا فرعون أبرام وقال: ما هذا الذي صنعتَ بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ **12/ 17 ـ 18**.

---

(1) ظاظا حسن، الفكر اليهودي الدِّيني، ص 63.

3 ـ في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلكَ أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات.

القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشين واليبوسيين 150 / 18 ـ 21.

لماذا يسلب يهوه هذه الشعوب، ويبيدها، ويُفَضِّلُ آل إسرائيل؟ أليس هذا التفضيل هو التميز والعنصرية بكل أبعادها؟

وتتكرر النغمة: وقال الرب، وقال الإله الرب لإبراهيم وإسرائيل وإسحاق في صفحات التكوين كلها، وكذلك: وظهر الرب، حتى أنهم أبدوا هذا الرب عاجزاً عن مصارعة عبد من عباده. تكوين 35/ 9 ـ 15/ وكيف ألصقوا اسم إسرائيل بيعقوب بعد أن عجز يهوه عن صرع يعقوب.

ب ـ سِفر الخروج: ويبرز هنا التصاق يهوه ببني إسرائيل أكثر من التصاق يهوه بإسرائيل ومَنْ سبقه، وتتردد كلمة: وقال يهوه، ثم قال يهوه، ثم قال له الرب، ويبدأ تدخل يهوه في كل شاردة وواردة في إسرائيل، يسير أمامهم عمود دخان نهاراً، وعموداً من نار ليلاً، ينصرهم في حروبهم، ولا أدري كيف سمح يهوه لنفسه أنْ يغضب عليهم فيتيههم في القفر أربعين سنة؟! ويبلغ الغلو في سفر الخروج في يهوه حتى يجعل موسى إلهاً. «فقال الرب لموسى: أنا جعلتكَ إلهاً لفرعونَ، وهرون أخوك يكون نبيكَ، أنت تتكلم بكل ما آمركَ، وهرون أخوك يكلم فرعون ليطلق بني إسرائيل من أَرضه، ولكني أقسي قلب فرعون، وأكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر، ولا يسمع لكما فرعون حتى أجعل يدي على مصر، فأخرج أجنادي شعبي من أرض مصر بأحكام عظيمة». 7/ 1 ـ4.

ولن أتابع ذلك في التوراة فالمواقف أكثر من أنْ تُحصى، فإسرائيل شعب يهوه، وإسرائيل الابن البكر ليهوه، يخطئ إسرائيل فَتُعَاقَب الأمم كلها، ويبارك إسرائيل..

2 ـ التلمود:

يتألف التلمود من كتابين أساسيين:

أ ـ المشنا. ب ـ الغمارا.

والغمارا شرح للمشنا من قبل الرابيين والأحبار، وهم يعتقدون أن المشنا كالتوراة أنزلها يهوه على موسى، ولكن موسى لم يسجلها، إن يهوه لم يسجلها بأصبعه كما فعل في التوراة، فظلت محفوظة في القلوب، يتناقلها الخلف عن السلف حتى وصلت في صورتها الحالية، ومن شرح الربانيون والأحبار هذه المشنا بما سموه الغمارا.

ويؤلف الاثنان معاً ما يُسمّى بالتلمود، ولا يمكن للقارئ الواسع الاطلاع أنْ يقرأ كتاباً عنصرياً عرقياً منحازاً مثل التلمود.

فقد قَسَّم التلمودُ الناسَ إلى قسمين:

أ ـ الصفوة من خلق الرب يهوه ((بنو إسرائيل)) وهم أبناء يهوه البكر، وليس لدى يهوه أبناء غيرهم، مُدَلَّلون، كل شيء مباح لهم، قتل الآخرين، إبادتهم، تعذيبهم، نشرهم بالمناشير، دوسهم بالنوارج، سرقتهم، إذلالهم، كل شيء مباح لهم.

ب ـ البقية من خلق يهوه إذا اعترف بهم الإله فهم قد خُلقوا حيوانات، ولكن يهوه جعلهم على صورة البشر من أجل خدمة بني إسرائيل، وليكون شكله مقبولاً من بني إسرائيل، وإليك وصفه من قبل الكاتب عبد المنعم شميس في كتابه التلمود كتاب إسرائيل المقدس، ص5 :

«ليس هذا الكتاب وثيقة دينية كما شاء دعاة الصهاينة أنْ يزعموا، وهو ليس من كتب الشرائع الدِّينية كما أحبَّ الصهاينة أن يتقولوا. ولكنه وثيقة سياسية خطيرة صنعها بعض الحاخامات اتباعاً للخطة السرية الرهيبة التي دأبوا على اتباعها منذ آلاف السنين».

والتلمود هو التعبير عن النظرة اليهودية الشاملة إلى العالم في امتدادها عبر ألف سنة من الزمان، والتلمود يأمرهم بإحلال كلمات الربانيين في منزلة أعلى من كلمات التوراة:

يا بني، كُنْ حريصاً على مراعاة أقوال الكَتَبَة أكثر من حرصك على التوراة، لأن أحكام التوراة تحوي الأوامر والنواهي أما شرائع الكَتَبَة فإن مَنْ ينتهك واحدة منها يجلب عقوبة الموت لنفسه.

ولن أطيل الوقوف مع التلمود، ومَنْ أراد ذلك فليرجع إلى كتابي مفاهيم تلمودية وحسبي أنْ أسوق قول اليهودي موسى غريتس الذي صَنَّفَ التلمود تحت فئات أربع:

1 ـ يحتوي التلمود على الكثير من التفاهات والمعاتبات التي يعالجها الربانيون بقدر كبير من الجدية والخطورة.

2 ـ يعكس التلمود شتّى الممارسات والآراء الخرافية التي كانت سائدة في مكان ولادته (الفارسي) وهي تؤمن بفعاليات العلاجات العجائبية والعقاقير الشيطانية والسحر والرقيات والتعاويذ إلى جانب تفسير الأحلام، وهذه كلها تتنافى مع روح الديانة اليهودية.

3 ـ يتضمن التلمود أمثلة متفرقة ومنعزلة على الأحكام والمراسيم القاسية ضدّ أبناء الأمم والديانات الأخرى (وهنا بيت القصيد).

4 ـ يجند التلمود شرحاً وتفسيراً مغلوطاً للكتاب المقدس، فيقبل التفسيرات الخاطئة التي ينفر منها الذوق السليم ويأباها[1].

وإليك بعض الأحكام التلمودية حول الوثنيين الأغيار، والناس كلهم عندهم أغيار:

1 ـ إذا ضرب الوثني يهودياً استحقّ الموت، ومَنْ ضرب يهودياً فكأنه اعتدى على الحضرة الإلهية.

2 ـ مَنْ رفع يده ضدّ جاره (الاثنان يهوديان) حتى ولو لم يضربه فإنه شرير خاطئ، أما الوثني فإنه يستحق الموت.

3 ـ إن المرأة الجميلة مهما كانت هي من حق اليهودي ومُحرَّمة على الوثني.

4 ـ الأمم الأخرى ورد أسماؤها في التلمود غوييم (حيوانات) نوخريم أغيار تشوبيم وعكوم.

5 ـ إذا التقيتَ بقوي حكيم مثقف تستطيع القول: مبارك اسمك أيها الرب، ملك الكون، يا مَنْ وزعتَ حكمتك على لحم ودم (بشر).

6 ـ غير مسموح اقتراب حيوانات اليهود من الغوييم، لأنه يُشَكُّ في أنهم يضاجعونها، وغير مسموح للنساء معايشتها لأنهن شبقات.

7 ـ الغوييم أنجاس لأنهم لم يكونوا موجودين على جبل سيناء، ولهذا، لم يتطهروا.

---

(1) رزوق أسعد، التلمود والصهيونية، ص 203.

8 ـ حين تخرج النسوة من الحمام (اليهوديات) من واجبهن الحرص على الالتقاء بصديق أولاً، لا بأي شيء نجس (غوييمي)، إذ أن المرأة إذا فعلت ذلك وأرادت في الوقت نفسه أنْ تبقى مقدسة فعليها أن تعود وتستحم مرة أخرى.

9 ـ خلق يهوه الغوييم في أشكال آدميين لتمجيد إسرائيل، وخُلقوا لغاية واحدة هي خدمة بني إسرائيل ليل نهار، وهم لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة، ومن اللائق أنْ يقوم على خدمة ابن ملك (الإسرائيلي ابن يهوه) حيوانات بأشكال طبيعية، فالحيوانات الكائنة بأشكال إنسانية عليها أنْ تخدمه.

هذه الأحكام تكفي لإبراز الصورة العدائية العنصرية المتعصبة لليهود ضدّ الأمم كلها، ولهذا، أقول وبكل ثقة:

إن أي يهودي يؤمن بالتوراة الحالية والتلمود هو يهودي متعصب ضدّ الأمم كلها، حاقد عليها، ولكنْ؛ هناك فئة أشد حقداً وتعصباً سَمَّاها الدكتور شلبي: (المتعصبين)، ولنر رأيه في هذه الفئة:

فرقة أخرى من الفرق اليهودية، امتاز هذا الفريق بعدم التسامح فهو عدواني في صدّ اليهود الذين اتهموا باللادينية أو بقبول الخضوع لنير الغوييم[1].

4 ـ الربانيون:

ورد ذكر الربانيين في القرآن الكريم في السورة التالية:

أ ـ في آل عمران 79 ـ 80 ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

ب ـ المائدة 44: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

---

(1) شلبي أحمد، اليهودية، ص 202.

جـ ـ المائدة 62 ـ 63 : ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ .

هذه هي الآيات التي وردت فيها كلمة الربانيين ، وهي قليلة بالنسبة للآيات التي قيلت في بني إسرائيل في القرآن الكريم ، ولكنها تدخل ضمن المعاني الآتية :

أ ـ كلمة الربانيين في سورة آل عمران وردت (كونوا ربانيين) والذي يبدو لي أي : كونوا عباداً للرب ، ولا تكونوا عباداً لأي مخلوق كان . لأن النص يُبيِّن لنا أن اليهود أو غيرهم كانوا يقولون : بأن موسى أو العزير دعا لعبادتهما دون الله ، ولهذا ، قالت اليهود العزير ابن الله ، وكذلك قالت النصارى عيسى ابن الله .

إن البشر الذين يتلون كتاب الله إذا كان حقاً كتاب الله أو كان نبياً لا يأمر الناس بعبادته ، وإنما يأمرهم بعبادة الله سبحانه وتعالى ، ولهذا ، يجب أن يكون أتباع الرسل الكرام ربانيين لا أنْ ينسبوا أنفسهم إلى عبادة أي مخلوق . وفي هذا المعنى تكون كلمة الربانيين عَبَدَةَ الرب ، وفي هذه الجملة لا يكون فيها معنى المدح أو الذم .

ب ـ الآية 44 في المائدة فيها مدحٌ للربانيين ، والربانيون هم الرجال الذين يحكمون بأوامر الرب ، وقد قُرنوا مع النبيين والأحبار ، وهذا القرن الذي تم لم يتم إلا بما حفظوا من كتاب التوراة .

وهنا أقف مع النص في عدة نقاط :

1 ـ ﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ فقد وصف الأنبياء والرسل كافة بالإسلام منذ آدم وحتى نهاية الرسول ، وخاتمهم الرسول العربي صلوات الله عليه .

2 ـ ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ : وهنا نحتمل معنيين : اليهود من هَادَ يهودُ وهو الأغلب في القرآن الكريم ، والمعنى الثاني الذين هادوا هم الذين رجعوا للهدى بعد ما ضلّوا ، وهو أحد المعاني التي تراد في القرآن الكريم حينما يقول الذين هادوا ، ولكنها هنا المقصود بها اليهود لوجود التوراة في النص ، والتوراة نزلت على موسى ، واليهود هم جماعة من بين إسرائيل ، ويدَّعون أنهم أتباع موسى عليه السلام .

3 ـ النقطة الثالثة : هذا النص يفيد ضياع التوراة ومحاولة الأنبياء والربانيين الحكم بما أنزل الله في التوراة ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ ولم يقل : ليحكموا بما في كتاب الله ، وإنما قال : ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ ﴾ .

أما النص الحالي فهو غير موجود إلا في صدور الأنبياء الذين يحكمون بما أنزل الله ، أما الربانيون فهم يحكمون بما استحفظوا من التوراة .

4 ـ الربانيون غير الأحبار : والأحبار كما تورد الرواية التوراتية هم سبط لاوي ، والربانيون هم من سبط لاوي أيضاً ، أما النص القرآني فقد فَرَّقَ بين الربانيين والأحبار ، وعلينا أنْ نبحث في هذا لنتبيَّن تزوير جماعة التوراة .

والربانيون هنا زمنياً في زمن الأنبياء الذين تتابعوا بعد موسى عليه السلام ، وكان الربانيون آنذاك يمثلون قمة العلم الدِّيني اللدني لأنهم رجال اختصُّوا بالعلوم الإلهية ، أما الأحبار فهم على ما أعتقد سدن تابوت العهد ، أو ما يُسمّيهم كتاب التوراة القضاة .

جـ ـ معرض الذم في الآية الثالثة : ولولا هنا للتوبيخ فلو نهى الربانيون الذين يتبعونهم عن أكل المال الحرام لانتهوا ، ولو حكموا بما أمر الله لكان خيراً لهم ، لكنهم أحلُّوا الحرام ، وحرَّموا الحلال ، وصاروا أرباباً للبشرية التابعة لهم ، ولهذا ورد النص : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ للناس العوام ، وورد : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ للربانيين ، وعلينا أن نميز بين العمل والصنع في هذه الآيات .

فالعمل للعوام هو أكلهم السُّحت ومسارعتهم في الإثم والعدوان ، ومنع الربانيين امتناعهم عن النهي وعدم تقديم الإرشاد ، ولهذا تساوى عمل هؤلاء وصنيع أولئك ، وكان العمل عملاً سيئاً ، ولا ننسى أن الربانيين الذين وبخهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ كانوا في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام في القرن السادس الميلادي والقرن السابع الميلادي ، مما يدلُّ على فساد تابعي الدعوة الإسلامية التي نادى بها موسى عليه السلام ، وانحرافهم عمّا قال الله سبحانه وتعالى من حلال وحرام .

فَمَن الربانيون الذين ورد ذكرهم في التوراة؟

مما سبق عرفنا أن حركة الربانيين هي حركة قديمة عُرفت منذ ما بعد موسى ـ عليه السلام ـ بدلالة ما ورد في القرآن الكريم، ورأينا أنهم يختلفون تمام الاختلاف عن الأحبار، ويمكن أن نُطلق عليهم الحاخامات، وهذه الكلمة جمع حاخام وهي إذا أردنا تعريبها كانت كلمة حكيم العربية.

هؤلاء الحكماء كانوا في الفترة الأولى المرشدين الأوائل إلى التوراة، ويمكن أنْ نحصر هذه الفترة منذ موت موسى عليه السلام وحتى استلام داود، فالقضاة كلهم يمكن أنْ نصنفهم في رتبة الربانيين إذا صدقت رواية التوراة في الأسماء ما عدا صموئيل فإنني أقرر أنه من رتبة الأنبياء الإسرائيلين، وفي زمنه ـ حسب الرواية التوراتية ـ ضاعت التوراة، وفي عهده رجع تابوت العهد، وفي عهده بدأت الملكية، وإلى هذا أشار القرآن الكريم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ البقرة: 246 ـ 248.

ولكننا لو تتبعنا التوراة بأسفارها كلها لما وجدنا لهذه الكلمة من أثر، وحاولتُ أنْ أتتبع الأناجيل فلم أظفر بشيء عن هذه الكلمة.

وقد نسب العلامة رحمة الله بن خليل الهندي العثماني هذه الكلمة إلى يهوذا هقدوش، فَسمَّاه الرباني يهوذا هقدوش، يقول العلامة:

« وجمع يهوذا هذا هذه الروايات في كتاب سَمَّاه مشنا »[1].

---

(1) رحمة الله بن خليل الهندي العثماني، إظهار الحق، ج 1، ص 72.

ولعل اليهود أسقطوا هذه الكلمة عَمَّنْ سبق، وعلّقوها على مَنْ بدأ العمل في التلمود، وكان بودي أنْ أجمع الربانيين والتلموديين معهم، ولكني رأيتُ أن الذين جمعوا التلمود قد قُسِّموا عدة حلقات، فمنهم الربانيون ومنهم التنائيم، ولهذا أردتُ أنْ أربط التلموديين بالتنائيم، وأفرزتُ الربانيين كفرقة خاصة.

وقد قسم شختر العمل في التلمود إلى عدة مراحل:

أ ـ **المرحلة الأولى**: هي مرحلة الكَتَبَة، وتبدأ هذه المرحلة بعزرا الكاتب الذي قدم من بابل، وتمتد مرحلة الكَتَبَة هذه من **450 ـ 100** ق م، وهذه المرحلة أثمرت المنجزات التالية:

1 ـ قراءة نصوص الشريعة في أيام خاصة في الأسبوع.

2 ـ تحديد الصلوات اليومية في تلاوة البركات الست وإدخال صلاة المائدة.

3 ـ إدخال بعض الطقوس الدِّينية والشعائر مثل سكب الماء على الأرض في عيد المظال.

4 ـ وضع القواعد المتعلقة بإعداد التمائم الدِّينية مثل التقليم.

5 ـ تعديل بعض الشرائع التوراتية والتخفيف من قساوة الشرع الموسوي.

ب ـ **المرحلة الثانية**: مرحلة الأزواج، وهي المرحلة التي تُطلق على المعلمين الكبار، وتمتد من **150**ق م ـ **30** م، وهناك خمسة أزواج لرئاسة السنهدرين.

الأمير ولقبه الناسي، ورئيس بيت الدِّين وهو نائب الرئيس.

الجيل الأول:

الناسي جوزه بن يوعزر من سوره، نائب الرئيس جوزه بن يوحنان من القدس.

الجيل الثاني:

الناسي يشوع بن فراحيا. نائب الرئييس نطاي الأربيلي.

الجيل الثالث:

يهوذا بن طباي الناسي. سمعان بن شطاح نائب الرئيس.

الجيل الرابع:

الناسي شماعيا. نائب الرئيس إبتاليون.

الجيل الخامس:

الناسي هيلل. نائب الرئيس شماي.

ينتمي هيلل وشماي إلى الفريسية، فقد جاء الأول من بابل، وعُرف بوداعته وتواضعه، وهو على العكس من شماي، فقد كان شماي حاد الطباع، سريع الغضب، تشدَّدَ شماي في تفسير الشريعة وتطبيقها العملي، وهيلل هو صاحب الفضل الأول في صياغة قواعد التفسير السبع، وهي التي تطورت فيما بعد إلى ثلاث عشرة قاعدة وأكثر، ولم يضع هيلل هذه القواعد، بل إنه جمعها، وعدَّل فيها.

ثم ينتقل إلى **المرحلة الثالثة التنائيم**، وتُطلق تلك المرحلة على أولئك المعلِّمين الذين عاشوا في القرنين الأول والثاني للميلاد من **10 ـ 200** م.

ويُعَدُّ هيلل وشماي بداية التنائيم ونهاية الأزواج، وتنتهي المرحلة عند الرابي يهوذا الملقب بالبطريرك، أحد الأحفاد الكبار للفرِّيسي هيلل. والتنائيم يحملون لقب رابي.

ويُقسم شختر عصر التنائيم إلى أربعة أجيال:

1 ـ الجيل الأول: من **10 ـ 80** م، وأشهر التنائيم في هذا الجيل:

جملئيل الأكبر، ويوحنان بن ركابي.

2 ـ الجيل الثاني: من **90 ـ 130**، وأشهرهم:

جملئيل الثاني، والرابي إسماعيل بن أليسا، والرابي عقيب بن يوسف، وهو أشهر علماء هذا الجيل على الإطلاق.

3 ـ الجيل الثالث: **130 ـ 160**م، ويشمل الرابي مائير، وهو واضع الأساس لجمع المشنا.

4 ـ الجيل الرابع: **160 ـ 220**م، أشهر التنائيم يهوذا الناسي، كان رئيس السنهدرين، وهو الذي جمع المشنا، ولعب الدور الكبير فيها[1].

ولكني أقف هنا أمام الإنجيل لأرى أنه أورد اسماً كان لرئيس المجمع في القدس في الثلاثينات من القرن الأول اسمه نيقوديموس، وهو الذي يُنسب إليه قبر المسيح عليه السلام.

---

(1) رزوق أسعد، التلمود والصهيونية، صفحة 125–127.

فهل أخطأ كَتَبَةُ الأناجيل فأوردوا هذا الاسم؟ أم له اسم آخر غير هذا الاسم؟ أم أن اليهود حذفوا نيقوديموس لأنه تعاون مع المسيح عليه السلام؟

ومنذ ذلك الوقت بدأت كلمة الرباني (الرابي) تُطلق على هؤلاء دون استثناء. وهذه الطبقة الربانية (الربانيين) استمرت حتى النهاية.

وأعود فأكرر من جديد لا أدري لماذا أَخَّرَ الكَتَبَةُ هذه التسمية حتى هذا العهد، فهل نسب القرآن القضاة إلى الربانيين لأنهم كانوا يحكمون بما استحفظوا من كتاب الله؟ أم أنه أبعد عنهم عبادة الأشخاص؟ وبالتالي، لم يكونوا يدعون إلى عبادة أحد، وهذا يدل على أنهم كانوا قبل عزرا بزمن بعيد، إذ أن اليهود نسبوا أنفسهم إلى أنهم أبناء الله وأحباؤه، وإلى أن العزير ابن الله، تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً.

ويقول الدكتور أسعد رزوق: أما سيطرة الربانيين فقد وجدت سبيلها إلى الجماهير اليهودية في أوروبا الشرقية، وهذا - بالطبع - بالعصر الحديث. وبواسطة التلمود سيطر الربانيون على الحياة اليهودية سيطرة كاملة.

5 - التلموديون:

يقول رحمة الله بن خليل الهندي العثماني في نقل هذه المعلومات الشفهية:

فوَّض موسى يوشع، وبعد يوشع فوّض هذه الروايات إلى المشايخ، وهم فوَّضوا إلى الأنبياء، فكان نبي يوصلها إلى نبي آخر، إلى أنْ وصل إرميا إلى باروخ، وباروخ إلى عزرا، وعزرا إلى مجمع العلماء الذين كان شمعون صادق آخرهم.

وشمعون هو أوصل إلى ابنتي كونوس، وهو إلى يوئي بن يحنان، وهو إلى يوسي بن يوسير، وهو إلى تنهان الأريلي ويوشع بن برخيا، وهما إلى يهوذا بن يحيى وشمعون بن شطا، وهما إلى شمايا وأبي طيلون، وهما إلى هلل، وهو إلى ابنه شمعون، والمظنون أن شمعون هذا هو شمعون الذي أخذ عيسى المنجي على يديه، إذ جاءت مريم به إلى الهيكل بعدما تمت أيام تطهيرها، وهو أوصل إلى جملئيل ابنه، وعن جملئيل تعلّم بولس، وهو أوصل إلى شمعون ابنه، وهو إلى جملئيل ابنه، وهو إلى شمعون ابنه، وهو إلى الرباني يهوذا هقدونس ابنه، وجمع يهوذا هذه الروايات في كتاب اسمه مشنا[1].

---

(1) رحمة الله بن خليل الهندي العثماني، إظهار الحق، ج1، ص71.

هذه السلسلة تختلف عن السلسلة التي أوردناها في الفقرة السابقة، وسأتابعها في هذه الفقرة.

الحلقة الثالثة في جمع التلمود سُمّيت بالأمورائيم ومعناها المتكلمون أو المفسرون أو الشراح، وهذه المرحلة تمتد من 200 ـ 500م، وانحصر نشاطهم الرئيسي في شرح المشنا وتفسيره، وانتقل مركز الثقل للأمورائيم من فلسطين إلى العراق، وخاصة بعد أنْ هدم تيتوس القدسَ، ومنع الإمبراطور هاديان مجيء اليهود إلى فلسطين والقدس في عام 70م.

وقَسَّمَ شختر هذه الفترة إلى خمسة أجيال:

1 ـ الجيل الأول: 220 ـ 280.

في فلسطين رابي يوحنان بن نباحا، في بابل أبا عريقا قدم من العراق إلى فلسطين.

2 ـ الجيل الثاني: 280 ـ 320.

في فلسطين الرابي أباحو، وفي بابل راب حونا ويهوذا ابن حنوقيا والراب حسدا والراب ششت.

3 ـ الجيل الثالث: 320 ـ 370.

في فلسطين إرميا والرابي يوناه والرابي جوزه، وفي بابل رباح بن نحماني والراب يوسف.

4 ـ الجيل الرابع: 375 ـ 427.

في فلسطين الرابي صموئيل بن جوزه بن رابي بون، وفي بابل رب آشي، في سورا راب كهانا الثاني، في فومبديتا الراب أميمار نهار ديعا.

ويُنسب الفصل إلى الرابي عشي أو آشي 376 ـ 427، بجمع التلمود البابلي، تهذيبه وتنقيحه، والمصادر تعتبره خاتم أسفار التلمود البابلي.

5 ـ الجيل الخامس: 427 ـ 500م.

في بابل رابي مار ورابي عشي ورابي أبينا وراب طوسفاح، وأتمّا ما بدأه الراب عشي، وأتمّا إعداد التلمود البابلي للتدوين.

الحلقة الرابعة الصبورائيم الشرّاح وأصحاب الرأي 500 ـ 600 طيلة القرن السادس للميلاد، ومدرسة الصبرائيم هي مؤسسة بابلية بحتة لا تقابلها فئة مماثلة من العلماء في فلسطين.

يقول أبشتاين: إن التلمود الفلسطيني في شكله الحاضر هو نتاج يرجع تاريخه إلى منتصف القرن الرابع للميلاد، والذي وضع أسس التلمود الفلسطيني هو الرابي يوحنان بن نياحة، وتوفي 279م، أحد تلامذة الرابي يهوذا الناسي.

ويقول إسرائيل ولفنسون: إن تدوين التلمود الفلسطيني استمر منذ أوائل القرن الثالث إلى نهاية القرن الرابع بعد الميلاد، وانقطع قبل أن يتم شرحه وتعليقه على أجزاء المشنا بسبب اضطهاد رومة القاسية، وكان ذلك بعد أن ارتقى قسطنطين الأكبر عرش رومة، واعترف بالمسيحية ديناً رسمياً للدولة، فأخذ اليهود يعانون الأَمَرَّيْن في جميع بلدان الدولة الرومانية، وقد أدى ذلك إلى انقطاع الأحبار في فلسطين عن تدوين التلمود(1).

ولقد كانت الطريقة تستند إلى الافتراض القائل بأن الحكماء القدامى - سواء كانوا من الذين ورد اسمهم في التلمود أم من الذين كتبوا الشروحات عليه - بعيدون عن الخطأ، وإذا اختلفوا في الرأي فإن خلافهم لا يعدو كونه خلافاً في الظاهر، أما غاية الطلب فهي العثور على وسيلة جدلية تصلح لإزالة الفروقات وتسوية الخلافات.

ولهذا، فالتلمود يأمرهم بإحلال كلمات الربانيين في منزلة أعلى من كلمات التوراة:

«يا بني، كن حريصاً على مراعاة أقوال الكَتَبَة أكثر من حرصك على أقوال التوراة، لأن أحكام التوراة تحوي الأوامر والنواهي، أما شرائع الكَتَبَةِ فإن مَنْ ينتهك واحدة منها يجلب لنفسه عقوبة الموت».

ونقرأ في سِفر رأس السنة كلاماً مفاده: أن التقليد الشفوي مساوٍ لشريعة التوراة، وفي سِفر سنهدرين ينص على ما يأتي:

إن القساوة أو التقليد الصارم بتعاليم الكَتَبَة هو أشد منه بالنسبة إلى التوراة. وفي هذا السِّفر نجد الربانيين يُعلّقون على قول الرابي مائير:

مَنْ يدرس التوراة ولا يقوم بتدريسها، هذا ما يلمح عليه سِفر العدد 15/ 31 «فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التي تحتهم، وفتحت الأرض فاها، وابتلعتهم وبيوتهم». «لأن تلك النفس احتقرت كلام الرب، ونقضت وصيته، قطعاً تقطع تلك النفس ذنبها عليها».

---

(1) رزوق أسعد، التلمود والصهيونية، ص145.

أما الرابي ناثان فيُلقي بثقله في هذا الموضوع قائلاً: إن المقصود بذلك هو المشنا وليس التوراة، وإلى هذا أشار بقوله:

إنْ تدرس التوراة ولا تلتفت إلى المشنا فإنك تقترف إثماً بحق مَنْ أعطى التوراة، إذ لا يمكن فهم التوراة فهماً صحيحاً دون شروحات المشنى وتفسيراته. سنهدرين 99ب.

أما الرابي حسدا فيقول: إن مَنْ يعترض ضدّ حكم معلمه فكأنه عارض العزة الإلهية، سِفر العدد 26/ 9، وفيه إشارة إلى حادثة قورح وكيف ابتلعته الأرض.

ويستطرد الرابي حنا بن حنانيا قائلاً: إن مَنْ يتخاصم مع معلمه فكأنه قد تخاصم مع العزة الإلهية. عدد 20/ 13، إشارة إلى مخاصمة بني إسرائيل الرب فقال الرب لموسى وهرون: من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني في أمام أعين بني إسرائيل، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها هذا ماء مريبة حيث خاصم بنو إسرائيل الرب فتقدس فيهم، والخصومة كانت لموسى وهارون، ولم تكن لله، ولهذا حين خاصم بنو إسرائيل موسى وهارون فكأنهم خاصموا رب العزة.

وهكذا تتوالى الأقوال الربانية لتجعل معلّمي التلمود في مصاف الآلهة إياها وتنسب إليهم العصمة عن الخطأ.

6 ـ الناموسيون:

الناموسيون هم مقرِّرو الناموس، والناموس كما يُعَرِّفونه شريعة موسى (الأسفار الخمسة) وهؤلاء هم المعلمون في المدارس والمجامع اليهودية، ويختلطون في كثير من الأحيان بالكَتَبَة.

كان الناموسيون ـ في بداية أمرهم ـ كَتَبَةً ونَقَلَةً ودارسين ومفسِّرين للناموس المقدَّس، وهم أناس تضطرهم مهنتهم إلى الانزواء والاختفاء في غرف الدرس بعيداً عن عيون الناس، ولكنهم نَظَّموا أنفسهم ـ فيما بعد ـ في هيئة ثابتة تتوارث هذه المهنة، وأصبح لهم المقام الكبير في عهد المسيح، وقد ورد اسمهم في الأناجيل، فقد ورد في إنجيل متى:

أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معاً، وسأله واحد منهم وهو ناموس ليجربه قائلاً: يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟ فقال له يسوع: تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، هذه هي الوصية العظمى والأولى. 22/ 24 ـ 28.

وكانوا يلقبونهم أحياناً بالكَتَبَة وبالناموسيين، وكان المعلم منهم يُدعى حبراً أو رابياً، وكان هذا اللقب تكريماً وتفخيماً، ولم يصبح لقباً رسمياً إلا بعد المسيح بسنوات قلائل، ولكن القرآن الكريم ـ كما رأينا ـ أطلق هذه التسمية منذ الأيام البعيدة. ولَقَبُ ناموسيين أو ربيين في الناموس يُظهر حقيقة مقام تلك الهيئة أكثر مما يظهره لقب الكَتَبَة، مع العلم أن المسيح ـ عليه السلام ـ في الأناجيل ندَّدَ بالكَتَبَة ونسبَ الناموسيَّ إلى الفريسيين.

كانت هذه الفئةُ تُعلم الدِّين، وتشرح التقاليد، وتجلس في كرسي القضاء في المجامع الدِّينية، وكان هؤلاء الناموسيون يحبون أنْ يستشيرهم الشعب اليهودي في كل أمورهم، وكانوا يخلقون المناقشات السفسطائية التي لا طائل تحتها، ومن أمثلة ذلك إذا شبت النيران في يوم السبت في منزل يهودي فهل يجوز له أن يخلع ملابسه عن جسده؟ فيجيبون: إن الملابس التي على جسده هي ملابسه، وهي التي تستر عورته، ويستطيع أنْ يبدلها عندما يصل إلى مكان آمن!!.

كان الناموسيون أصحاب القول الفصل في مثل هذه المشكلات وغيرها من أمور الحياة كالزواج والطلاق وشؤون العبادة كالصوم والصلاة وحفظ السبت، إلى أبسط الأمور التي تعرض لليهودي في حياته، وكان هؤلاء يعتمدون في فتاويهم على تقاليد الربيين الذين سبقوهم، وقد كثر تناقض هذه التقاليد وتشعبها. فكان هناك مدارس، ولكل مدرسة منها منهج، ففي حين كانت مدرسة هلل متساهلة تسمح بالطلاق لأدنى سبب كأن تقدم المرأة لزوجها طبقاً رديء الطهو. بينما قصرت مدرسة شماي أسباب الطلاق على علَّة واحدة هي الخيانة الزوجية، وتشدد في تفسير الناموس وتطبيق الشريعة.

ويبدو أن هؤلاء الناموسيين سيطروا على كل شيء في حياة اليهود، وغرَّتهم الحياة الدنيا فتكالبوا عليها، ولهذا، أنذرهم المسيح بالويلات بقوله: ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفاتيح المعرفة وما دخلتم أنتم، والداخلون منعتموهم. لوقا **11/ 52/**.

ولقد كان هؤلاء الناموسيون وفرقة الفريسيين اليهودية التي ظهرت في عهد المكابيين على وئام حتى إن السيد المسيح هَدَّدهم بالويلات لأنهم يتمسكون بحرفية الشريعة، لا بجوهرها ولا بروحها. الموسوعة الفلسطينية، ج**1**، ص**446**.

الباب الثاني

فِرَقُ اليهودية في عهد الإسلام

الفصل الأول :

1 ـ اليهود في الجزيرة العربية.

2 ـ موقفهم من الرسول العربي .

الفصل الثاني :

اليهودية وفرقهم في ظل الإسلام

1 ـ القرّاءون .

2 ـ موسى بن ميمون وفرقته .

3 ـ الغاءون .

4 ـ القبالة .

الفصل الأول

1 ـ اليهودية في الجزيرة العربية

اختلف الباحثون حول وجود اليهود في الجزيرة العربية، وذهبوا في اتجاهات عديدة أستطيع أنْ أتطرق إلى أهمها:

أ ـ إن اليهود من سكان الجزيرة العربية.

وقد انقسم هذا التيار إلى فريقين:

1 ـ **الفريق الأول:** قالوا: إن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ هو جَدُّ إسرائيل (يعقوب) وهو قد سكن الجزيرة العربية، وإسماعيل هو العم الوحيد ليعقوب (إسرائيل) ومن البديهي أن تكون هنالك زيارات وسُكنى بين بني العمومة وحسن جوار، ولهذا أينما سكن العرب سيسكن اليهود. وهذا الفريق يشير إلى تسرب الدِّين اليهودي إلى قبائل الجزيرة العربية، ولما كان الدِّين المسيحي وافداً من خارج الجزيرة على يد الأحباش فقد رفضه العرب، وقاوموه، ولكنْ؛ لم يُحَدِّثنا أحد من مؤرخي العرب أن العرب قاوموا الدِّين اليهودي، بل إنهم عاشوا معه في الجزيرة العربية. وهذا الفريق يشير إلى أن مملكة حمير قد تسربت إليها الديانة اليهودية، وقد اعتنقها الملك ذو نواس، وهو صاحب الأخدود الشهير الذي وردت قصته في القرآن الكريم في سورة البروج﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ البروج: 1 ـ 8.

ولي على هذا الفريق ما يلي:

1 ـ بعد أن حطَّم الرومان مدينة القدس، وهدمها، وبناها من جديد، وسمَّاها إيلي كابتولينا، تفرَّق اليهود في شتى بقاع الأرض ومن ضمنها دخلوا الجزيرة العربية، وسكنوا يثرب، وكان فيها العرب الأقحاح من قبلهم، ولما طغى اليهود على المدينة استنجد العرب بإخوتهم في اليمن، فأتى أحد ملوكها، وحارب اليهود وغلبهم، فاستسلموا له، وقبلوا بشروطه، وأقاموا تحالفاً مع سكان المدينة وحسن الجوار. ولهذا، تحالف بعضهم مع الأوس، وتحالف الآخرون مع الخزرج، وكانوا يُؤلِّبون الفريقين على بعضهم، ويمدُّون الطرفين بالسلاح، ويقرضان الطرفين بالأموال بفائدة عالية.

2 ـ لم يكن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ في يوم من الأيام جَدّاً لليهود، ولا كان يعقوب في يوم من الأيام، وقد رددتُ على هذا في جذور اليهود فليرجع إليه مَنْ شاء.

3 ـ قام صراع بين العرب واليهود ولا سيما في مدينة يثرب، والتاريخ العربي قد سجَّل لنا هذا مما يدل على أن الدِّين اليهودي أتى وافداً.

4 ـ لم يتقبل العرب في جزيرتهم هذا الدِّين، ولم تنضم إليه القبائل العربية الكبرى، وإنما ظلُّوا ينظرون إلى اليهودي نظرتهم إلى إنسان غريب عن بلادهم.

2 ـ الفريق الثاني من هذا التيار: قالوا: إن بلاد إسرائيل التي صوَّرتها التوراة ليست إلا في الجزيرة العربية، وإلى هذا أشار الدكتور كمال صليبي في كتابه التوراة جاءت من جزيرة العرب.

وسار في هذا التيار الصليبي عدد من المفكرين نذكر منهم رياض الريس، زياد منى، مفيد عرنوق، وأحمد داود...

ولكنهم اختلفوا أين كانوا يسكنون؟. هل هم في جبال الحجاز (الصليبي)؟ هل هم في جبال اليمن (زياد منى)؟

وامتدت النظرية هذه من مدين شمالاً حتى مضيق باب المندب جنوباً.

واعتمد أصحاب هذا التيار على النقاط التالية:

أ ـ إن المسورين أخطؤوا في تشكيل التوراة. ولهذا، قُرئت الكلمات خطأ، وظن الناس أن التوراة وبني إسرائيل كانوا في فلسطين.

ب ـ اعتمدوا على تشابه بعض الكلمات بين الأسماء في فلسطين والجزيرة العربية .

جـ ـ اعتمدوا على باب الاشتقاق تارة والتحول تارة ، مما أدى إلى كسر رقبة الكلمات من أجل تطويعها لأهدافهم .

ولي على هذا الفريق ما يلي :

1 ـ لو كان اليهود من العرب ، ونزلت الرسالة على موسى ـ عليه السلام ـ لألفنا انتشار اليهودية أكثر من ذلك في جزيرة العرب .

2 ـ لو كان اليهود من العرب فما الذي منعهم من العودة بعد أن انتهى العهد البابلي وسمح لهؤلاء المسبيين بالعودة إلى ديارهم فآثروا فلسطين ، فلماذا لم يعودوا إلى ديارهم ومساكنهم؟

3 ـ لو كان اليهود من العرب لكانت لغتهم العربية ـ وربما لهجتهم ـ ماتت وانتهت منذ زمن طويل ، فإن الجزيرة العربية لم يعش فيها إلا اللغة العربية .

4 ـ لم يتفق أصحاب هذا التيار على مكان محدد في الجزيرة العربية ، بل امتدوا في آرائهم حتى شملوا غرب الجزيرة العربية كلها .

5 ـ الأسماء العربية والآرامية التي اشْتُقَّتْ منها العبرية متشابهة . ولهذا ، سنرى أن هذه الأسماء يمكن أنْ تنطبق في حضر موت أو عمان أو الكويت .

ب ـ اليهود طارئون على الجزيرة، ولا يمتون بصلة إلى الأمة العربية ، والدليل على ذلك قلّة الناس الذين يدينون باليهودية ، فهم كالمجوسية وفدوا من خارج الجزيرة العربية إلى قلبها ، فآمن بها بعض الناس كما صار في قبيلة حمير ، وكانت سبباً من أسباب استعمار الحبشة لليمن ، ثم كانت سبباً في جلب الاستعمار الفارسي إلى اليمن على يد الملك سيف بن ذي يزن إذ استعان على طرد المستعمر بمستعمر آخر ، فاحتلَّ الفُرسُ محلَّ الحبشة .

إذن ، وُجدت الديانة اليهودية في الجزيرة العربية من أناس قد حلّوا فيها ضيوفاً ، ولمّا تمكنوا أنشبوا مخالبهم في جسمها تمزيقاً وتقطيعاً ، فالمدينة المنورة كانت فيها بطون من اليهودية (بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع) وكان في فدك وخيبر وتيماء حصون يهودية ، وكان اليهود سبباً في إثارة الأحقاد بين العرب والقتال المستمر بينهم .

2 ـ موقفهم من الرسول العربي

كانت التوراة اليهودية ـ التي بين اليهود في الجزيرة العربية ـ تحمل الدلائل والبشرى بمجيء رسول في المدينة المنورة، وكان اليهود يعدّونه فاتحة نصر لهم، وأنهم بواسطته سيقتلون العرب أي قتل، ويبيدونهم أي إبادة، شأنهم في ذلك شأنهم مع كل الشعوب التي يسكنون بينهم، وكانوا يتوقعونه منهم، ولما ظهر الرسول العربي محمد ـ عليه السلام ـ عرفوا أنه المبعوث المبشّر به في توراتهم، ولهذا، قال القرآن الكريم عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: 146.

وأكد هذه الظاهرة أيضاً في سورة الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام: 20.

وقد وصف اليهود بهاتين الآيتين وصفين مختلفين؛ ففي الآية الأولى يُبيِّن أن اليهود يعرفون أنه الرسول المبشر في توراتهم، ولكنهم كتموا الحق، ولم يظهروه. ومنهم مَنْ عرف الحق فاتبعه كعبد الله بن سلام ومخيريق الذي وصفه الرسول العربي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه خير يهود.

أما الآية الثانية: فقد بيَّنت أن الذين أنكروه ـ وقد عرفوه ـ إنما هم خسروا أنفسهم، وضاعت منهم فرصة الإيمان والسعادة.

ولهذا، أبعد اليهود هذه البشارات الموجودة في التوراة والتي تبشر بمبعث الرسول العربي صلوات الله عليه وسلامه.

ولما جاء العرب المسلمون يناقشون اليهود ثبات بعثة الرسول وأنها حقة، لجؤوا إلى بعض النصوص التي تشير من بعيد بعد تغييرها من قبل اليهود، ولو رجعتَ إلى كتاب إظهار الحق لألفيتَ أربع عشرة بشارة قد استخلصها العثماني من التوراة تُبشر بالرسول، وقد اختلفت مع هؤلاء وخاصة حينما أخذوا كتاب التوراة على أنه حق، وتمسكوا بنصوصه على أنها نصوص

صحيحة، وفيها كلمة فاران التي رأى فيها هؤلاء العلماء الباحثون أنها جبال مكة، وقد كشفتُ خطأ هذه الكلمة ووضعها في موقع غير موقعها.

إذن، كان اليهود يستفتحون - بالنصر على العرب - بهذا النبي الذي كانوا يتوقعون مجيئه منهم، ولما أتى من العرب لم يقبلوا به، وكذَّبوه. وحلَّت الطامة حينما وصل الرسول إلى المدينة، ودخلها، واستُقبل أي استقبال، وخرج رجال المدينة ونساؤها يغنون طلع البدر علينا، وهنا أُسقط في أيديهم، وطلبوا من حلفائهم في المدينة أنْ يدرؤوا عنهم خطر هذه الدعوة، فكانت الصحيفة التي وقَّعها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأهل المدينة واليهود تنصُّ على العيش بسلام مع بعض، وألا يغدر أحدهم بالآخر.

أعود إلى الوراء قليلاً لأذكر أن أبا طالب ذهب بمحمد - صلى الله عليه وسلم - حينما كان صغيراً إلى بلاد الشام، ورآه الراهب بحيرا، فطلب من أبي طالب أن يعود به لأن اليهود إذا رأوه وعرفوه سيقتلونه، فعاد به إلى مكة المكرمة، ولهذا، حقد اليهود من جديد على العرب بمجيء مبعوث منهم يُبشر برسالة سماوية، هل يتساوى العرب واليهود؟ الرُّسُلُ يجب أنْ يكونوا من اليهود - حسب نظرتهم - لأنهم الشعب المختار، وهم الأبناء البكر ليهوه الإله المزعوم، وقد ترجموا يهوه إلى الله ليخفوا عقيدتهم التي لا تؤمن بالإله العظيم خالق الكون، ورافع السماء، وباسط الأرض، ولهذا، كانوا يُصرِّحون بأنهم أبناء الله وأحباؤه.

كيف اختار الله سبحانه وتعالى رسولاً من غيرهم؟ أليسوا هم الشعب الأفضل؟ فعادوا إلى كتابهم يستقرئونه من جديد، فرأوا هناك رُسُلاً من العرب آخرين، رأوا شعيب بن مدين، وأيوب، وإسماعيل، وإبراهيم، وكانوا قد ربطوا أنفسهم بإبراهيم، ونفوا إسماعيل من السلك النبوي حسب التعبير الحديث ليُتِمَّ - باسمهم - الربُّ الرسلاتِ السماويةَ، وتخبطوا في اسم كاهن مدين، فهو تارة يثرون، وتارة رعوئيل، ونفوه من النبوة، وأبعدوا أيوب عن العربية، فألصقوه بهم، كما أبعدوا نبي الله يونس، فألصقوه بهم، وأسقطوا الأقوام العربية الأخرى كقوم عاد وثمود، وأهملوها، فلم يذكروها في توراتهم أي ذكر ليقولوا إنهم المختصون برسالات ربهم.

هؤلاء الذين يظنون أن البشرية خَدَمٌ لهم، وخُلقوا من أجل هذه الغاية، أتى الإسلام ليكذب بشكل واضح هذه العقيدة التي تميز بين إنسان وإنسان ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: **13**.

وكم من فرق كبير بين هذه النظرة الشاملة للإنسانية وبين النظرة العرقية التي تميز بين شعب وشعب، وبين لون ولون، واسمع هذا النص التوراتي:

حين قسم العلي للأمم، حين فرق بني آدم، نصب تخوماً لشعوب حسب عدد بني إسرائيل، إنّ قسْمَ الرب هو شعبه، يعقوب حبل نصيبه، وجده في أرض قفر، وفي خلاء مستوحش خرِب، أحاط به، ولاحظه، وصانه كحدقة عينه، كما يحرك النسر عشه، وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه، هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي، أركبه على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء، وأرضعه عسلاً من حجر، وزيتاً من صوان الصخر، وزبدة بقر ولبن غنم مع شحم خراف وكباش أولاد باشان وتيوس مع دسم لب الحنطة، ودم العنب شربْتَهُ خمراً. تثنية **32/ 8-14/**.

أيمكن أنْ يقول الإله هذا الكلام والإله نفسه قرر قاعدة إن أكرمكم عند الله أتقاكم؟! فأي إله يميز بين عباده؟ أو أي إله يقبل أنْ يكون هناك شعب له وشعوب لغيره (وليس معه إله أجنبي)؟! أليس هذا اعترافاً بالشرك وجحوداً للتوحيد؟!.

هذا الشعب المدلل عند يهوه أُهينت كرامته حينما تساوى مع العرب في هذه الصحيفة، أُهينت كرامته حينما جاء رسول ليس منهم، فبدؤوا بالتآمر على الرسول الكريم، وبدأت المعارك بين اليهود من جهة والمسلمين من جهة أخرى حتى تم إجلاؤهم عن المدينة، وتم فتح حصونهم في فدك وتيماء وخيبر، وحدثت مناقشات طويلة، وردَّ القرآن الكريم عليهم، وجادلهم، وكل قارئ للقرآن الكريم يلحظ الكم الهائل من الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل واليهود، وتردُّ عليهم أقوالهم، وتُفَنِّدُ مزاعمهم.

وقد كتب اليهود التلمود وهم بعيدون عن عرب الجزيرة، لكنهم - رغم ذلك - لم يسلموا من أذى اليهود في تسجيلهم لهذا الكتاب، وإلى هذا أشار الدكتور رزوق في قوله:

ويجدر التنويه بأن عناصر الصورة التلمودية لا تخلو من بعض التحامل على العرب الجاهليين مثلما هي شديدة التمييز ضدّ إسماعيل بن إبراهيم والمنحدرين من نسله .

1 ـ في سِفر سوكاه يقول الرابي حانا بن آبا نقلاً عما قيل في بيت المدارش : هناك أربعة أشياء يندم الواحد القدوس تبارك اسمه على خلقه إياها وهي التالية : النفي ، الكلدانيون ، الإسماعيليون (يقول الناشر في هذه الحاشية بأن هذه التسمية مرادفة للعرب الذين يعيشون حياتهم كلها تحت الخيام) ونزعة الشر . ويسند قوله عن العرب إلى سِفر أيوب ، خيام المخربين مستريحة ، والذين يغيظون الله مطمئنون .

2 ـ في سِفر بابا متزيا نجد الرابي جمايا بن إسماعيل يقول : بأن المسافرين مع إبراهيم احتجوا لديه قائلين : هل تحسبنا من العرب الذين يعبدون الغبار على أقدامهم؟ لقد سبق لإسماعيل أنْ تحدَّر منك .

المقصود أن إسماعيل يفعل ذلك في نظر الشارح .

3 ـ ينسب الربانيون إلى العرب أنهم يسيؤون معاملة الأسرى من النساء .

4 ـ كما ينسب الربانيون إلى العرب أعمال السحر وألعاب الخفة ، ففي سِفر سنهدرين نقرأ عن عربي امتشق السيف ، وقطع به الناقة ، ثم قرع جرساً ، فنهضت الناقة دون وجود أثر للدماء عليها[1] .

لكنَّ التوراة بحدِّ ذاتها في سِفر عزرا ونحميا رأت في العرب أناساً يعرقلون مشاريعهم في بناء الهيكل :

ولما سمع سنبلّط وطوبيا وجشم العربي وبقية أعدائنا أني قد بنيتُ السور ولم تبقَ فيه ثغرة على أني لم أكن إلى ذلك الوقت قد أقمتُ مصاريع للأبواب ، أرسل سنبلّط وجشم إلي قائلين : هلم نجتمع معاً في القرى في بقعة أونو . وكانا يفكران أن يعملا بي (نحميا) شراً ، فأرسلتُ إليهما رسلاً قائلاً : إني أنا عامل عملاً عظيماً ، فلا أقدر أنْ أنزل ، لماذا يبطل العمل بينما أتركه وأنزل إليكما؟ وأرسلا إلي بمثل هذا الكلام أربع مرات ، وجاوبتهما بمثل هذا الجواب ، فأرسل إلي سنبلّط بمثل هذا الكلام مرة خامسة مع غلامه برسالة منشورة بيده

---

(1) رزوق أسعد ، التلمود والصهيونية ، صفحة : 267 .

مكتوب فيها: قد سُمع بين الأمم وجشمٌ يقول: إنك أنت واليهود تفكرون أنْ تتمردوا، لذلك، أنت تبني السور لتكون لهم ملكاً حسب هذه الأمور، وقد أقمتُ أيضاً أنبياء لينادوا بك في أورشليم قائلين في يهوذا ملك، والآن يُخبَر الملك بهذا الكلام، فهلمَّ الآن نتشاور معاً، فأرسلتُ إليه قائلاً: لا يكون مثل هذا الكلام الذي تقوله، بل إنما أنت مختلقه من قلبك، لأنهم كانوا جميعاً يخيفوننا قائلين: قد ارتخت أيديهم عن العمل فلا يُعمَل، فالآن يا إلهي شَدِّدْ يدي[1].

وهكذا تجمعت العداوة للعرب في ذلك الوقت لأسباب ثلاثة:

1 ـ لأن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقضية الإرث؛ حينما ألصقوا أنفسهم بإسحق ويعقوب ومحاولة إبعاد إسماعيل عن إبراهيم.

2 ـ موقف العرب الصريح والواضح ضدَّ بناء الهيكل قديماً وحديثاً.

3 ـ الدعوة الإسلامية التي ندَّدت بمَنْ يَدَّعون أن لهم حق التميز والانفراد، وأنهم شعب الله المختار. هذه الأمور كلها دفعت باليهود إلى الوقوف ضدّ الدعوة الإسلامية، فتآمروا على الرسول العربي، ووقفوا مع مشركي قريش في غزوة الخندق، وحاولوا قتل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما ألقوا عليه رحاً من فوق سطح، وحاولوا سمَّه في الشاة المسمومة، وحاولوا حربه في خيبر، فكانت الدائرة عليهم، ولهذا، وضعوا الرسول العربي ـ حسب رأيهم ـ في جهنم مع عيسى عليهما السلام. ومن ثم حينما رأوا أنهم مغلوبون دخل بعضهم الإسلام، وتآمروا على المسلمين، وكانت لهم بهذا مواقف منها:

1 ـ مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان لكعب الأحبار الضلع الكبيرة.

2 ـ مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان لعبد الله بن سبأ الضلع الكبيرة.

3 ـ تمزيق المسلمين إلى طوائف يقاتل بعضهم بعضاً.

وحينما انتشر الإسلام في أنحاء الوطن العربي وفارس كان من الطبيعي أنْ توجد بعض العناصر اليهودية في تلك البلاد، وقد وقفت تلك العناصر موقفين:

---

(1) نحميا: 6/ 1-9/.

1 ـ قبلت فئة منهم الأمر الواقع وعاشت فيه، ومن هؤلاء مَن اعتنق الإسلام، ومنهم مَنْ ظل على دينه، فعومل معاملة الذميين، وعاشوا في ظلال سماحة الإسلام.

2 ـ قسم منهم هاجر، فاجتاز حدود الإسلام والمسلمين إلى ربوع آسيا أو إلى أوروبا، وفي آسيا عاشوا في بلاد الخزر ينعمون بالذلة تحت يد ملكها، ويلعبون دورهم في تلك البلاد. وفي هذه الفترة استغل اليهود تسامح الإسلام وأهله. ويمكن تقسيم الفترة الإسلامية بالنسبة لليهود إلى الفترات التالية:

1 ـ الفترة الفاؤنية أو سيطرة اليهود الشرقيين، وتمتد من 500 ـ 980 م.

2 ـ الفترة الربانية الفلسفية، سيطرة يهود الأندلس 980 ـ 1492م، وقت سقوط الأندلس.

ونقف في الفترة الإسلامية عند هذا الحدّ لننتقل بعد ذلك إلى الفِرَق التي وُجدت في العهد الأوروبي، وتحت ظلال المسيحية الغربية.

الفصل الثاني

اليهود وفِرَقُهم تحت ظل الإسلام

1 ـ القرّاءون.

2 ـ موسى بن ميمون وفرقته.

3 ـ الغاءون.

4 ـ القبالة.

1 ـ القرّاءون:

لا نعرف متى بدأت هذه الفرقة في الظهور، إلا أنها شُهرت على يد الحبر عنان بن داود، وقد نسبها الكُتَّاب العرب إليه فَسَمّوها العنانية، وهذه الفرقة شُهرت في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور الخليفة الثاني العباسي.

ولهذا، يمكن أنْ تكون هذه الفرقة قد بدأت نشاطها والظهور في دولة بني أمية، ولكن هذه الفرقة لم تنتشر بين أوساط اليهود بشكل واسع، وقد وقفت تناطح الفريسيين، فكان جزاؤها أنْ قُتل عنان بن داود في زمن أبي جعفر المنصور.

وهم يمثلون فئة قليلة من اليهود، ولما تدهور الفريسيون نما فريق القرّائين وردَّتْ أتباعَ الفريسيين ونفوذهم.

ومبادئ القرَّائين هي:

1 ـ لا يؤمنون إلا بالكتاب المقدَّس فقط بما فيه من أسفار تاريخية، وأسفار أنبياء.

2 ـ لا يؤمنون بالروايات الشفهية التي تُسمّى بالمشنا والغمارا (التلمود)، وإنما يعدّونه لا يمت إلى الوحي بصلة، وإنما يرونها من عمل الأحبار والحاخامات، وقد عاشت هذه الفرقة

طويلاً، ومن أتباعها السموءل بن يحيى الذي أعلن إسلامه، وهكذا ذابت هذه الفرقة إما في الإسلام وتسامحه، أو عادت إلى الفرقة التلمودية من خلال ضغط التلموديين عليهم.

ويقول الدكتور أحمد سوسة عنها: ظهرت هذه الفرقة في القرن الثامن الميلادي، أسسها الحبر عنان بن داود، وهي تدعو لرفض التلمود، وتنادي بنبذه، وتصف تعاليم الربانيين بأنها خارجة عن التوراة، وأطلقت على نفسها اسم القرّائين.

تأثر فكر هذه الفئة بالمعتزلة الإسلامية، وانضم إليها عدد كبير من اليهود، واشتد الصراع بينها وبين الربانيين التلموديين، وكَفَّر كلٌ منهما الفريقَ الآخر، وحَرَّم الربانيون الاختلاط مع القرَّائين، والتزاوج منهم كما عدّوا الأطفال المولودين من هذا الزواج غير شرعيين[1].

وهذه الفرقة خالفت وصية التوراة حينما طلب موسى أنْ تُقرأ مرة كل سبع سنوات، وإنما طالبت بقراءة التوراة من قبل اليهود كلهم، ولهذا، دُعيت بالقرّائين، وكان الربانيون يريدون الاحتفاظ بهذه التعاليم، ولهذا، كانت الحرب بين الفريقين قاسية، إلا أن الذي أزكى نارها وقوّى أوارها هم التلموديون.

ويرى الدكتور فؤاد حسين علي أن الطقوس اليهودية تختلف من فرقة إلى فرقة وخاصة في الصلاة.

وقد أوليتُ في كتابي هذا عن الصلاة عناية خاصة مقابلاً بينها وبين الصلاة في العقائد الأخرى لأنها جميعاً ترجع إلى أصل واحد.

وقد عرض لها أنبياء بني إسرائيل من قبل، ووجّهوا إليها نقداً قوياً سواء إلى الصلاة التي كانت سائدة قبل عصورهم، أو التي يباشرونها بأنفسهم، وهذا النقد نقل الصلاة إلى عصر جديد يُعرف في اللاهوت الإسرائيلي باسم فترة الصلوات، وقد امتازت بالتركيز على أن الله لا يحدّه زمان أو مكان، كما تتميز فترة إقامة الصلاة باعتراف المصلّي بذنوبه وخطاياه، كما فرض هذا التطور أيضاً تلاوة بعض آيات من العهد القديم مع العناية بترتيلها، وتجويد النطق بها مع تحديد مواعيد لإقامة الصلاة، وجعلها في الصباح والظهر والمساء.

---

(1) سوسة د أحمد، العرب واليهود، الجزء الأول، صفحة: 299.

والصلاة لها هذه المكانة السامية من الدِّين، ومنهم مَنْ رأى تطويرها، فالصلاة عند اليهود القرّائين عبارة عن طهارة جسدية وغسل ووضوء، وإقامتها تتطلب الوقوف والركوع والسجود، شأنهم في ذلك شأن المسلمين تماماً، بينما نجد اليهود الربانيين يقعون تحت تأثير الأوروبيين والكنيسة الغربية، فهم لا يجلسون أرضاً، ولا يركعون أو يسجدون، بل يقلّدون المسيحيين المعاصرين في الشرق أو الغرب، أعني يجلسون على مقاعد، ويركعون، ويسجدون بطريقة تكاد تكون رمزية[1].

ويرى الأستاذ شفيق مقار في كتابه السِّحر في التوراة: أن القرّائين هم الذين وضعوا النجمة السداسية شعاراً لهم إن الحال لم تكن كذلك على الإطلاق في الأزمنة القديمة، ولا وجود في أي موضع من الكتابات العبرية ما بعد التوراة وحتى في التلمود البابلي أو تلمود القدس لأي ذكر أو وصف لشيء يدعى مجن داود، والثابت بالأدلة أن مجن داود لم يصبح ملحوظاً كرمز يهودي إلا عندما أدخلته طائفة القرّائين[2].

ولا أدري من أين أتى بهذا الرأي، وحبذا لو أرشدنا إلى المصدر الذي يشير إلى ذلك.

وهذه الحركة (الفرقة ـ القرّائين) هي أول ردّ فعل ضدّ التلمود في العصر الغاءوني، ويقول الدكتور أسعد مرزوق عن هذه الحركة: وسُمّيت القرّائية نسبة إلى أتباع التوراة أو المقرا على النقيض من مشنا بمعنى التكرار الشفوي[3].

والقرّاءون هم أصحاب عنان بن داود الذين أخذوا بالظهور منذ أوائل القرن الثامن، وسمّاها صاحب كتاب الملل والنحل بالعنانية، ومن ثم من بعد مقتل عنان بن داود انتقلت الرئاسة إلى بنيامين النهاوندي تلميذ عنان بن داود، ثم استمرت على يد إسماعيل العكبري، وموسى الزعفراني التفليسي، ويودعان الهمداني، وإسحق بن يعقوب الأصفهاني، وسُمّيت بالعيسوية بعد ذلك على يد دانيال القوميص الدامغاني.

والمهم أن القرّائين ليست كما يقول أعداؤهم الربانيون ومَنْ يجاريهم من المؤرخين أنهم خرجوا وليدة النقمة الشخصية لدى عنان بن داود، بسبب إخفاقه في الوصول إلى رئاسة

---

(1) حسنين علي د فؤاد، اليهودية واليهودية المسيحية، صفحة: 2.

(2) مقار شفيق، السِّحر في التوراة، صفحة: 298.

(3) رزوق أسعد، التلمود والصهيونية، صفحة: 180.

الجالوت، بل هي حركة مقاومة للسلطة التلمودية، والفرقة الربانية، وهي استمرار للعناصر الصدوقية والأسنية التي رفضت التلمود.

وأكرر من جديد: إنها تأثرت بالفكر الإسلامي وعلم الكلام الإسلامي، وعقائد المعتزلة، والأصول على مذهب أبي حنيفة.

والمبدأ القرآني الذي أطلقه عنان بن داود ضدّ التلموديين هو العودة إلى التوراة والتقيد بنصها، ثم مباشرة البحث والتفسير على هذا الأساس واعتماد التأويل.

لقي التلمود معارضة شديدة لدى القرّائين، وهم يرفضون التقليد الرباني، لذا، قوبل انتصار القرّائين بحملة قاسية من جانب التلموديين.

في القرن التاسع توطّدت القرّائية في بلاد فارس، واتسع انتشار الدعوة إليها بين اليهود حتى وصلت إلى مصر، وبلغت الأندلس، مما جعل اليهود ينقسمون إلى معسكرين، المعسكر الرباني التلمودي، ومعسكر القرّائين.

بلغت الحركة القرائية ذروتها خلال القرن العاشر والحادي عشر حتى أن الفاءون سعديا الفيومي / 892 ـ 942/ هَبَّ للدفاع عن اليهودية التلمودية ضدَّ هجمات القرّائين، وراح يؤلف الردود النقدية على معتقدات القرّائين. ولما التجأ سعديا إلى الثقافتين العربية والإغريقية ـ في محاولته الرامية إلى إرساء دعائم العقائد الدِّينية والممارسات اليهودية على أساس عقلاني ـ كتب كتابه الفلسفي بالعربية كتاب الأمانات والاعتقادات 933 نسيجاً على منوال علم الكلام الإسلامي.

لكن نجم القرّائين لم يؤذن بالزوال رغم الهجمات المستمرة عليه من قبل التلموديين، وكانت الهجمات عنيفة الحرمان والقتل لأعلام القرّائين، ونجد مركز الثقل اليهودي منذ أواسط القرن العاشر أخذ في الانتقال من مركز العراق إلى يهود الأندلس.

وانزوت هذه الحركة وانتهت حينما انتقل اليهود إلى أوروبا والدولة العثمانية في الشرق والمغرب العربي، وبدأت سيطرة اليهود الأوروبيون على الفكر اليهودي.

2 ـ موسى بن ميمون وفرقته:

موسى بن ميمون الرئيس، أبو عمران القرطبي اليهودي المُفَنّن في العلوم، كان رئيساً على اليهود بمصر. وكان أوحد زمانه في الطب.

رحل من الأندلس إلى المغرب، وهناك أسلم في المغرب، وحفظ القرآن الكريم، واشتغل بالفقه، ولما قدم من المغرب صلّى بِمَنْ معه في المركب صلاة التراويح في شهر رمضان، وجاء إلى الديار المصرية، ومنها إلى دمشق. فاتفق للقاضي محيي الدِّين بن الزكي مرض خطير، فعالجه الرئيس موسى، وبالغ في نصحه، فرأى له القاضي ذلك، وأراد مكافأته على ذلك، فحلف أيماناً مغلظة أنه ما يأخذ شيئاً أبداً. وبعد مدة توجَّه إلى الديار المصرية، وخدم القاضي الفاضل، وكان السلطان صلاح الدِّين يستطبّه، فجاء مَنْ كان في المركب وقالوا: جاء معنا من المغرب، وصلّى بنا التراويح في السنة الفلانية، فأنكر موسى ذلك، وأخرج المكتوب الذي أخذه من القاضي ابن الزكي الذي اشترى منه الدار، وسجّلها بتاريخ مسبق، فلما رأى القاضي الفاضل خط محيي الدِّين ابن الزكي بالثبوت ما شكَّ فيه، واندفعت القضية بخبث هذا الشيطان.

له مشاركة في كل فن من الفنون، وهو جيد إلى الغاية على قواعدهم، وخاصة في كتابه دلالة الحائرين، وفي طب ابن ميمون يقول ابن سناء الملك:

أرى طب جالينوس للجسم وحده　　　　وطب أبي عمران للعقل والجسم

وله مقالة في معالجة الحدبة صنعها للقاضي الفاضل، ومقالة في السموم وتنقيح الفصول، وهو من أَجَلِّ كتب الطب، وتوفي سنة عشر وستمائة للهجرة.

لعب هذا الرجل دوراً كبيراً في حياته، فقد كتب عن اليهودية، ونفاه التلموديون، وعدّوه خارجاً عن الديانة اليهودية، وأعلن إسلامه، وهاجر من المغرب على متن سفينة إلى مصر، وصلّى بالناس المسلمين صلاة التراويح، ومن ثم أراد أنْ يرتدَّ إلى دينه، حَنَّ إلى اليهودية، فسافر إلى الشام، وقام بلعبته الخبيثة، وبهذا، ظن الناس أنه غير الشخصية التي أعلنت إسلامها ليفر من العقوبة في الإسلام، وهكذا عاد إلى دينه اليهودي من جديد.

ولنعد إلى بحث حياته حينما كان في الأندلس، فقد تخرّج على يدي إسحق بن يعقوب الفاسي، وهو حاخام يهودي ورباني سابق خريج جامعة لوسيانا اليهودية، هذه الجامعة الواقعة بين قرطبة وغرناطة، ومؤلف في التشريع التوراتي التلمودي، ويُعَدُّ كتابه تلموداً مختصراً، وُلد موسى بن ميمون / **1135 ـ 1204**/ وألّف كتابه، وظل فيه مدة عشر سنوات / **1170 ـ 1180**/ وهو تثنية التوراة، وسمّاه اليد القوية، وعدد أسفارها أربعة عشر سِفراً. يقول إسرائيل

ولفنسون عن هذا الكتاب : إذا كانت طريقة التلمود هي العرض للموضوع وإفساح المجال للمناقشة بين أصحاب المذاهب والآراء المختلفة دون ترجيح في أغلب المشكلات ، فإن موسى كان يعتمد على رجاحة عقله وعلى التقاليد الموروثة ، ويحكم حكماً فاصلاً ، وهو لا يجمع روايات ، ولا يدخل في غمرة مناقشات ، بل يفصل تفصيلاً ، ويحكم حكماً جريحاً مبيناً ، فمن هنا نراه لا يشير إلى مصادر أو إلى أسانيد ، وهناك مَنْ يعتبره أعظم مُدَوِّنٍ أنتجته قرائح اليهود ، بعد تدوين التلمود[1] .

لقد مرَّ بنا أن إسحق بن يعقوب الفاسي كان أستاذ موسى بن ميمون ، وقد أصدر تلموداً مصغراً عنونه باسم هالاخوت الأعراف ، وقد حذف الرابي ابن يعقوب الفاسي جميع المناقشات الطويلة ، وحافظ فقط على تلك المقاطع المرتبطة بشؤون الحياة العملية ، ولم يكن هذا العمل منظماً ، ولم يُعَدّ ذا قيمة كبرى .

لم يعجب هذا الكتاب التلميذ النابه لإسحق بن يعقوب ، فنشر عملاً منظماً عن القانون اليهودي ، ولهذا ، لُقِّبَ موسى بن ميمون بنسر المعبد اليهودي . وعُرف عمله الشهير بعنوان بمشنا توراة ؛ أي إعادة القانون ، والمعروف أيضاً باسم أياد هزا رفاه ، أي : اليد القوية .

يضم كتاب موسى بن ميمون هذا أربعة مجلدات أو أجزاء ، ويتألف من أربعة عشر كتاباً ، وهذا كله يشتمل على التلمود بكامله . وأضاف ابن ميمون إلى عمله هذا بحثاً فلسفياً ضخماً حاول فيه اشتراع قوانين وأحكام من عنده .

ولهذه الأحكام التي استنتجها من عنده ، وخالف فيها العرف اليهودي والتقليد التلمودي نبذه جماعة الغاوون ، وعَدُّوه مرتداً عن الديانة اليهودية ، وحكموا عليه بالإعدام ، ففرَّ إلى المغرب العربي ، ومنه إلى مصر كما أسلفنا . ورغم ذلك ازدادت أهمية كتاب ابن ميمون هذا مع مرور الزمن ، وجاء حين ظهرت نسخة معدّلة من الكتاب عُدَّت في نظر اليهود أفضل نسخ التلمود ، لكنَّ ثمة عيباً في كتاب ميمونيدس (التسمية اللاتينية لابن ميمون) هو شموله على قوانين كثيرة لم تعد لها قيمة ولا معنى بعد خراب الهيكل .

---

(1) رزوق أسعد ، التلمود والصهاينة ، ص : 185 .

وطُبع الكتاب طبعة أخرى حُذفت منه آراؤه الفلسفية وجميع القوانين التي أضحت عديمة الفائدة، صدرت هذه الطبعة سنة 1340، بإشراف يعقوب ابن أشير. وسُمّيت هذه الطبعة بإجماع كامل بين آراء الرابيين أربعة طوريم، أي: الأنظمة الأربعة، وهي التالية:

1 ـ أوراش شائيم: أصول الحياة: يبحث في الحياة اليومية، في البيت وفي المجتمع اليهودي أو في الكنيس.

2 ـ ايورده: خاص بتعليم المعارف عن الطعام وتطهيراته وغيرها من القوانين اليهودية الدِّينية.

3 ـ شوشين هامشباط: الأحكام الخاصة بالقوانين المدنية والجنائية.

4 ـ ايبهين هاايزر: صخرة العون التي تبحث في قوانين الزواج.

وقد اختلف الفاسي وموسى بن ميمون ويعقوب بن أشير في عدة نقاط مما أدّى إلى كتاب قانون جدير بهذا الاسم قام به رابي فلسطين جوزف كارو.

3 ـ الغاءون:

يُعَدُّ الغاءون امتداداً لجماعة التلموديين، وقد مرَّ معنا أن جماعة التلموديين مرَّت بمراحل:

1 ـ مرحلة الكَتَبَة، وقد ناقشناها سابقاً.
2 ـ مرحلة الأزواج.
3 ـ مرحلة التنائيم.
4 ـ الأمورائيم.
5 ـ مرحلة الصبورائيم الشرّاح.
6 ـ مرحلة الغاءون: 500 ـ 980م.

وهذه المرحلة هي التي سنناقشها في هذه الفقرة.

ميزات هذه المرحلة وأهم أحداثها اليهودية:

أ ـ أصبح التلمود اليهودي مصدر النفوذ الهائل في حياة اليهود، فهو المرجع المعترف به لكل مَنْ شاء الاطلاع، وبعد هذا سوف يتساءل القارئ ما التلمود هذا الذي لعب بحياة اليهود هذا الدور الكبير؟

إن لفظة تلمود في اللغة هو صيغة مشتقة من فعل لَمَذَ بمعنى تَلمذَ، والتلميذ الدارس في المدرسة، ومن هنا التلمود كتاب الدراسة والتعليم، ويقول أساتذة اللغات العربية القديمة: بأن جذر لمذ ولمد أصلاً يفيد ذلك المعنى الحسِّي لفعل اللمذ، واللامد هو حرف اللام في اللغة الآرامية، وعنها أخذت العبرية هذا الاسم.

وفي العبرية إن لفظة لاماد: تعلم، وهي تفيد التعلّم والتعليم، وتجري هذه الكلمة على عدة معان:

1 ـ التلمود بمعنى التعليم والتعلم والدرس (المدراش).

2 ـ تدل على التدريس بواسطة نصوص الكتاب المقدس، والاستنتاجات التفسيرية المستخلصة من دراسة تلك النصوص حيث يتم شرح الأصول الشرعية، والأحكام الفقهية بالاستناد إلى النصوص التوراتية.

3 ـ التلمود بمعناه اللاحق كمصنف للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهية اليهودية، وهناك تلمودان:

1.التلمود الفلسطيني: ينسبه اليهود خطأ إلى أورشليم لأن القدس خلت من المدارس الدِّينية منذ احتلال هادريان للأرض العربية الفلسطينية، وتهديم الهيكل، وقد انتقل الأحبار من القدس إلى إنشاء مدارسهم في يمينية وصفورية وطبرية، كما أطلق يهود العراق على التلمود الفلسطيني أحياناً نسبة تلمود أرض إسرائيل، وتلمود أهل الغرب، نظراً لوقوع فلسطين غرب العراق.

2.التلمود البابلي: وهو نتاج المدارس الدِّينية اليهودية في العراق، وأشهرها مدرسة سورا ونهاردعا وفومبديتا، يُعرف هذا التلمود في الحالات النادرة بتلمود أهل المشرق.

ب ـ إذن، مرحلة الغاؤن أو سيطرة اليهود الشرقيين بدأت بعد أنْ أتم كَتَبَةُ التلمود كتاباتهم، ولم يعد التلمود بحاجة إلى زيادة فيه، وأصبحت الأكاديمية البابلية مركز السلطة المركزية ليهود العالم قاطبة، فهي صاحبة التفسير المأثور لأحكام التلمود، وإليها اتجهت أنظار اليهود طلباً للرأي والمشورة في تفسير النص أو تأويل أحكامه وفقاً لحاجات الحياة ومتطلبات الأوضاع المتبدلة.

ومما لا شك فيه أن ازدهار دراسة التلمود وانتشارها من بابل إلى مصر وشمال إفريقية وأنطاكية وإسبانية وألمانيا وفرنسا وإيطالية لم يبلغ هذا الاتساع والازدهار إلا بفضل التأثير الذي قامت به الثقافة العربية الصاعدة لدى اليهود المنتشرين في العالم الإسلامي.

فالحضارة الإسلامية العربية وسماحة الإسلام وتساهل المسلمين مع أهل الديانات الأخرى، هذا كله سمح لليهود أنْ ينهضوا بآدابهم ودراساتهم سواء كان ذلك شعراً أو ديناً وعلماً، وقد شهدت بذلك الموسوعة اليهودية فقالت: كانت الحضارة العربية في دنيا الإسلام أحد العاملين الرئيسيين اللذين أيقظا القوى اليهودية من سباتها، وأطلقا الوحي لبروز النشاطات اليهودية وهي النشاطات الفكرية التي تدين فيها الروح اليهودية بالفضل على مدى قرون عديدة في النتاج الرائع والمثمر.

ج ـ ولذلك برع الغاءون بالرد وأدب الردود على الأسئلة التي كانت تَرِدُهم، وكان الغاءون رؤساء المدارس التلمودية في العراق يبعثون بها ردوداً لشتى النواحي والأمكنة التي يقطنها اليهود.

وصارت هذه الردود بجانب التلمود بمثابة العلم الشرعي الموثوق به، وصارت تراثاً للأجيال اللاحقة اليهودية.

وفي هذه الفترة ـ فترة الغاءون ـ حدث الانشقاق بن القرّائين والحركة التلمودية، وبلغت ذروة القرّائين كما أسلفنا خلال القرن الحادي عشر، حتى أن الغاؤون سعديا الفيومي / 892 ـ 942/ هبَّ للدفاع عن اليهودية التلمودية ضدّ هجمات القرّائين على التلمود.

ومنذ أواسط القرن العاشر بدأ مركز اليهود ينتقل من العراق إلى الأندلس، وذلك للاضطرابات التي أصابت الشرق، فالحروب الصليبية وحركات الحشاشين والحروب المغولية والزحف القادم من الشرق، هذا كله جعل اليهود يفرُّون من الشرق إلى الغرب والأندلس، وبدأ المركز لدى يهود الأندلس.

واستطاع الغاءون أن يقودوا سلطة التلمود، وبلغت ذروة السلطة التلمودية في القرن السادس عشر، ثم عادت الجماعة الربانية للسيطرة على مقاليد الأمور اليهودية، وفي هذه الفترة سيطر اليهود الإسبان من 980 ـ 1492، وهو تاريخ سقوط الأندلس.

4 ـ القبالة :

مذهب جديد قام بين القرنين العاشر والحادي عشر، وتطور حتى القرن السادس عشر، ويقول في هذا إسرائيل شاحاك في كتابه الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود: إن الديانة اليهودية كانت تظن أنها ديانة توحيد كما يُعرف عنها وحتى الوقت الحاضر، وهكذا يقررها علماء اليهود التوارتيون، ولكنْ؛ لو قرأها أي إنسان قراءة متأنية، وخاصة العهد القديم، فإن هذا الرأي لا يلبث أنْ يزول ويتبيَّن خطأه الإنسانُ بكل سهولة، وسيرى هذا الإشراك في الكثير من الأسفار التوراتية من العهد القديم، فهناك أرباب آخرون غير يهوه[1].

إذن، هناك أرباب آخرون تعترف التوراة بهم صراحة، ولكنَّ يهوه كما تُصوِّره التوراة هو أقوى الأرباب.

وهنا لابُدَّ من السؤال: هل تعدلت نظرة اليهود إلى التوراة وصارت الديانة اليهودية ديانة توحيدية أم أنها سارت على المنوال نفسه؟

إذا كانت كل ديانة تبدأ بالتوحيد وتنتهي بالإشراك وعبادة الأصنام والدعوة إلى الوثنية فلابد من هذه النظرية أنْ تسود على كل دين، فكيف إذا كانت الديانة في الأصل غير توحيدية على الإطلاق؟! ارجع إلى كتابي هل الديانة اليهودية ديانة سماوية؟.

وإذا كانت التوراة ـ حسب ادعائهم ـ الكتاب الأول وفيها تعدد الآلهة فإن التلمود الذي جاء متأخراً عن كتابه التوراة فيه الكثير من الوثنية والإشراك والهزء من يهوه الخالق والمختص بهم.

فصفحات التلمود فيها المغالاة وفيها الأقوال الكريهة وبعضها الآخر كفر صريح كما صَرَّحَ الدكتور جوزيف باركلي مُفَسِّرُ العهد القديم. أما القس لومان ـ صاحب كتاب نابليون واليهود ـ فإنه قال: كان على المسيحيين أنْ يزيلوا من الوجود منهاج أبالسة الجحيم المسيحي بالتلمود والشبيه بالصخرة الملساء التي تخفي تحتها وكر الثعابين القاتلة قبل أنْ ترسخ تعاليمه السامة في عقول اليهود وتُحوِّلهم إلى أفاعي تتربص على العالم كلما وجدت لذلك سبيلاً.

ويزعم التلمود أن يهوه لا عمل له في الليل إلا قراءة التلمود مع الملائكة وإعلانه عن ذمه ولومه لذاته عندما تغاضى عن هدم الهيكل القدس.

---

(1) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية، ص50.

ومَنْ كانت أمه الأفعى فإنه سيخرج ثعباناً، ومن هنا فإن القبالة وُلدت في أحضان التلموديين الربانيين، ومن باب أولى أنْ يكونوا أشدَّ حمقاً وضلالاً وتعصباً وحقداً على العالم كله.

ما القبالة؟

القبالة مجموعة باطنية من الحكَم التي لها علاقة بأسرار الكون والإله والكائنات الأخرى. ظهرت على يد عدد من أحبار اليهود الذين تأثروا بالآراء الشرقية ودين ذرادشت، ونشأت عنهم حركة سُمّيت الحكمة المستورة، وصارت تُعرف عند اليهود بالقبالة، وهي كلمة آرامية تعني القبول والتصوف.

وضع هذا الكتاب موسى الليوني وهو من كتب التوعية، وكَتَبَهُ باللغة الكلدانية القديمة، لكنه أنكر تأليفه، وزعم أنه عثر عليه في إحدى خزائن الكنيس القديم، وهذه العادة متبعة عندهم، فقد ادّعى حلقيا الكاهن عن رؤية كتاب بالتوراة بين أكداس الفضة، لذلك أدخله اليهود ضمن مجموعة كتبهم المقدسة السرية.

وبالرغم مما أخذته القبالة من الزرادشتية إلا أنها بقيت يهودية، ويدَّعي القباليون أن سفر التكوين عندهم مستمدٌ من موسى، وأن موسى استمدَّه من إبراهيم إذا لم يكن من آدم أو ممَّنْ هم أقدم من آدم وأعلى مقاماً.

ويجمع الباحثون أنه كتاب شيطاني يبحث في أمور مختلفة.. وأمور قذرة، بينما يدَّعي مؤلفه أنه التفسير الحقيقي للتوراة.

يذكر المؤرخ جواداتيلهان في كتابه الإسلام وبنو إسرائيل: بأن كتاب القبالة يتألف من جزءين:

1 ـ سفر زوراح، ويبحث عن الشياطين والجن والتنجيم والسحر والشعوذة.

2 ـ سفر باترپارح، ويبحث في الطقوس الدِّينية السرية مثل الخبز المعجون بدم أعداء اليهود وأساليب القتل والتعذيب وعبادة العجل الذهبي وغير ذلك[1].

فما الكتاب الذي وضعه موسى الليوني؟

يُسمّى الكتاب الزوهار. وضعه موسى الليوني الذي عاش / 1250 ـ 1305/ والكلمة آرامية تعني النور والضياء، وهي مأخوذة من التوراة حيث كان الإله يسير في الليل أمامهم

---

(1) فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة، ص374.

عموداً من نور، أو قل هو الأثر الفارسي في الديانة اليهودية النور والظلام، وتتصل أسرار الزوهار بالتوراة، وكل كلمة أو حرف من حروفها يحمل باعتقاد القباليين معنى باطنياً، والحياة في عُرف الزوهار صراع بين الخير والشر.

ويرى القباليون أن الحروف الاثنين والعشرين حرفاً من الأبجدية العبرية والمشتقة من الآرامية نزلت من السماء قبل الخليقة بستة وعشرين جيلاً، وأنها نُقشت بنار ملتهبة[1].

وكتاب الزوهار قد أخذ عن التوراة الشيء الكثير، ومما لا ريب فيه أن جذور التصوف ترجع إلى التوراة نفسها، فهناك مادة غزيرة جداً في أسفار العهد القديم، كما أن التلمود لا يقصر عنها أبداً في هذا المضمار، ومن الأمثلة البارزة على مادة القبالة في التوراة والتلمود نذكر ما يلي:

قصة الخليقة في سفر التكوين، رؤيا أشعيا في الهيكل، أوصاف المركبة السماوية حزقيال، وتلك الرؤى الكَشفية النبوية في دانيال. كما أن التلمود ممتلئ بالتأملات الصوفية حول مسألة عمل الخلق والمركبة الإلهية.

ويقول أبشتاين: إلا أن هذه العقائد الصوفية كانت موضع احتراس شديد في الأزمنة التلمودية، فلم يُسمح بشرحها إلا لفئة قليلة من المريدين المختارين خوفاً من أنْ يؤدي الإفضاء بسرها لدى الجهال إلى تعريضهم للفهم الخاطئ مما يؤدي إلى انتشار الشكوك والهرطقة[2].

هناك شذرات من أدب صوفي يُعرف باسم الهياكل والحجرات السماوية، ويرجع تاريخها إلى زمن الفاؤنيم، وهي تتحدث عن الذين ينزلون إلى المركبة أو يرتادونها، مثلما يتحدث التلمود بالذات عن المتصوفين الذين دخلوا إلى جنات الفردوس، إلى جانب هذه الرواسب والشذرات يطالعنا كتاب شيعوركوماه (مقاييس القوام الإلهي) ويأتي سِفر تيزيراه (كتاب الخلق) الذي يذكره التلمود كمثال على أهم أثر صوفي يرجع عهده إلى تلك الفترة.

رجال القبالة:

في القرن الثالث عشر نجد موزسنحمانيدس - توفي / 1275/ - وهو من كبار علماء التلمود في زمانه يبذل جهوداً واسعة لنشر عقائد القبالة وتعاليمها، ويحتمي خلف نفوذه

---

(1) فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة، ص375.

(2) رزوق أسعد، التلمود والصهيونية، ص182.

التلمودي، ولكنْ؛ يعلن بأن الصوفية هي من صميم اليهودية وفي جوهرها الصلب.

وفي مطلع القرن الرابع ظهر كتاب الزوهار متخذاً شكل الشرح والتعليق ومؤلفه موسى الليوني، وهو عبارة عن شرح وتعليق على أسفار التوراة والوصايا الإلهية.

كيف نشأت القبالة؟

استمدَّ التصوف اليهودي - الذي كان مقدمة للقبالة - الكثير من عناصره من التلمود، وراح ينازع التلمود تلك السيطرة، حتى استطاع الوقوف إلى جانب التلمود ومقاسمته النفوذ المتصاعد بازدياد.

وبدأت هذه العقائد بالانتشار منذ القرن الحادي عشر بين اليهود لكي تصبح في بداية القرن الرابع عشر مدار اهتمام الكثير منهم بعد أنْ كانت وقفاً على النخبة الممتازة التي تصطفي نفسها لتقبل التعاليم والعقائد السرية وتلقيها عن السلف.

فما الطرق التي وُجدت في الزوهار لتحقيق الكشف التوراتي؟ إن الطرق التي استخدمها الزوهار لتحقيق الكشف التوراتي الإشراقي هي ذاتها المرصودة في التلمود، وقد سُمّيت تلك الطرق الأربع باختزال حروفها الأولى إلى لفظه الفردوس، والعكس بالعكس، هذه الطرق هي:

1 - التفسير الحرفي بيشات: وهي عبارة عن الفهم البسيط لمعاني الألفاظ والأشياء تمشياً مع مبدأ التفسير الأولي الذي يذكره التلمود، ولم يحدث أبداً أن عبارة من عبارات التوراة سافرت عملياً إلى ما وراء حدود معناها الحرفي.

2 - التأويل الرمزي أو التلميح: وتقوم على اكتشاف الدلالات المتضمنة في بعض الحروف العلامات السطحية في ظاهرها، فقد عدّوا الحروف والعلامات بأنها تدل على الشرائع والقوانين غير المذكورة بوضوح أو بالتفصيل، لكنها إما موجودة تقليداً أو حديثة الكتابة الاختزالية شبيهة بما كان يدوّنه كُتّاب الاختزال الرومان، ثم أُضيفت النقاط والملاحظات إلى هوامش النسخ المخطوطة، وبذلك تم وضع الأساس للنص القياسي المعروف بالمازورة حفظاً للنص بطريقة دبلوماسية.

3 - الدرس الشرحي المكثف (درش): وهو التطبيق الوعظي لما كان في الزمن الغابر على الماضي القريب وعلى الآتي، وتطبيق المعطيات التنبؤية والتاريخية على الوضع الراهن والفعلي للأمور والأشياء، وهذا أدى بدوره إلى قيام نوع غريب من الموعظة.

4 ـ السر بمعنى الطلاسم المغلقة والأسرار الخفية : وهذا ما شجّع على قيام العلم الخفي أو السري ، لكنَّ هذا العلم لا يُدرك أسراره إلا القليلون ، بينما ترددت أصداؤه في كل من الأفلاطونية المستحدثة والغنوصية ، والقبالة والهرمسية ، فقد انطوى على شطحات خيالية ورؤى شاردة للأشياء الخارجة عن نطاق هذا العالم ، واختلطت فيه عناصر الثيولوجيا بالمتيافيزيقيا ، وأخبار الملائكة بأخبار الشياطين .

ماذا يحتوي كتاب الزوهار؟

إن الزوهار يستقي الكثير من التلمود ، ثم يضيف عليه ، وهو خلاصة التقليد الصوفي اليهودي حتى مطلع القرن الرابع عشر ، فالأعداد والحروف لها مفعول السحر ، وتقبع خلف تجليات الكون والخليقة ، ويمكن الجمع بين تلك الأعداد من / 1 ـ 10/ على نحو لا نهائي .

أما تعاليم الزوهار فهي ترجع إلى جذور تلمودية منها ما يتعلق بفكرة مجيء المسيح المنتظر وعودة بني إسرائيل إلى فلسطين وقيام الهيكل في موقعه القديم .

والتوراة في نظر الزوهار هي المخطط والتصميم الذي تزوَّد به يهوه قبل خلق العالم ، لأن التوراة تحوي كل شيء ، جميع العوالم الممكنة ، وكل أفعال الخلق ، لا ، بل كل كلمة فيها ترمز إلى شيء ، وكل نقطة أو علامة تخفي وراءها سراً عظيماً .

يتجلى التطابق بين أحكام الزوهار والتلمود وبين أحكام الزوهار والأجزاء التي يتركب منها الجسم البشري ، فقد أحصى التلمود أحكام التوراة واعتبرها تضم / 248/ أمراً من الأوامر أو الوصايا و365 من النواهي أي ما مجموعه / 613/ وصية بين أوامر ونواهي ، وهذا ما رمز إليه التلموديون الإشراقيون في حساب الجمَّل تريج (ت= 400 ، ر=200 ، ي=10 ، ج= 3 ، =613) [1] .

(1) الحروف الآرامية هي : ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع بِ ص ق ر ش ت ، وعددها اثنان وعشرون . وتبدأ الأعداد الرَّقْمية للحروف أ = 1 ب = 2 ج = 3 د = 4 ه = 5 و = 6 ز = 7 ح = 8 ط = 9 ي = 10 ك = 20 ل = 30 م = 40 ن = 50 س = 60 ع = 70 بَ = 80 ص = 90 ق = 100 ر = 200 ش = 300 ت = 400 ، وعلى هذا الأساس جمعوا تريج = 613 ، فالتاء 400 والراء 200 والياء 10 والجيم=3 ، والمجموع 613 . هذه الطريقة أخذوها عن الآرامية ، وهي موجودة في العربية ، ولكنَّ حروف العربية عددها ثمان وعشرون ، وتصل أرقامها / 1000/ =غ .

ثم عمدوا إلى المطابقة بين عدد كل من الأوامر والنواهي وبين عدد الأطراف 248 والمفاصل 365 في جسم الإنسان حتى توصلوا إلى القول بأن مراعاة كل وصية من هذه الوصايا أو خرقها يؤدي عن طريق الطرف أو المفصل المقابل لها في الجسم البشري إلى رد فعل مماثل في عالم الأنوار، وبالتالي، ينعكس على الكون قاطبة.

إن هذه التعاليم والعقائد ليست يهودية المنشأ والأصل، لكنها استحوذت على عقول المثقفين اليهود، وسلبت لُبَّ الجماهير اليهودية.[1]

ويقول أبشتاين: خلال فترة قصيرة من الزمن امتلك الزوهار على اليهود عقولهم وقلوبهم، وأصبح المصدر الثالث المقدس بعد التوراة والتلمود للوحي والهداية والإرشاد، ثم حمله اليهود معهم لدى الخروج من إسبانيا حيث رحلوا، فوصلوا إلى مدرسة صفد في القرن السادس عشر حيث كان إسحق لوريا / 1514 - 1572/ الملقب بالأسد يستعد لاستقباله والإسهام بقسط في شرحه وتطويره.

ومع القبالة يداً بيد بدأ اجتياح رؤى المسيحانية والعصر الألفي السعيد الذي سيعقب مجيئه، ويكمن تناقض بالغ العمق بالأخرويات، فديانة موسى كما أسَّسها عزرا، وصاغها، أسقط منها البعد الأخروي المتعلق بالعالم الآخر والحياة بعد الموت وأمل البعث النشور، وقد جاء العنصر الأخروي في كتابات الأنبياء المتأخرين، وهو ما يتضح في سِفر أخنوخ الذي كُتب في القرن الثاني قبل العصر المسيحي، وفي الأسفار السيبلية التي كُتبت بعد ذلك ببضعة عقود، وهكذا، عاد البعد الأخروي فاحتل مكانه في الزوهار.

كيف انتقلت الأسرار إليهم؟

وينسب القبالون الزوهار إلى موسى، وتعاليم القبالة عبارة عن أسرار على أعلى درجة من القداسة والخصوصية، علّمها يهوه بنفسه لجماعة منتقاة من الملائكة لا لكل الملائكة، وبعد أن وقع آدم في الخطيئة الأصلية، وطُرد من الجنة، أخذت بعض تلك الملائكة شفقة به فعلَّمته - بغير إذن يهوه - بعض تلك الأسرار على أمل أنْ يستخدمها في استعادة بعض ما كان قد فقد نتيجة لطرده من الجنة. وعرفت تلك الأسرار طريقها من آدم ونوح إلى إبراهيم، وعندما ذهب إبراهيم إلى مصر وأقام فيها هرباً من الجوع أفلت لسانه، فكشف عن بعض تلك الأسرار لكهنة

---

(1) أسعد رزوق، التلمود والصهيونية، ص184.

مصر، وكان ذلك هو السبب في أن أولئك الكهنة تمكنوا - وهم غير يهود - من أنْ يتوصلوا إلى فلسفات وديانات متقدمة رغم أن ما انبنت عليه ظل شكلاً ومجتزءاً ومنقوصاً من تلك الأسرار العليا التي أفلتت من لسان إبراهيم، وحقيقة أن موسى حينما تعلّم تلك الحكمة تعلّمها ابتداءاً من الكهنة المصريين. إلا أن ذلك كان من قبيل إنما بضاعتنا رُدَّت إلينا، نظراً لأن أولئك الكهنة كانوا قد أخذوا الأسرار عن إبراهيم، فالسلسلة اليهودية تبدأ بيهوه، وانقطعت بدخول الأغيار المصريين، وإذ استعاد موسى تلك الأسرار ظل يفكر فيها طوال سنوات التيه الأربعين، فنضجت في رأسه وأينعت بفضل ما ظل يتلقاه من دروس خصوصية كلّفه بها ملاك يهوه بذلك.

لي على هذا النص الزوهاري ما يلي:

أ - انقطعت السلسلة عند إبراهيم ولم تُعْلِمْنَا لِمَنْ انتقلت هذه الأسرار: هل أخذها إسحق ويعقوب؟. وإذا ما أخذاها فإن موسى لا يَحتاج إلى تعلّمها من المصريين. أم أن إبراهيم أخفاها عن إسحق وأعطاها لإسماعيل. لم يحدثنا الزوهار عن هذا على الإطلاق.

ب - إذا ماتت هذه الأسرار في صدر إبراهيم فإن موسى الذي تعلّمها لم يدركها إلا في ساعات الموت كما يحدثنا الزوهار، فإلى مَنْ نقل موسى تلك الأسرار؟ أم أنها انتقلت من موسى إلى آخرين؟ فَمَنْ هم الآخرون؟. هل هم أبناؤه أم أبناء أخيه؟ أم هل هو يشوع؟

وإذا ما كان الأمر كذلك فكيف عاش بنو إسرائيل في عهد القضاة تحت عسف الآخرين وتعذيبهم أم أنهم أضاعوا الأسرار؟

إذا كان الأمر كذلك فكيف انتقلت هذه الأسرار لهم؟.

ما الشعار الذي اتخذه القباليون؟.

إن القباليين قد أخذوا الشعار عن القرّائين مجن داود كما يُسمّونه، ونقلوه عن جماعة القرّائين السابقين، وقد اتخذته دولة إسرائيل المزعومة أو الصهيونية بعد القباليين شعاراً وطنياً لهم لِيُعَبِّرَ عن كونه العلم الذي سيرفرف ذات يوم لما تطمح إليه الصهيونية على العالم بأسره بتعبيره عن القطبين والمنطقة الاستوائية.

إن التلمودَين البابلي والفلسطيني والتوراة بأسفارها كافة لم تتكلم عن مجن داود ولا عن النجمة السداسية، ثم إن التوراة حدثتنا عن حرب داود مع جوليات كما يقولون، فقد نزل

داود دون مجن، وكان لا يحمل سلاحاً إلا المقلاع، وانتصاره على جالوت يعدّونه رمز تفوق داود، فمتى جاءه هذا المجن الذي لم يحدثنا عنه إلا القرّاءون والقباليون؟

ولكننا نتساءل: هل سار الزوهار مع التلمود جنباً إلى جنب؟.

انقلب الزوهاريون على التلمود في القرن الثامن عشر بزعامة جاكوب فرانك / 1724ـ1791/ الذي ظهر في عام 1755 في بودولية (بولونية) على رأس حركة مناوئة للربانيين، وللتمسك بالتلمود، وقد عدّ فرانك نفسه بمثابة المسيح المنتظر، وبهذا، صارت القبالة فرقة خاصة ضدّ الربانيين التلموديين.

لقد حققت القبالة انتصاراً باهراً في أواخر القرن السادس عشر وفي القرن السابع عشر في كل مراكز اليهودية، ولكنّ حركة التنوير اليهودية التي نشأت بسبب أزمة اليهودية الكلاسيكية ناضلت ضدّ القبالاة في اليهودية الأرثوذكية خاصة بين الحاخامات، ولكن حركة غوش أيمونيم في إسرائيل هي فرقة القبالة كاملة.

والقبالاة في تعاليمها هي أشد إشراكاً من التوراة، فالكون لا يحكمه إله واحد فقط، وإنما يُحكم من قبل أرباب ذوات شخصيات مختلفة وتأثيرات متفاوتة تنبثق من علّة أولى بعيدة مبهمة، فهناك إله يُدعى الحكمة أو الأب، ثم آلهة تُدعى المعرفة أو الأم، وهما قد تولدا من العلّة الأولى، كما خلقا زوجاً من الآلهة؛ الأصغر يُدعى الابن الأصغر المبارك أو المقدس، والابنة تُدعى السيدة أو ماترونيت وهي كلمة مشتقة من اللاتينية وتُسمى شخينة أو الملكة.

ثمة ضرورة لتوحيد الابن والابنة، إلا أن مكائد الشيطان تحول دون ذلك، وهو يمثل في هذه المنظومة شخصية هامة جداً ومستقلة، وقد تولت العلّة الأولى الخلق لكي ينتج لها التوحُّد، ولكنهما أصبحا أكثر ابتعاداً من السابق بسبب السقوط، وتمكن الشيطان فعلاً من الاقتراب كثيراً من الابنة المقدسة وحتى من اغتصابها سواء في الرمز أو في الواقع، وتختلف الآراء هنا لبيان أسباب خلق اليهود ويقولون: إنما خلقهم لسدِّ القطيعة التي أحدثها آدم وحواء.

وفي جيل سيناء تحقق هذا الأمر لفترة بسيطة، الابن الذي في موسى توحد بالابنة شخينة ولكنْ؛ لسوء الحظ تسببت خطيئة العجل الذهبي بالانفصال مرة أخرى، لكن توبة الشعب اليهودي رتقت الشق نوعاً ما، بنفس العذر يقترن كل حدث في التاريخ التوراتي اليهودي باتحاد أو انفصال الزوجين السماويين.

كان اجتياح الإسرائيليين لفلسطين الكنعانية وبناء الهيكل الأول والثاني ممكناً بسبب اتحادهما فقط، كما أن دمار الهيكلين ونفي اليهود عن الأرض المقدسة هي علامات خارجة ليست لانفصالها وحسب، بل لفجور حقيقي، فجور على غرار الآلهة الغرباء، حتى تكاد تسقط الابنة تحت سيطرة الشيطان، ويأخذ الابن شخصيات أنثوية شيطانية مختلفة إلى فراشه بدلاً من زوجته الأصلية[1].

هذا النص الذي نقلته عن إسرائيل شاحاك والذي يُثار حوله الأسئلة العديدة، ولكني لاأريد أن أثير حوله إلا سؤالاً واحداً:

هل الذين يؤمنون بهذه العقيدة يُعَدُّون موحِّدين؟! وأريد أن أتجه فأتساءل ما موقف الزوهار من الآخرين؟ هل موقف القباليين كالتلموديين أم أنهم كالصدوقيين والقرّائين؟ جواب واحد يكفينا من الزوهار حينما نقرأ: من يفعل خيراً للأغيار فلن يقوم من الموت.

ومع القبالة يداً بيد بدأ اجتياح رؤى المسيحانية والعصر الألفي السعيد الذي سيعقب مجيئه، وهنا بشّرت التوراة بهذا المجيء، ولكنْ؛ دون أن تذكر اسم المسيح، وكان هذا النص من تنبؤات أشعيا: ويخرج قضيب من جذع يسي، وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة، ومخافة الرب ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويُميت المنافق بنفخة شفتيه، ويكون البر منطقة متينة، والأمانة منطقة حقوية فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والشبل والمسمَّن معاً، وصبيٌّ صغير يسوقها، والبقرة والدبة ترعيان، تربض أولادهما معاً، والأسد كالبقر يأكل تبناً، ويلعب الرضيع على سرب الطل، ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان. لا يسيوءون ولا يفسدون في كل جبل قدسي، لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب، كما تغطي المياه البحر، ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسي القائم زاوية للشعوب، إياه تطلب الأمم، ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليعتني ببقية شعبه التي بقيت من آشور، ومن مصر، ومن فتروس، ومن كوش، ومن عيلام،

---

(1) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية، ص51-52.

ومن شنعار، ومن حماة، ومن جزائر البحر، ويرفع راية للأمم، ويجمع منفيي إسرائيل، ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض[1].

هذا النص الذي ورد من أجل النبوءة لي عليه الملاحظات التالية:

1 - قال: يخرج قضيب من جذع يسي ولم يقل من نسل داود، وداود ليس الابن البكر ليسي، وإنما هو أصغر أولاده، ولهذا، ليست البشارة لداود أو لأبنائه.

2 - هذا الوصف وصف حسي كما اعتاد اليهود، وحينما جاء المسيح - عليه السلام - طالب بالعدل والمحبة والرحمة بين بني البشر كلهم.

3 - هذا النص عرقي واضح خاص ببني إسرائيل، وقد كانوا في المنفى كما يدل النص، ولو وصلنا إلى الإصحاح 45 من أشعيا للاحظنا أنه يجعل كورش مسيحيه المنتظر، علماً أنه لا ينتمي إلى جذع يسي.

4 - فكرة المسيح المنقذ أخذها اليهود عن الديانة الزرادشتية.

5 - هذه الأحلام الوردية التي وردت في هذا النص قد أخذها اليهود عن جنة ديلمون السومرية، وإليك نص ديلمون:

ديلمون لا ينعب فيها غراب

ولا تطلق فيها الحدأة صرختها الثانية

لا يفترس الأسدُ، ولا يخطف الذئبُ الحملَ

ولا يقتل الكلبُ البري صغارَ الماعز

ولا يلتهم الخنزيرُ البري الغلالَ

ولا يعرف الشر والمرض والشيخوخة

6 - يؤكد أشعيا أن هذا العصر الذهبي سيتمتع فيه الأغيار بملذات ونعم لا توصف في ظل حكم صهيون.

---

(1) العهد القديم، أشعيا 11/ 1-12/.

7 ـ ينقلب المسيح المنتظر في التلمود إلى صورة المحارب القاضي الذي سيسحق الطغاة، ويدمر الأشرار، ويستأصل الشر من الخليقة.

فالصورة إذن من المتضادات التي نجدها في الديانة الزرادشتية، والتي تبلغ ذروتها في المعركة الكونية الفاصلة بين أهورامزد ممثل الحياة والنور، وأهريمان الذي يمثل الموت والظلام، وهي المعركة التي تنتهي بانتصار النور والحياة.

وهكذا صُنع المسيح اليهودي من أسطورتين، الأسطورة الديلمونية أسطورة السلام والحب، والأسطورة الزرادشتية أسطورة القتل والانتقام، ومن الأسطورة الفارسية صيغت أسطورة المسيح المنتظر، وعدَّت أساساً في الديانة اليهودية، وعليها قام التلمود والزوهار، لأنه حتى كتابة التلمود والزوهار لم يأتِ هذا المسيح المحارب، ولهذا، صاغوه بأنه سيقود جيش أبناء النور ضدّ جيش أبناء الظلام، وحينذاك تتحقق النبوءات، ويبدأ العصر الألفي السعيد الذي تحكم فيه صهيون كل الأمم، وتنبذ الأمم أسلحتها، وتلغي آلات الدمار، فتتحول السيوف إلى محاريب، والرماح إلى مناجل في ظل سلام صهيوني شامل، تخرج فيه الشريعة من صهيون، وتختفي في كل الأديان، فلا يبقى إلا يهوه وحده، ولا أرى هذا، فقد حُطِّمت الأديان تقريباً، أو بالكاد، ولكني لا أرى عباب يهوه هي المنتصرة، فحتى اليهود أنفسهم هنالك التيار المسيطر في صهيون تيار علماني لا يؤمن بيهوه إطلاقاً، وإنما هو تيار استعماري بحت، لا يهتم بالدِّين ولا تطبيقه، وكل ما هنالك أن هناك مَنْ يريد نهب الخيرات، وسرقة الثروات، وإبادة الشعوب دون أي هدف ديني يقودهم، والطبقة الحاكمة فيما يُسمّى إسرائيل من هذا التيار العلماني.

ومع القبالة بدأ بيد بدأ اجتياح رؤى المسيحانية والعصر الألفي السعيد الذي سيعقب مجيئه، ولهذا، قال باتاي: إنه في العهد القديم ابتداءً من كتابات النبييم في القرن الثامن قبل العصر المشترك توجد شواهد قوية على أن الإيمان بيوم الرب شعبي قديم، فعامّة اليهود توقعوا آملين أنْ يأتي يوم يُنَفِّذُ فيه يهوه وعده، وينتقم لإسرائيل من أمم العالم[1].

---

(1) الريس رياض، المسيحية والتوراة، ص: 78.

الباب الثالث

أوروبا واليهود في عصر النهضة والعصر الوسيط

الفصل الأول:

اليهود وأوروبا .

1 ـ يهود الخزر .

2 ـ الأشكنازيم .

3 ـ السفرديم .

4 ـ موقف أوروبا من اليهود .

5 . الملوك والكنيسة.

الفصل الثاني:

موقف اليهود من المسيحية .

1 ـ اضطهاد المسيح من الأناجيل الأربعة .

2 ـ محاكمة المسيح .

3 ـ اضطهاد أتباعه .

3 ـ موقف التلموديين من المسيح والمسيحية .

الفصل الثالث :

ارتداد مسيحي إلى اليهودية .

1 ـ اللوثرية وفروعها .

2 ـ المسيحية اليهودية أو المسيحية الصهيونية .

3 ـ شهود يهوه .

الفصل الأول:

اليهود وأوروبا

1 - يهود الخزر .

2 - الأشكنازيم .

3 - السفرديم .

4 - موقف أوروبا من اليهود .

5 - الكنيسة والملوك .

الرد والثورات التي حرض اليهود عليها في أوروبا .

1 - يهود الخزر:

علمنا سابقاً أن اليهود أصابهم الشتات ، وعلمنا أن التاريخ العربي لبلاد الخزر قد مرَّ فيه الوثني والمسيحي واليهودي ، ودخلها الإسلام في مَنْ دخل هذه البلاد .

طلب ملك الخزر في القرن الثامن الميلادي من الأديان الثلاثة أصحاب الكتب - اليهودية والمسيحية والإسلام - أنْ يشرح كل وفد دينه وأيهما وافقه آمن به .

وجاء الوفد الإسلامي حاملاً القرآن الكريم والسنة النبوية ، يعرضون الحلال والحرام وكيفية الدخول إلى هذا الدِّين الجديد ، وأهم النقاط التي وقف عندها :

أ - العبودية لله سبحانه وتعالى ، وإذا ما كان عبداً لله فإنه سيتساوى مع الناس الرعية ، وهو سيد الملوك أيقبل أنْ يكون كأي إنسان آخر؟ وتراءت له صرخة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - العادلة : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً . لا ، لن يرضى بهذا المبدأ الذي يساوي بين الملك والسوقة .

ب ـ تحريم الخمرة، وهو لا يستطيع الاستغناء عنها على الإطلاق.

جـ ـ تحريم الزنا وتقليص عدد الزوجات إلى أربع زوجات فقط، كيف يستغني عن شهوته ونسائه وهن بالمئات؟

إن هذا الدِّين لا يقبله ملك يَعدُّ نفسه من نسل الآلهة، وهو سليل الملوك السابقين، لولا هذه النقاط الثلاثة لآمن بالإسلام، ولأضاف إلى قوته وهو الطامح إلى حكم آسيا كلها، ولكن هذا الدِّين حال بينه وبين طموحه.

ولهذا ردَّ على المسلمين بأنه لا حاجة له في هذا الدِّين، ولكنْ؛ لا مانع عنده أن يبقوا في بلاده ما داموا لا يثيرون شغباً.

وجاء الوفد النصراني ليعرض أفكاره وديانته، فوقف الملك عند النقاط التالية:

أ ـ يمكن قبول المسيحية كدين لأن يسوع ـ عليه السلام ـ يُعَدّ في الإنجيل ابن الله، فهو سليل الإله، وإذا ما دخل في هذا الدِّين يمكن أن ينتمي إلى نسل الآلهة كما فعل قسطنطين إمبراطور روما حينما اعتنق المسيحية.

ب ـ الخمرة حلال عند المسيحية، ولا يمنعه هذا الدِّين من شرب الخمرة على هواه.

جـ ـ وقفت عنده محرمات النساء والزواج، فالمحرمات كثيرة، ولا يمكنه أن يتزوج إلا امرأة واحدة، وإذا ما دخل في الدِّين المسيحي وجب عليه أن يطلق نساءه كلهن إلا واحدة، وهذا لا يروقه.

ولهذا، رفض الدخول في الدِّين المسيحي، وشكرَ الوفدَ، وقبل سُكناهم في بلاده كالمسلمين.

وجاء الوفد اليهودي، وعرض الدِّين اليهودي، وناقش النقاط الثلاث:

1 ـ اليهود شعب مختار، ومَنْ يدخل فيه يتميز من غيره، وهم عرق متميز لا يقبل أنْ يتساوى مع البشر الآخرين، ولهذا، فاليهودي متميز من غيره، وهو شعب سليل الإله يهوه، إنه الابن البكر ليهوه، وهذا ما لا يتعارض مع فكرته، إنه نسل الآلهة أيضاً، وسيظل له امتيازاته وتفوقه وطموحه.

2 ـ الخمرة غير محرمة ليعبَّ منها ما يشاء.

3 ـ مهما عمل من ذنوب فذنوبه مغفورة، فاليهود مهما عملوا يغفر لهم يهوه، وهم يُثابون إذا أخطؤوا، ويُعَاقَبُ الآخرون إنْ أخطؤوا إليهم.

4 ـ ليس هناك محرمات نسائية كما يبدو في الكثير من صفحات التوراة، ويُسمح له أن يتزوج بالمئات، ألم يفعل سليمان ذلك؟ يُسمح له أنْ يُطَلِّقَ ما يشاء ولأتفه الأسباب وهو الملك الذي لا يُردُّ له أمر، ولا تعاد له كلمة.

ودخل الديانة اليهودية، وأعلن اليهودُ أن شعب الخزر هو السبط الثالث عشر الذي كان مفقوداً، وحينها أجبر الوثنيين من شعبه على التّهوُّد، وبدأ المسلمون يهاجرون، وبدأ المسيحيون يهاجرون، وكان ذلك عصر هارون الرشيد رحمه الله.

وعاش اليهود الخزر في عزة ومنعة طيلة قرون عديدة. ولكنَّ المدَّ التتري المغولي اجتاح المنطقة، وسقطت دولة الخزر اليهودية، فانداحوا أمام هذا السيل الجارف، فارين إلى لاتفيا وبولندة والمجر وروسية، وسكنوا في تلك البلاد يندبون شتاتهم، وأقاموا من أنفسهم مجتمعاً منعزلاً ضمن غيتو، وبدؤوا بدراسة الكتاب المقدس والتلمود، وقد نضجت الدراسات التلمودية، وفي القرن الحادي عشر والثاني عشر بدأ اليهود العمل في تفكيك المجتمعات التي من حولهم. ومن هؤلاء اليهود انطلقت الصهيونية فيما بعد.

2 ـ الأشكنازيم:

وردت كلمة أشكناز في سِفر التكوين «وهذه مواليد بني نوح سام وحام ويافث، ووُلد لهم بنون بعد الطوفان بنو يافث جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس، وبنو جومر أشكناز وريفاث وتوجرمة، وبنوياوان البشة وترشيش وكتيم ودودائيم، ومن هؤلاء تفرقت جزائر الأمم بأراضيهم، كل إنسان كلسانه، حسب قبائلهم بأممهم». تكوين 10/ 1 ـ 5/.

إذن، أشكناز ينتمي إلى جومر، وجومر ينتمي إلى يافث، فالأشكناز إذن لا يمتون إلى السامية بصلة، وهم أبناء يافث، فكيف يدافعون عن السامية، ويتهمون غيرهم باللاسامية، هذا إذا وُجد سام؟!.

وهؤلاء هم ينتمون إلى العرق الآري الهندي الأوروبي ولهذا، تراهم جزارين ضدّ كل عربي أصيل، لأنهم لا ينتمون بأصولهم إلى المجموعة العربية التي كانت تحيا في هذه البلاد.

وكانت كلمة أشكناز في كُتُبِ الربانيين في القرون الوسطى تُطلق على يهود ألمانيا ولا سيما أرض الهجرة الأساسية لليهودِ في منطقة ماينزو فورمز على ضفاف الراين، وقد أخذت كلمة أشكنازي تُطلق على اليهودي الألماني بشكل خاص وعلى يهود أوروبا الغربية مع أن اليهود في فرنسا لهم اسم آخر هو أريغانيم.

تقابل عبارة الأشكنازيم عبارة السفرديم التي تشمل اليهود الشرقيين ويهود إسبانيا الذين هاجروا في القرن الخامس عشر، وانتشرت تجمعاتهم في حوض البحر المتوسط، ويُستعمل تعبير سفرديم ويهودي شرقي بالمعنى نفسه.

ولقد تميز الأشكنازيون من السفرديين بعدم تقبل حضارات الشعوب التي عاشوا على أراضيها، وبمحافظتهم على لغة اليديش الخاصة بهم وهي لغة عبرية تطورت مع اللغة الألمانية ودخلتها بعض الكلمات العبرية ودخلتها كلمات من السلافية.

يمكن التفريق بين أشكنازي أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية في الطقوس الدِّينية وفي نمط الحياة، فالأوّلون أكثر تمسكاً بحرفية نصوص الكتاب المقدس وأشد تزمتاً في أمور الدِّين وهم أقل حضارة.

انتقل الأشكنازيون في أوروبا في القرون الوسطى من التمركز في مهمة التجارة إلى الإقراض الربوي وبصورة خاصة إلى إقراض الأمراء والنبلاء، وتوصل قسم كبير منهم إلى درجة عالية من الغنى عن طريق إدارة أموال هؤلاء الأمراء وتدوين حساباتهم إذ كانوا أمناء خزينة ومحصلي ضرائب يحصلونها لحسابهم الخاص لقاء مبلغ مقطوع للخزينة، كما مُنحت لهم حقوق استثمار احتكارات المحالج والمناجم. ولكنهم لم يحافظوا على هذا التفوق والامتياز، بل حاولوا أنْ يُخرِّبوا، وانكشف أمر تلمودهم، فَطُرِد الأشكناز من دول أوروبا الغربية عقب التطور الاجتماعي وعلى إثر ظهور البرجوازية التجارية في بلدان الغرب الأوروبي التي أرادت الحلول محل اليهود في الأعمال المصرفية والتجارية وخاصة أن هؤلاء أساؤوا وتعسفوا حتى أصبحوا مضرب المثل في الجشع والاحتكار، وخير ما يمثل قصص هؤلاء مسرحية شكسبير تاجر البندقية، واليهودي المرابي شايلوك مثل واضح لما كان اليهود يعملون مع التجار المسيحيين.

وقد شهدت هذه المرحلة أعمال اضطهاد للأشكناز، وأشهرها مجازر وحرائق سنوات 1348 ـ 1350، في ألمانيا. وسُمِّيت السنوات: الموت الأسود.

أُخرج الأشكناز نهائياً من إنكلترا في نهاية القرن الثالث عشر، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر، ومن ألمانيا في نهاية القرن الخامس عشر، وذهب معظمهم إلى أوروبا الشرقية إلا الأقلية اندمجت بالسكان الأصليين متأثرة بصورة خاصة بظهور حركة الاستنارة اليهودية.

حمل الأشكناز الذين هاجروا إلى ليتوانيا وبولونيا وروسيا البيضاء معهم حضارة أوروبا الغربية وأفكارها، ونقلوا مهنهم في التجارة والإقراض الربوي وإدارة أموال الأمراء والاحتكارات، وتعهدوا مواردهم، كما حملوا معهم سلوكهم التعسفي وجشعهم المعهود، ففي دوقية ليتوانيا تسلّم الأشكناز عام / 1463 ـ 1494/ مكاتب الجمارك في جميع المدن الرئيسية مثل بيليك وبرنسيك وكييف ومينيسك. . . .

وشكّل الأشكناز في أوروبا الشرقية ـ حتى مطلع القرن العشرين ـ أكبر تجمع سكاني يهودي يمتد من بحر البطليق إلى البحر الأسود وكانوا يُشكّلون نصف يهود العالم.

وعندما بدأت أوروبا الشرقية تنتقل من مرحلة الإقطاع إلى الرأسمالية تكررت هناك مسألة محاربة اليهود على نحو ما حصل في غرب أوروبا، وبدأت هجرة الأشكناز إلى أوروبا الغربية وأمريكا، خاصة بعد التمرد الذي قاده بوغدان شميلينكي / 1595 ـ 1657/ عام 1648، ضدّ نظام الحكم البولوني في أوكرانيا حيث كان الإقطاعون والتجار المرابون اليهود مسيطرين، وقد أدى إقراض اليهود الإقطاعيين أموالاً ضخمة إلى أنْ تحوَّل التجار المرابون اليهود إلى ممثلين للإقطاعيين في جباية الضرائب الباهظة من ضياع الإقطاعيين وأملاكهم، وكان من نتيجة هذا التمرد أنْ قُتل بعض اليهود، وهاجر قسم كبير منهم إلى أمريكا.

3 ـ السفرديم:

عبارة السفرديم تقابل عبارة الأشكنازيم، ولا أدري من أين أتت هذه الكلمة، غير أني قد عثرتُ على كلمة في التوراة قد تكون هي الأصل لكلمة سفار «هؤلاء بنو يقطان، وكان مسكنهم حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق». التكوين 10/ 30.

فالسفرديم تشمل اليهود الشرقيين ويهود الأندلس الذين هاجروا في القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر بعد سقوط العرب المسلمين في الأندلس، وقيام محاكم التفتيش وإحراق المسلمين العرب واليهود في نيران الإسبان.

هذا الاضطهاد الذي حصل لهؤلاء اليهود اضطُرهم إلى الهجرة والنزوح إلى الشرق والشرق العربي، وانتشروا حول البحر الأبيض المتوسط، ويُستعمل تعبير سفاردي ويهودي شرقي كمفهوم واحد.

وعاش اليهود السفرديم بن المجتمعات التي انتشرت بينها، وكانت تسكن في أحياء خاصة بها تُعرف بالأحياء اليهودية.

عمل السفرديم في الشرق ما عمله اليهود الأشكناز في أوروبا، ولكنهم تميزوا بأن قسماً كبيراً منهم ـ بعد أنْ قام يوسف زيتاي بدعوته، وادعى أنه المسيح اليهودي المنتظر، وتجمع يهود المشرق حوله، وآثار ضجة، وحينما سجنه السلطان العثماني تاب، وغيَّر اسمه، وأعلن إسلامه، وأبلغ جماعته أنْ يعلنوا إسلامهم ليعملوا من داخل الدولة العثمانية، ويقوِّضوها، وهكذا، تَشَكَّل ما يُعرف باليهودية الدنمة، وسندرس الدنمة بعد ذلك في فصل الحركات اليهودية في البلاد الإسلامية في العصر الحديث ـ عاش اليهود في الشرق عيشة جميلة، آمنين على أنفسهم وأموالهم، ولكنهم لم يرضوا بهذه العيشة، وإنما تآمروا على الشعوب التي حولهم، فارتبطوا مع إنكلترا تارة، ومع الفرنسيين تارة، ومع الطليان مرة أخرى، وصاروا أبواق دعاية لكل أجنبي وطارئ. واتصلوا بالحركة الصهيونية، وبدؤوا يعملون معها بكل ما في وسعهم حتى أسقطوا الدولة العثمانية، والذي يهمني في هذا المجال أنهم قتلوا قسيساً، وصنعوا من دمه فطيراً فثارت ثائرة المسيحيين في الدولة العثمانية، وحاول محمد علي باشا أن يتدخل في الأمر بناء على طلب من الدولة الفرنسية. وبهذا، طُويت هذه الصفحة، غير أنها نبَّهت المسلمين والمسيحيين من رعايا الدولة العثمانية إلى حقد هذه الفئة، وبدأ المسيحيون بترجمة بعض الكتب التي تتعلق باليهود لكشف أسرارهم.

يؤلف اليهود السفرديم أقل من نصف يهود العالم بكثير إذ تبلغ نسبتهم 23٪ في الوقت الحالي، بينما يمثل الأشكنازيم 77٪.

وتقوم مشكلة هذه الدولة المزعومة إسرائيل ما بين السفرديم والأشكنازيم، لأن طقوس السفرديم هي استمرار للتقاليد الدِّينية اليهودية التي نشأت وتطورت في بابل، وهي تختلف في بعض الوجوه عن التقاليد الأشكنازية.

وجدير بالذكر أن عبرية السفرد تختلف عن عبرية الأشكناز، فلغة السفرد لغة عبرية تأثرت بالعربية، وهي تختلف في المحادثة، ولغة الصلاة واحدة.

لم تبذل الحركة الصهيونية أي جهد يُذكر لتهجيرهم وتوطينهم على الرغم من وجودهم في حوض البحر المتوسط، وهذا يرجع إلى أن اصطلاح يهودي كان يعني لدى الصهاينة الأشكنازي فحسب. بالرغم من أنهم لعبوا دوراً مهماً في إسقاط الدولة العثمانية وتسهيل المهمة لتهجير الأشكناز إلى فلسطين ما قبل الحرب العالمية الأولى.

وقد كتب آرثر روبين عالم الاجتماع الصهيوني في إحدى دراساته أنه من الصعب اعتبار السفرديين يهوداً، ولهذا، كانت هجرة السفرديين عند قيام الدولة الصهيونية مفاجأة غير سارة من وجه نظر بعض المفكِّرين الأشكناز، ومع هذا استمرت الهجرة حتى بلغ عدد اليهود الشرقيين **50**٪ وأكثر سكان التجمع الصهيوني في فلسطين، ويعاني اليهود الشرقيون في الكيان الصهيوني من صنوف التفرقة العنصرية، بل يمكن القول إنهم يشكّلون طبقة وسطى بين الأشكناز والعرب الفلسطينيين، فهم لا يحتلون مراكز عليا في الدولة الصهيونية ومؤسساتها، كما أن الغالبية العظمى من أعضاء اللجنة الحاكمة سواء في الأحزاب أو الحكومة أو الجيش هي من الأشكناز.

فعدد الأعضاء السفرديين في الكنيست عام **1992**، لا يزيد على **20**٪ كما أن أعضاء الوزارة الإسرائيلية في عام **1980**، من أصل أشكنازي باستثناء وزيرين.

وفي عام **1978**، أصبح رئيس الدولة من السفرديين وهو إسحق نافون، ولكنَّ رئيس الدولة في إسرائيل كالملك في إنكلترا، فهو بروتوكولي شرفي أكثر منه منصباً فعالاً.

ومع هذا استُخدمت الدعاية الإسرائيلية الحديثة لتضليل الرأي العام العالمي حول وضع السفرديين في فلسطين المحتلة.

ويبدو أن التفرقة العنصرية ضدَّ السفرديين متغلغلة في المجتمع الإسرائيلي على المستوى الثقافي والحضاري أيضاً، فلا تزيد نسبة خريجي الجامعات من السفرديين عن **5**٪ من مجموع

الخريجين، كما أن برامج الدراسة ذاتها تركّز على ثقافة الأشكناز وتهمل ثقافة السفرديين، أما الإذاعة والتلفزة ووسائل الإعلام كافة فَيُسَيطر عليها أقلية أشكنازية. فنتج عن ذلك كله اغتراب السفرديين الشديد. ولعل حدّة الانقسام بين السفرديين والأشكناز تظهر من خلال الزواج بينهما فهو لا يزيد عن 7٪ ويبدو أن التفرقة بينهما تمتدُّ لتشمل أبناءهما، فاصطلاح الصبارين لا ينطبق إلا على أبناء الأشكناز المولودين في فلسطين وحدهم رغم أنه يُستخدم للدلالة شكلياً على أولاد السفردين إذا كانوا من مواليد فلسطين.

والواضح أن تشجيع المؤسسة الصهيونية الحاكمة لهجرة اليهود السوفييت من الأشكناز هو محاولة لخلق توازن سكاني بين المجموعتين، حتى لا يغلب الطابع السفردي على الدولة الصهيونية التي أسسها الأشكناز، ودفعوها بطابعهم المحدد.

ورغم ذلك ـ وحتى لا يُتهم السفرديون بأنهم يميلون إلى العرب ـ يبدون تعصباً ضدّ الشرق والعرب ليرضوا الأشكناز، وذلك رغم التفرقة العنصرية ضدّهم، وتنطلق تصريحات السفرديين ضدّ العرب التصريح تلو التصريح، ولا زالوا يُعاملون على أساس أنهم غير يهود.

4 ـ موقف أوروبا من اليهود:

يتجلّى موقف أوروبا من اليهود من خلال موقفهم في الذات، فإذن، كان اليهود يعدّون أنهم العنصر المختار، وهم الذين خلقهم يهوه إله الجنود ورب النقمات، وهو الذي يقاتل عنهم، ويدافع، وينصرهم، وينتقم لهم، ويتآمرون على المجتمع الذي يؤويهم وهم يقتلون أبناءه، وينتهكون أعراضه، ويعدّونه دون البهيمة وضعاً. ولهذا، كانوا عرضة للانتقام والثورة العامة كلما اكتُشفت جريمة من جرائم اليهود.

وأمام هذه الحياة المضطربة كان لابُدَّ لليهود من اتخاذ أحد موقفين:

1 ـ أن يتخلّوا عن عنصريتهم وتميزهم فيحيوا كبقية الناس، وحينها يحبهم الناس ويحيون معهم في وئام، ولكن هذا التخلي لا يُمكّن اليهود من النظر إلى الناس نظرة دونية، فرفضوا هذا الموقف حتى إذا أعطتهم أوروبا حقوق المواطنة رفضوا هذه الحقوق وعدُّوها تآمراً عليهم لإذابتهم في بوتقة المجتمعات الأخرى.

2 ـ أنْ يزيدوا من عدوانهم، ويبثوا سمومهم في المجتمعات ليقتل الأخ أخاه، والابن أباه، ولتهجر الزوجة زوجها، ويطمع الولد في الفسق في أمه وأخته، لينشروا الرذيلة، وليفتنوا المجتمعات التي يحيون فيها.

ومن البديهي أنه كما انكشف خيط من خيوط مؤامرتهم ازداد الغضب عليهم، ولتبدأ مسيرتهم إلى الأندلس.

تآمر اليهود في الأندلس على العرب المسلمين حينما رأوا أن الكفة الأرجح بجانب الغرب، وصاروا لدى الإسبان رسل إذلال للمسلمين، يفرضون شروط إذلال لا تخطر للملك المرسل على خاطر.

وحينما تم إجلاء العرب وتشريدهم، واستسلم المسلمون في الأندلس عرف الإسبان أن مَنْ يتآمر معهم سيتآمر ضدّهم.

وأراد الإسبان أن تكون الأرض كلها لهم خالصة دون أن يشاركوا فيها أحداً، فَأُقيمت محاكم التفتيش، وطالت هذه المحاكم المسلمين واليهود وفيما بعد الهراطقة من أبناء جنسهم، وانتشرت محاكم التفتيش في أوروبا كلها، وهذا ما جعل يهود الأندلس يفرون من أوروبا إلى حوض البحر الأبيض المتوسط، وأقاموا في المغرب واليونان والدولة العثمانية وبلاد الشام. وبدؤوا بالتآمر على هذه البلاد المسكينة التي آوتهم وأجارتهم من خوف، وأطعمتهم من جوع. هذا حال يهود سفرديم فما حال الأشكنازيم في أوروبا؟

فمنذ أن تعرف المسيحيون إلى التلمود بدؤوا بمحاربة هذا الكتاب الحاقد على البشرية، فَحُرق مرات، وسُجن مرات. وتنافس الملوك والأباطرة والبابوات في مصادرته وإطعامه للنيران، وذلك أقل مما يستحقه.

ويمكن أنْ نناقش موقف أوروبا من اليهود من خلال سلطتين:

5 ـ الملوك والكنيسة:

وسأنقل بعض المواقف البابوية في أوروبا.

1 ـ تقدَّم المرتَدُّ عن اليهودية نيقولاس دونين بشكوى ضدّ التلمود في عام 1239، إلى البابا غريغوريوس التاسع / 1227 ـ 1241/ واتهم الكتاب المجهول بأنه يتضمن عبارات بذيئة

ومشينة بحق السيد المسيح إلى جانب التجديف على الذات الإلهية، وهنا طلب البابا إلى حكام وملوك فرنسة وإنكلترا وإسبانيا والبرتغال أنْ يصادروا الكتب اليهودية جميعها، ويُخضعوها لفحص دقيق. فاستجاب لويس التاسع ملك فرنسا / 1226 ـ 1270/ لنداء البابا وقام بمصادرة الكتب في مطلع آذار 1240، ثم جرت المناظرة الأولى من نوعها حول التلمود في بلاط الملك الفرنسي من / 25 ـ 27/ حزيران 1240، بين دونين من جهة وأربعة من كبار الحاخامين وعلى رأسهم يحيئيل الباريسي الذي حظي بتشجيع الملكة الأم بلانش وحمايتها، ودافع يحيئيل عن النقاط التالية:

1 ـ إن يسوع بن بانديرا ليس يسوع المسيح المذكور في العهد الجديد.

2 ـ إن لفظ غوي أممي غير اليهودي الواردة في التلمود لا تشير إلى المسيحيين.

3 ـ إن الهراطقة أو المنشقين هم الذين تنصب عليهم اللعنات في الليتورجي اليهودي ليسوا من المولودين في المسيحية، بل هم فقط أولئك اليهود أصلاً من الذين انشقوا وتهرطقوا، أي اعتنقوا الدِّين المسيحي[1].

وبهذا جعلوا السبَّ إلى الحواريين والأب بولس والطبقة الأولى من اليهود الذين أعلنوا مسيحيتهم.

وتؤكد مصادر يهودية أخرى بأن براعة دونين في المجادلة جعلت الحاخامين ينقسمون عند نهاية المطاف على أنفسهم، ومهما يكن الأمر فقد انتهت المناظرة إلى إدانة التلمود، وتمَّ إحراق النسخ المُصَادَرَة فيما بعد حيث بلغ عددها حمولة 24 عربة.

أما يسوع بن بانديرا الذي تتحدث عنه الكتب اليهودية فقد عاش في الجليل، وعُرف بالفسق والفجور إلى جانب شكله الحسن، ثم أقدم على التغرير بالفتاة مريم ابنة الأرملة، وهناك كتاب يهودي يحكي القصة بأكملها، ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي استخدمه اليهود في الهجوم على المسيحيين وتحقيرها، هذا الكتاب يُعرف بسِفر حياة يسوع.

ويبدو أنه وقع بأيدي الكنيسة في أوسط القرن الثالث عشر.

---

(1) رزوق أسعد، التلمود والصهيونية، ص51.

2 ـ حضر (رايموند) مارتن مناظرة في برشلونة عام 1263، وألّف كتابه سيف الدِّين ليبرهن على حقيقة المسيحية وصحتها بالاستناد إلى الكتابات الموجودة في التآليف والمصنفات اليهودية، وهذا الكتاب استشهد فيه الكاتب العلامة رحمة الله بن خليل الهندي العثماني في كتابه إظهار الحق، والكتاب يضم مقتطفات من الكتابات المدراشية والربانية، وهي مقتطفات لها أهميتها في الكثير من الحالات، إذ تساعد على إثبات القراءات الصحيحة للنصوص، كما أن العديد من الفقرات والنصوص التي أوردها من مارتن هي غير معروفة لدى أي من المصادر الأخرى، ولا يزال العلماء على اختلاف حول صحتها ووثوق مصدرها.

لاقى هذا الكتاب رواجاً كبيراً في العصور اللاحقة حتى أصبح المثال الذي احتذاه الكثيرون، ونسجوا على منواله، ونشر مارتن هذا مقتطفات كبيرة من حياة يسوع، وقام مارتن لوثر فيما بعد بترجمة السِّفر المذكور إلى الألمانية.

3 ـ في 553، حَرَّمَ الإمبراطور جوستنيان نشر الكتب التلمودية وتوزيعها في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

4 ـ أدان الكتب التلمودية من الأحبار الرومان يوليوس الثالث، بول الرابع، بيوس الرابع، غريغوري الثالث عشر، كلمنت الثامن، بنيدكت الرابع، إلكسندر السابع، وغيرهم من الأحبار الآخرين.

5 ـ في مطلع القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر فسد نظام أمن الكنيسة وسلامتها نتيجة ظهور مذاهب جديدة، وشرع اليهود يُوزِّعون التلمود، وقد ساعدهم على ذلك ظهور الطباعة الحديثة.

هذا موقف الأباطرة والكنيسة الرومانية من اليهود وكتبهم قَدَّمتُها باختصار.

6 ـ في الطبعة الأخيرة من فهرس اكسبورغا توريوس جاء ما يلي: بأمر أبينا السيد المقدس البابا ليو الثالث عشر الحاكم الآن بسعادة كنيست المسيح أصدر في سنة 1889، ما يلي: التلمود والكتب اليهودية الأخرى حُرِّمت للأسباب التالية:

برغم أنه في الفهرس الصادر عن البابا بيوس الرابع حول تحريم التلمود اليهودي مع جميع مسردات كلماته العسيرة وشروحها وحواشيها وتأويلاته وتفسيراته، ولكنْ؛ إذا نشرت

هذه بدون اسم التلمود وبدون افتراءاته ضدّ المسيحيين فإنه يمكن مع ذلك، فإن سيدنا المقدس البابا كليمنت الثامن في أوامره ضدّ الكتابات غير التقية والكتب اليهودية الصادرة في روما 1592، حرّمها، وأدانها، فهو لم يكن يقصد بذلك أنْ يجيزها أو يتسامح معها حتى تحت الشروط المشار إليها سابقاً، إنما كان واضحاً ومفصلاً ونظامياً وذا إرادة حينما قال: إن التلمودية العاقة والقبالة من كتب اليهودية الشائنة هي مُدانة بكل معنى الكلمة، ويجب أنْ تبقى مُدانة ومُحرَّمة، وأوامره عن هذه الكتب يجب أنْ تظل ثابتة ومنيعة، لا تُنتهك حرمتها ومطاعة.

7 ـ كانت المحاولة الأخيرة لاستئصال الكتب التلمودية هي التي تولاها الإمبراطور ماكسيميلان 1510 م، والذي كان قد حَرَّضه على تعهدها جوهانس بغيفر لأنه تحوّل عن يهوديته، فقد أمر بمصادرة الكتب اليهودية وتسليمها إلى الجامعات لدراستها، وقد أدَّى ذلك إلى قيام المناظرة الشهيرة المعروفة باسم المناظرة الروخلينية نسبة إلى اسم روخلين مستشار دوق ووتنبرغ الذي وقف مدافعاً عن أجزاء من التلمود، وقد أيَّده في ذلك علماء مشهورون في الفلسفة الإنسانية، وهي فلسفة تؤكد على قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق الذات عن طريق العقل، وكثيراً ما ترفض هذه الفلسفة الإيمان بأية قوة خارقة للطبيعة، ومن بين هؤلاء العلماء إيراسموس أوف روتردام، وكريش هوتين، وغيديوس أوف فيتريو وآخرون..

وقد انتشرت وقائع هذه المناظرة في جمع أنحاء أوروبا.

وبعد كثير من الدراسة الدقيقة أقدمت جامعة إيرفوت وموغونثيا ولوفاين وباريز على اتهام روخلين لكونه داعية يهودياً، غير أن كبير قضاة التحقيق دومينوس هوغستراتن من جهة ثانية اتهمه بأنه منحرف وصاحب بدعة، واستدعاه للمثول أمام القضاء، ثم حملت القضية إلى روما لإصدار حكم بشأنها في 1516، وهناك لقيت قضية روخلين العطف، وأنهى الأمر البابا ليوالعاشر الذي أمر كلا الفريقين المختلفين بالتزام الصمت دون أن يُصدر حكماً نهائياً، وهكذا، فإنه لم يعلن فيما إذا كان روخلين مذنباً، كما لم تُعلن إدانة التلمود وحرقه[1]....

8 ـ موقف البابا وهرتزل عام 1903: لقد عرض هرتزل قضية فلسطين وقيام إسرائيل على البابا عام 1903، فلم يوافق البابا على ذلك إطلاقاً، وهذا نص المقابلة:

---

(1) برانا يتس، فضح التلمود، ص159.

البابا: أصبحت القدس مقدسة لعلاقتها بحياة المسيح، ونحن لا نطيق، ولا نسمح باستقرار اليهود هناك، اليهود لا يعترفون بمخلّصنا، ونحن لا نعترف باليهود.

هرتزل: أَمِنَ الأنسب أن تظل الأماكن المقدسة بأيدي الأتراك؟

البابا: علينا أنْ نتقبل ذلك، وأنْ نعمل مصالحة معهم حولها. . ونحن لا نستطيع تأييد الحركة الصهيونية.

هرتزل: قامت هذه الحركة للضرورة، ونحن نريد أنْ نتجنب المشكلات الدِّينية.

البابا: حسناً، ولكنَّا لا نستطيع أنْ نسلك غير هذا طالما أن اليهود يُنكرون وجود مسيحنا، وينتظرون مجيء مسيحهم الذي جاءنا فعلاً، واليهود هم أولى الناس بالاعتراف به، ولكنهم ينكرون حتى يومنا هذا.

هرتزل: ربما لا تكون الاضطهادات وسيلة صحيحة لكسب اليهود.

البابا: جاء المسيح بدون أية قوة، كان فقيراً، جاء بالسلام، لم يضطهد أحداً، وإنما هو الذي عُذِّب، واضطُهد، واضطُهد الحواريون كذلك، وعُذِّبوا، وقد قامت الكنيسة في وقت متأخر بعد مدة ثلاثمائة سنة، وهي مدة كافية لأنْ يعترفوا بألوهيته من غير أي ضغط خارجي، بيد أنهم لم يفعلوا ذلك حتى الآن.

هرتزل: يا قداسة البابا، لقد عانى اليهود، وتألموا بفظاعة، ولا أدري إذا كنتُم قداستكم مُلمِّيْنَ بما حاق باليهود، وبحالتهم السيئة، المُضْطَهُدون يريدون أرضاً فقط.

البابا: ولماذا الإصرار على القدس؟ لقد دُمِّرَ هيكلهم إلى الأبد، أم لعلكم تريدون بناءه من جديد، وتقومون بالمذابح وتقديم الضحايا كما اعتدتم أن تفعلوا في الماضي؟

هرتزل: لا نريد سوى الأراضي غير المقدسة.

البابا: لا نوافق على ذلك، وإذا أنزلتم قومكم هناك فلابُدَّ من تعميدهم[1].

رد اليهود على المسيحية الغربية:

قلنا: إن اليهود عاثوا فساداً في الغرب وخاصة في المجتمعات التي عاشوا فيها، وحاولوا

---

(1) غريس هالسلي، النبوءة والسياسة، ص7.

تغيير الاتجاه نحوهم، ولما كان الدِّين المسيحي عقبة كأداء أمامهم فإنهم حاولوا إفساد الجيل وإبعاده عن دينه ما استطاعوا لذلك سبيلاً.

أما الحكام الأوروبيون فقد حاول اليهود أنْ يغيّروا خارطة أوروبا من ناحية الحكّام، فنظّموا الماسونية ضمن تلك الدول، وسأحاول في كتاب آخر ضمن هذه السلسلة أنْ أشرح عمل الماسونية ضمن أعوان اليهود في أوروبا، وكانت محاور اليهود على المجالات التالية:

1 ـ **محور الباباوات:** فقد أدخلوا من اليهود الذين غيّروا دينهم إلى المسيحيين في سلك الكهنوت، واستطاعوا أنْ يصلوا إلى قمة الفاتيكان، ونصّبوا باباوات من اليهود حكموا العالم المسيحي من خلال الفاتيكان، انظر باباوات من الحي اليهودي.

2 ـ **محور الدِّين المسيحي:** استطاعوا أنْ يقسموا الكنيسة الكاثوليكية إلى عدة كنائس، فقام مارتن لوثر بحركته التي دعاها إصلاحية، وسمّى أتباعه بالبروتستنت، ومن ثم قام بعض رجال الكهنوت في مناطق عديدة في أوروبا بالانقسام على الكنيسة الكاثوليكية كمذهب كالفن، وزونجلي، والأنكليكاني.

3 ـ **محور الملوك:** أهاجوا الشعوب على الحكّام، فقامت الشعوب بثورتين في أوروبا؛ الأولى الثورة الفرنسية، فقد بدأت بالإطاحة بعرش لويس السادس عشر وزوجته ماري إنطوانيت، وحكمت عليهما بالإعدام.

إن هذه الثورة قد قامت تحت شعارات براقة، الحرية والمساواة، ولكنها تحوَّلت من ثورة شعبية إلى قيادة ديكتاتورية إمبراطورية بقيادة نابليون بونابرت، وعرف بونابرت قوة يهود أوروبا، فدعاهم إلى مشروع احتلال فلسطين، وكانت الدعوة موجهة إلى اليهود كلهم في العالم. ولا أدري ما الأسباب التي دعتهم إلى عدم التعاون مع نابليون بونابرت. وبعد أنْ خاض حروباً طاحنة انتصر في الحروب الأولى، لكنه خسر المعارك الأخيرة، فاستسلم صاغراً، ومات شريداً، وترك فرنسا يسومها الذل والهوان عاجزة مهيضة، واستطاع مترنيخ أن يعيد آل بوربون إلى فرنسا وكأن الثورة لم تكن لولا الذكريات الأليمة التي تعيد إلى الأذهان ألوف الضحايا في الثورة في فرنسا وآلاف القتلى في الحروب.

أما الثورة الثانية التي حاولوا إشعالها وساهموا فيها فهي ثورة البيوريتاني كرومويل في إنكلترا، فقد أطاح بملك إنكلترا، وظل في الحكم أربعة عشر عاماً، ولكن كرومويل لم يكن له الأثر الكبير في أوروبا كما فعلت الثورة الفرنسية.

وانتهى كرومويل، ولكنْ؛ في زمنه سمح ليهود إنكلترا أنْ يفعلوا ما يشاؤون دون خوف ولا وجل، وأطلق لهم حرية العمل بعد أنْ كانوا مُضطَهَدين في إنكلترا.

4 ـ محور الشعوب: دأب اليهود على زرع الأخلاق الفاسدة في الأجيال الصاعدة، وعَلَّموهم وغَذّوهم من الأخلاق التوراتية التي تبيح كل رذيلة، حتى بات الابن يشتهي أمه، وكثيراً ما يزني بها، وكذلك الأب مع ابنته، والأخ مع أخته، وقامت نظرية فرويد في علم النفس المرتكزة على الجنس، كما قامت المذاهب الأخرى كالوجودية على يدي كركيجارود وجان بول سارتر.

أشاع اليهود بين الناس الدعارة والانحلال الجنسي، وإنك لن ترى نادياً للجنس، أو ملهى إلا من ورائه يداً يهودية تديره.

واستغلت اليهودية تجارة الرقيق الأبيض، ونشرت المخدرات بين الأجيال الشابة، وحاولت أنْ تميت الفكرة الوطنية من قلوب الشباب في أصقاع أوروبا كلها لتحل الشهوات الجسدية محل الأفكار السامية والمثل العليا.

الفصل الثاني

موقف اليهود من المسيحية

1 ـ اضطهاد المسيح من الأناجيل الأربعة .

2 ـ محاكمة المسيح ، ومحاولتهم صلبه ، ومسؤوليتهم عن دمه ، من الأناجيل .

3 ـ اضطهاد أتباعه .

4 ـ موقف التلموديين من المسيح والمسيحية .

أ ـ موقف اليهود التلموديين من الأمميين .

ب ـ موقف اليهود التلموديين من المسيح عليه السلام .

ج ـ موقف اليهود التلموديين من أم المسيح عليهما السلام .

د ـ موقف اليهود التلموديين من المسيحية .

1 ـ اضطهاد المسيح من الأناجيل الأربعة :

خير ما يرشدنا إلى اضطهاد السيد المسيح الأناجيل التي كتبها لوقا ومتى ويوحنا ومرقس ، وهي دليل واضح على كرههم لعيسى عليه السلام ، ولدعوتهم ، ويمكن أنْ نلخص ذلك ضمن النقاط التالية :

1 ـ نقض عيسى ـ عليه السلام ـ تعاليم توراة عزرا في الكثير من النقاط ، ولهذا ، اتهموه بالتجديف ؛ من هذه النقاط :

أ ـ قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ، ومَنْ قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم إن كل مَنْ يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم .

فهو داع للسلام، والإله عنده محبة، والحكم هنا دخول جهنم، وليس العقاب مادياً. متى 5/ 21 ـ 22/ .

ب ـ قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزنِ، فأما أنا فأقول: إن كل مَنْ ينظر إلى امرأة يشتهيها فقد زنا بها في قلبه، وكذلك العقوبة نار جهنم وليس الرجم. متى 5.

جـ ـ أبطل الطلاق إلا لعلة الزنا. متى 5.

د ـ نفى القاعدة التي تقول: عين بعين وسن بسن. متى 5.

هـ ـ قيل تحب قريبك، وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول: أحبُّوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم. متى 5.

و ـ نهى عن كنز الذهب والفضة، واليهود يعبدون الذهب إلهاً. متى 6.

ز ـ الحب لله وحده، ونفى الحب لغيره، واليهود يحبون المال. ولهذا، كان جزاؤهم مادياً حسياً. متى 5.

ح ـ شفى المرضى يوم السبت، وخرق السبت، وصنع تلاميذه طعاماً يوم السبت. متى 12.

ط ـ آمنت به طبقات الناس الفقراء، ووجَّهَ رأيه نحو أريد رحمة، ولا أريد ذبيحة. متى 9.

ي ـ طلبوا منه آية معجزة رغم أنهم رأوا شفاءه للمرضى الأكمه والأبرص.

ك ـ ندّدَ بالكَتَبَةِ والفريسيين والصدوقيين والناموسيين، فازدادوا عليه حنقاً.

ل ـ خرق تلاميذه تقليد غسيل أيديهم قبل الطعام.

هذه بعض النقاط التي خالف فيها عيسى ـ عليه السلام ـ التوراة، وعلى هذا احتجّوا، وأرادوا أن يشكوه للوالي الروماني هيروديس بأنه يؤلِّب الناس للثورة ضدّ الرومان حينما عرضوا عليه السؤال: هل ندفع الجزية لقيصر، وكان جوابه أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

خانه تلميذه يهوذا الأسخريوطي، ودفع اليهود له ثلاثين قطعة من الفضة ليسلِّمه إليهم، وتقول الرواية الإنجيلية في الأناجيل الأربعة: إن يهوذا الأسخريوطي قد سلَّمه، ولكنه ندم على ذلك، فقتل نفسه، بينما ينفي هذا التسليم إنجيل برنابا، ويؤكد هذا النفي القرآن الكريم إذ شبه لهم يهوذا بعيسى، فاقتادوا يهوذا بدلاً منه، وتحدثنا الأناجيل الأربعة عن حمل الصليب

والعذاب الذي لقيه عيسى قبل أنْ يُصلب حسب رأي الأناجيل الأربعة، فمن بيلاطس إلى هيردوس ومن هيردوس إلى بلاطس، وأراد الوالي الروماني أنْ يعفو عنه لمعرفته براءة عيسى مما نُسب إليه، وغسل يديه، وقال: أنا برئ من دمه.

فصاحَ الكَتَبَةُ والفريسيون: دمه علينا وعلى أولادنا من بعدنا. إنجيل متى 27/ 24-25/ ، وطلبوا من بيلاطس أنْ يُطلق لهم اللص باراباس، وأنْ يطلب عيسى على حدّ زعمهم، ويصف هذا الإصحاح كيف كان اليهود يجدفون عليه من كَتَبَةٍ وفريسيين وعامة الشعب.

هذا العذاب الذي أعدَّه اليهود، وإعدامه حسب ما يدَّعون، لهو دليل واضح على أنهم ضدَّ كل إصلاح في هذا الكون، إنْ مسَّهم أو لم يمسهم. ولهذا، سمآهم عيسى - عليه السلام - بقتلة الأنبياء، فقد قتلوا يحيى - عليه السلام - وزكريا والده. ولهذا، كان يُنذرهم بالويل، وقد مرَّ معنا هذا الإنذار فيما سبق.

2 - محاكمة المسيح:

سأنقل نص المحاكمة وتنفيذ الإعدام من إنجيل متى، والعهدة على كاتب إنجيل متى.

« والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة، حيث اجتمع الكَتَبَةُ والشيوخ، وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة، فدخل إلى داخل، وجلس بين الخدم لينظر النهاية. كان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كلهم يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه، فلم يجدوا، ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا، ولكنْ؛ أخيراً، تقدَّم شاهدا زور، وقالا: هذا قال إني أقدر أنْ أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه، فقام رئيس الكهنة وقال له: أما تجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع فكان ساكتاً. فأجاب رئيس الكهنة وقال: أستحلفك بالله الحي أنْ تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟

قال له يسوع: أنتَ قلتَ، وأيضاً أقول لكم: من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً عن سحاب السماء، فمزَّق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه وقال: قد جَدَّف، ما حاجتنا بعد إلى شهود، ها قد سمعتم تجديفه، ماذا ترون؟ فأجابوا وقالوا: إنه مستوجب الموت، حينئذ بصقوا في وجهه، ولكموه، وآخرون لطموه قائلين: تنبأ لنا أيها المسيح مَنْ ضربك؟ ». متى 26 / 57 - 68/ .

ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه، فأوثقوه، ومضوا به، ودفعوه إلى بيلاطس النبطي الوالي. حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين، ندم وردَّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: قد أخطأتُ إذ سلمتُ دماً بريئاً، فقالوا: ماذا علينا أنت أبصر؟ فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: لا يحلُّ أنْ نلقيها في الخزانة لأنه ثمن دم. متى 27/ 1 ـ 6/.

فوقف يسوع أمام الوالي، فسأله الوالي قائلاً: أنت ملك اليهود. فقال له يسوع: أنتَ تقول. وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء. فقال له بيلاطس: أما تسمع كم يشهدون عليك؟ فلم يجب ولا عن كلمة واحدة، حتى تعجب الوالي جداً.

وكان الوالي معتاداً في العيد أنْ يطلق للجمع أسيراً واحداً مَنْ أرادوه، وكان لهم حينئذ أسير مشهور يُدعى باراباس، ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس: مَنْ تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوع الذي يُدعى المسيح؟ لأنه علم أنه أسلموه حسداً. وإذ كان جالساً على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة: إياك وذلك البار لأني تألمتُ اليوم كثيراً في حلم من أجله، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حَرَّضوا الجموع على أنْ يطلبوا باراباس، ويُهلكوا يسوع، فأجاب الوالي وقال لهم: مَنْ منَ الاثنين تريدون أنْ أُطلق لكم؟ فقالوا: باراباس. فقال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح؟ فقال له الجميع: ليُصلبَ. فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً، بل بالحري يحدث شغب أخذ ماءً، وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم. فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلى أولادنا. حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فَجَلَدَهُ، وأسلَمَهُ ليُصلبَ. متى 27/ 11 ـ 26/.

ما أوردتُ هذه الرواية لأني مؤمن بها وبأحداثها كما رُويت، ولكني أوردتُها لأتساءل كيف صدرت براءة اليهود من دم عيسى من الفاتيكان والأناجيل تؤكد هذه الرواية وهذا الكلام؟

هل فَقَدَ الذي أصدر صَكَّ البراءة إيمانه بالكتب المقدسة الأربعة عنده؟ أم هو أحد الباباوات من الحي اليهودي؟

ولم أرد أنْ أنقض ما فعله اليهود حسب رواية الأناجيل في عيسى عليه السلام وهو وصف يأباه الإنسان لأي إنسان آخر لكثرة ما لاقاه من إهانات، ثم يغفر لليهود ما فعلوه، ويصدر صَكّ براءتهم من دم عيسى.

لا أريد أنْ أنهي هذه الفقرة فأقول ما قاله عيسى عليه السلام: ويل لكم أيها. . . وستلقون عقابكم يوم القيامة.

3 ـ اضطهاد أتباعه:

لم يقف اليهود عند الانتهاء من يسوع عليه السلام، وإنما تابعوا دُعاته وتلاميذه الواحد تلو الآخر، ولنأخذ شواهد على تعذيب أتباعه من أعمال الرسل:

1 ـ وصعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة و. . « وبينما هما يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون، متضجرين من تعليمهما الشعب وندائهما في يسوع بالقيامة من الأموات، فألقوا عليهما الأيادي، ووضعوهما في حبس إلى الغد، لأنه كان قد صار المساء، وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا، وصار عدد الرجال نحو خمسة آلاف. وحدث في الغد أن رؤساهم وشيوخهم وكَتَبَتَهُمْ اجتمعوا إلى أورشليم مع حنَّان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والإسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة، ولما أقاموهما في الوسط جعلوا يسألونهما بأية قوة وبأي اسم صنعتما أنتما هذا. . . وبعدما هدّدوهما أيضاً أطلقوهما، إذ لم يجدوا البتة كيف يعاقبونهما بسبب الشعب، لأن الجميع كانوا يسجدون لله على ما جرى، لأن الإنسان الذي صارت فيه آية الشفاء هذه، كان له أكثر من أربعين سنة ». أعمال الرسل 4/ 1 ـ 5/ و/ 21 ـ 22/ .

2 ـ وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب، وكان الجميع بنفسٍ واحدة في رواق سليمان. . . فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم من شيعة الصدوقيين، وامتلؤوا غيرة، فألقوا أيديهم على الرسل، ووضعوهم في حبس العامة، ولكن ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن، وأخرجهم، وقال: اذهبوا، قفوا، وكلّموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة. . . فلما سمعوا حنقوا، وجعلوا يتشاورون أنْ يقتلوهم، فقام في المجمع رجل فريسيٌّ اسمه عمالائيل معلّم للناموس، مكرم عند جميع الشعوب، وأمر أنْ يخرج الرسل قليلاً، ثم قال لهم: أيها الرجال الإسرائيليون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء

الناس في ما أنتم مزمعون أنْ تفعلوا ، لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً عن نفسه : إنه شيء الذي التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة ، الذي قُتل ، وجميع الذين انقادوا إليه تبدَّدوا وصاروا لا شيء . بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب ، وأزاغ وراءه شعباً غفيراً ، فذاك أيضاً هلك ، وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا ، الآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس ، واتركوهم ، لأنه إنْ كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض ، وإنْ كان من الله فلا تقدرون أنْ تنقضوه ، لئلا توجدوا محاربين لله أيضاً ، فانقادوا إليه ، ودعوا الرسلَ ، وجلدوهم ، وأوصوهم أنْ لا يتكلَّموا باسم يسوع ، ثم أطلقوهم . أعمال الرسل 5 .

3 ـ وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم ، فتشتت الجميع في كُوَر اليهودية والسامرة ما عدا الرسل ، وحمل رجال أتقياء استفانوس ، وعملوا عليه مناحة عظيمة . أعمال الرسل ص 5 .

4 ـ فنهض قوم من المجمع الذي يقال له : مجمع الليبرتينيين والقيروانيين والإسكندريين ومن الذين من كيليكيا وآسيا يحاورون استفانوس . فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم ، وصرُّوا بأسنانهم عليه ، وأما هو فَشَخَصَ إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس ، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله ، فقال : ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله ، فصاحوا بصوت عظيم ، وسدُّوا آذانهم ، وهجموا عليه بنفسٍ واحدة . وأخرجوه خارج المدينة ، ورجموه ، والشهود خلعوا ثيابهم عند رجل شاب يقال لهُ شاول ، فكانوا يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول : أيها الرب يسوع ، اقبل روحي ، ثم جثا على ركبتيه ، وصرخ بصوت عظيم : يا رب لا تُقم لهم هذه الخطية ، وإذ قال هذا رقد ، وكان شاول راضياً بقتله . أعمال الرسل ص6 و7 و8 .

وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة ، وهو يدخل البيوت ، ويجرُّ رجالاً ونساءً ، ويسلّمهم إلى السجن . أعمال الرسل ص8 .

5 ـ أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة ، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم مُوثقين إلى أورشليم . أعمال الرسل 9/ 1 ـ 2/ .

6 - في ذلك الوقت مدَّ هيرودس الملك يديه ليسيء إلى أناس من الكنيسة، فقتل يعقوبَ أخا يوحنا بالسيف، وإذ رأى أنَّ ذلك يرضي اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً، وكانت أيام الفطير، ولما أمسكه وضعه في السجن مُسلِّماً إياه إلى أربعة أرابع من العسكر ليحرسوه، ناوياً أنْ يقدمه بعيد الفصح إلى الشعب، فكان بطرس محروساً في السجن، وأما الكنيسة فكانت تصير فيها صلوة بلجاجة إلى الله من أجله. ولما كان هيرودس مزمعاً أنْ يقدّمه كان بطرس في تلك الليلة نائماً بين عسكريّين مربوطاً بسلسلتين. أعمال الرسل 12/ 1 - 6.

4 - موقف التلموديين من المسيح والمسيحية:

أ - موقف اليهود التلموديين من الأمميين:

عرفنا سابقاً أن التوراة كتاب عنصري عرقي يؤمن بأن إسرائيل شعب يهوه المختار، وهو بكر يهوه، ورأينا التلمود كتاباً فيه إغراق في العنصرية، ولهذا، لن أتطرق إلى مناقشة هذه الفقرة بشكل كبير، وإنما سأمرُّ بها مرور الكرام لأنها تشمل كل الأمم والديانات، ومن البدهي أن تشمل الديانة المسيحية أيضاً، وسأكتفي بنقل نصوص تلمودية دون تعليق عليها إلا إذا كانت تحتاج إلى تعليق لغرابتها أو توضيحها.

1 - كان اليهودي عند سفره في مكان أممي وعندما يصل إلى حدود بلاده ينفض غبار طريق الأمم عن رجليه حتى لا يدخل إلى بلاده بنجاسة الأمم[1].

2 - كيف كان ينظر التلمود إلى الأمم؛ ففي سِفر سنهدرين نقرأ الوصايا السبع التي أُعطيت إلى نوح على النحو التالي:

أ - الشرائع الاجتماعية، إقامة المحاكم، وممارسة العدل.

ب - الامتناع عن التجديف.

ج - ألا يعبدوا الأصنام والأوثان.

د - لا تزن.

هـ - لا تقتلْ.

---

(1) وليم باركلي، تفسير العهد القديم، ص366.

و ـ لا تسرقْ.

ز ـ لا تأكل اللحم المقطوع من حيوان على قيد الحياة[1].

والتلمود يتحدث عن أبناء نوح كما يتحدث عن الوثنيين في نغمة واحدة، ولا يميز بينهما، وهذه الوصايا تختلف عن الوصايا العشر الخاصة لبني إسرائيل.

3 ـ نوحريم: الأجانب الأغراب: يُستعمل هذا الاسم للدلالة على جميع الذين ليسوا يهوداً؛ أم هارتس سكان عالم الحياة الفانية.

البلهاء: إن شعوب العروق الأخرى لا يُطلق عليها هذا الاسم، إنما يُطلق فقط على الشعب البسيط غير المتحضر.

وفي كتاب عزرا نقرأ لقد أخطأنا مع يهوه، واتخذنا لأنفسنا زوجات أجنبيات نوحريم من سكان عالم الحياة الفانية، وتعبير سكان الحياة الفانية هذا يدل على الوثنيين بدليل ما يوضحه زوهار (سكان عالم الحياة الفانية هم الوثنيون).

(باسارودم لحم ودم): إن الرجال غير الروحيين الذين كُتب عليهم الهلاك في قرار الجحيم لن يتمكنوا من إقامة صلة صحيحة مع يهوه.

والحقيقة إن المسيحيين هم المقصودون بصفتي اللحم والدم بدليل ما جاء في كتاب يهودي للصلاة:

كلما التقيتَ بمسيحي حكيم مثقف تستطيع القول: مبارك اسمك يا رب ملك الكون، يا مَنْ وزَّعتَ حكمتكَ على لحم ودم.

وبأسلوب مماثل ثمة صلاة أخرى يسألون بها يهوه أنْ يعيد مملكه داود ويبعث إيليا والمسيح، كما يسألون في هذه الصلاة أنْ يبعدهم عن الفقر الذي يقاسون منه حتى لا يكونوا في حاجة لقبول الهبات من أصحاب اللحم والدم، ولا أنْ يتعاملوا معهم، ولا يتقاضوا رواتب منهم.

أبيقوريون: يُطلق هذا الاسم على جميع الذين لا يطيعون يهود وأوامره، وبالإضافة إلى هؤلاء جميعاً يُطلقونها على اليهود الذين يعكسون بصورة خاصة أحكاماً في قضايا الإيمان، فكم تكون هذه الآثام عظيمة إذا كان الآثمون مسيحيين[1]؟

---

(1) رزوق أسعد، التلمود والصهيونية، ص 258.

4 ـ يقول إيور دياهاغاه: حين تخرج المرأة من الحمام من واجبها الحرص على الالتقاء بصديق أولاً، لا بأي شيء نجس أو مسيحي، إذ أن المرأة إذا فعلت ذلك، أي التقت بعد الاستحمام بشيء نجس أو مسيحي وأرادت في الوقت نفسه أنْ تبقى مقدسة، فعليها أنْ تعود وتستحم مرة أخرى.

ويقول بيور هييت مُعَلِّقاً على الشولحان عاروخ: على المرأة أنْ تُحمم نفسها إذا رأت أي شيء نجس، كلب، حمار، سكان عالم الحياة الفانية، عكوم (مسيحي) جمل، خنزير، حصان، مجذوم.

ويقول كيريثوت: تعاليم الربانيين هي مَنْ يصب زيتاً فوق غوي وفوق أجساد ميتة بعض من العقاب، هذا شرعي بالنسبة للحيوان لأنه ليس بشراً. لكنْ؛ كيف يمكن القول إن صب الزيت على غوييم يُعفي من العقاب، مع أن الغوي هو أيضاً من البشر، إن ذلك ليس صحيحاً ولا شرعياً حسب ما هو مكتوب أنتم قطيعي وقطيع مرعاي هم بشر، أنتم بشر، ولكنَّ الغوييم ليسوا كذلك.(2)

5 ـ في كراس ماكوت يقال: إنه مذنب ذلك الذي يقتل إلا في حال أنْه قصد قتل حيوان فقتل إنساناً بالخطأ، أو أنه قصد قتل غوي فقتل إسرائيلياً.

ـ في أوراش شائيم: مَنْ يرى مخلوقات جميلة حتى لو كانت من العكوم (المسيحيين) أو الحيوانات (الناس) مباركة مهارة الرب إلهنا ملك الكون، الذي خلق هذه الأشياء على الأرض.

ـ يقول مدراش تالبوت: خلقهم الله في أشكال آدمية لتمجيد إسرائيل، لأن العكوم إنما خُلقوا لغاية واحدة هي لخدمة بني إسرائيل ليل نهار، وهم لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة، ومن اللائق أنْ يقوم على خدمة ابن ملك (إسرائيلي) حيوانات بأشكال طبيعية، فالحيوانات الكائنة بأشكال إنسانية عليها أنْ تخدمه(3).

6 ـ يقول أوراش شائيم: إذا أشفق على الخنازير حينما تقاسي من سقم، لأن أمعاءها مشابهة لأمعائنا، فحري أنْ نشفق أكثر على العكوم حينما يتوجعون هكذا.

---

(1) برانا يتس، فضح التلمود، ص 82-84.

(2) برانا يتس، المصدر السابق، ص91.

(3) برانا يتس، المصدر السابق، ص92.

الناس الذين يعبدون أوثاناً والذين يدعون حميراً أو بقراً كما هو مكتوب: أنا أملك بقراً وحميراً، وفي هذا يقول الرابي بيشائي في كتابه قدهقيماش الفصل الأول بدءاً بكلمة غيولاه (الافتداء) أو التخلص من الخطيئة مشيراً إلى المزمور 80:

خرج الخنزير البري من الغابة فضاع في الصحراء، حرف عين معلّق مدلّى كأولئك العابدين الذي هم تابعون لذاك الذي تدلّى.

يقول لوكستروف: حين يقول الكاتب هنا خنزير بري فهو يعني المسيحيين الذين يأكلون لحم الخنزير، وكالخنازير يُتلفون حقول نشاط إسرائيل، مدينة القدس، وهم يؤمنون بالمسيح المدلّى.

حرف عين معلّق في هذه الكلمة لأنتم كعبدة المسيح الذي شُنق، هم أيضاً ساقطون.

يقول الأري ابدلس في تعليقه على على لينبون: ناظم الأناشيد الدِّينية داود النبي يقارن العكوم بالبهائم النجسة في الغابات[1].

7 ـ يقول سعا نهدران توسيفوت: الجماع الجنسي للغوييم هو كالجماع الجنسي للبهيمة.

وفي كيتبوت نقرأ: إن قيمة مَني الغوييم هي كقيمة مَني البهيمة، ومن هنا نستنتج أن زواج المسيحي ليس زواجاً شرعياً.

يقول قيدوشيم: كيف نعرف ذلك؟

يقول الرابي هوتا: تستطيع أن تقرأ امكث هنا مع الحمار، وذلك يعني مع شعب كالحمار، ومن هنا يتضح أنهم غير مؤهلين للزواج.

وفي ابين هيزر نقرأ: إذا تزوج يهودي بعكوم أو خادمته، فالزواج باطل لأنه لا يمكن للعالم أنْ يستمر في الحياة، من هنا نتعلم أنه على اليهودي أنْ لا يفسح مجالاً لهؤلاء السيئي السمعة السارقين... لأنهم إذا تناسلوا بأعداد ضخمة إذ ذاك يستحيل علينا الاستمرار في الحياة مع وجودهم فهم ينجبون رضعاً مثل الكلب[2].

---

(1) المصدر السابق، ص93.

(2) المصدر السابق، ص 94.

انطلقت نظرية تحديد النسل للأمم وجاءت نظرية مالتوس الفاسدة والتـي ثبت بطلانـها، وقد طبقت نظرية تحديد النسل في أوروبا فلم يـزد أعدادهـا، وتفشَّـت بينـهم الرذيلـة إلـى أكبـر حد، بل إن الحكومات في أوروبا باشرت تشجيع النسل، ولكـنْ؛ دون فـائدة، وصـار الجنس في أوروبا يُمارَسُ كمـا تمـارسُ البـهائم جنسـها بشـكل غـير منظـم وفوضـوي، وهكـذا، طَبَّـقَ اليهود نظريتهم، جماع الأمِّي كجماع البهائم.

ب ـ موقف اليهود التلموديين من المسيح عليه السلام :

رأينا من الأناجيل كيـف اضطـهد اليـهود عيسـى عليـه السـلام، وكيـف صلبـوه، حسـب الادعاء الإنجيلي والرواية الإنجيلية ما عدا إنجيل برنابا. ولـم ينتـه اضطـهاد عيسـى بنهايتـه علـى الأرض، وإنما تابعه الاضطهاد والشتم والسبُّ بعد ارتفاعه إلى السماء، وسأورد هنـا فـي هـذه الفقرة بعض الأقوال التلمودية :

أ ـ أسقط التلموديون الربانيون بشارات عيسى ـ عليه السلام ـ من التـوراة. وبـهذا، أسـقطوه مـن قائمـة النبـوة، وعـدّوه أنه ليس المسيح المنتظر، وفـي هـذا يقـول رحمـة الله العثمـاني : إن جوستين الشهيد الذي كان من أَجَلِّ القدماء المسـيحيين ادَّعـى أن اليـهود أسـقطوا بشـارات عديـدةً من الكتب المقدسـة، وصدَّقه فـي هـذه الدعـوى سـلفرجبس وكريـب، ووَاي تيكـر وآي كـلارك وواتسن، وادَّعى واتسن أن هذه العبارات كانت في عقد جستين وأرينيوس موجودة فـي النسـخة العبرانية واليونانية وأجزاء من الكتاب المقدس، وإنْ لم توجد الآن في نسـخها، فـأقول : لا يخلـو إما أنْ يكون ذلك أعظم قدماً منهم، وإما أنْ يكوْن حـدث ذلـك بعدهـم فيكـون صادقاً ومؤيـدوه الخمسة صادقين في هذه الدعوى، فثبت تحريف اليهود البتة بإسقاط العبارة المذكورة[1].

ب ـ ادَّعوا أن المسـيح القـادم مـن نسـل اليـهود. ولـهذا، حـاول بعـض كَتَبَـة الأنـاجيل أنْ يرفعوا نسب يوسف النجار إلى داود، واختلفوا فيه هل ينتمي إلى سليمان أم إلى نَاثـان أخيـه؟ وعدَّ اليهود أن المسيح يهودي جَدَّفَ على يهوه، وحاكموه على ذلك. لكنَّ دعـواه ـ كمـا تبيَّـنَ ومن خلال الأناجيل ـ ليس توراتية، ولهذا، قال تاسيان : إن المسيح ليس يهودياً، وأسقط كـل الروايات التي تؤذن بأن المسيح من نسل داود، كما أن المسـيح قـد أسـقط الفكـرة الأساسـية فـي

---

(1) رحمة الله بن خليل الهندي العثماني، إظهار الحق، ج 1، ص 215.

التوراة وهي الشعب المختار، ويعلق الكاتب جورج عبد المسيح على هذه الفكرة فيقول: ليس الله أعمى لدرجة أنه يختار أسوأ العباد فيجعلهم شعبه المفضل.

أقام اليهود صلوات ولا زالت حتى الآن وتُسمّى بركات همينيم؛ أي بركات الهراطقة التي أدخلها اليهود في خدمة قداس الكنيس، وتضمنت هذه الصلاة مجموعة من البركات واللعنات وصل عددها إلى 18 بركة ولعنة، أما اللعنة المتعلقة بالمسيحيين فقد تضمّنت ما يلي، وبالنسبة للنصارى: ليتهم يبقون بلا أمل، ليتهم لا ينعمون بالبركات.

ج 1 ـ ورد في السنهدرين، فصل 11، تطالعنا عبارة للمسيح بار نافلة.

أما معنى اللفظة فهو ابن الساقطة، رغم أن أكثرية الشارحين يميلون إلى القول أن المقصود هو ابن القوم نسبة إلى إسرائيل.[1]

2 ـ وبما أن كلمة يسوع (جيشو) تعني المنقذ أو المخلص فإن اسم يسوع الأصلي قلما يظهر في الكتب التلمودية، وهو يُختصَرُ دائماً تقريباً باسم يشو الذي اقتُبس بحقد من تكرير الأحرف الأولى للكلمات الثلاث (أي شي شيمو) ويذكرون أي ليُمْحَ اسمه ويصبح يشو بدون عين.

3 ـ ويُدعى المسيح في التلمود أواتوايش؛ أي ذاك الرجل، ويُدعى في كراسة عبودة زارة: يُدعى مسيحي مَنْ يتبع تعاليم ذاك الرجل الكاذبة الذي يعلمهم الاحتفال بالعيد الدِّيني عن أول يوم يلي السبت.

4 ـ في مكان آخر يُدعى المسيح بيلوني؛ أي الرجل المعين: ماري أم الرجل المعين ذي الصلة بيوم السبت.

5 ـ يُدعى النجار ابن النجار، ويُدعى بن شارش أييم، ابن الحطاب[2].

6 ـ ويُدعى تالوي؛ أي الرجل الذي شُنق، يشير الرابي صموئيل بن ماير في هلخوت عكوم من كتاب موسى بن ميمون. إلى أنه في الواقع من المحرم الاشتراك به في الأعياد المسيحية كعيدي الميلاد والفصح لأنهم يقيمون قدّاساً من أجل ذلك الذي شُنق.

---

(1) برانايتس، فضح التلمود، ص56.

(2) برانا يتس، فصح التلمود، ص56.

أما الرابي ابن عزرا في تعليقه على يشو يناديه أيضاً بتالوي الذي استنتج الإمبراطور قسطنطين صورة التمثال على رايته في أيامه والذي غيّر الديانة، ووضع تمثال ذاك الذي شُنق على رايته[1].

د ـ المسيح ابن غير شرعي حملته أمه وهي حائض:

تروي كراسة كلاه: حين كان الشيوخ يجلسون ذات يوم عند المدخل مَرَّ صبيان من هناك، كان أحدهما معتمر الرأس، وكان الثاني حاسر الرأس، فأبدى الرابي اليعازر ملاحظة تقول: إن حاسر الرأس غير شرعي مما زار، قال الرابي يوشع: بل إن أمّه حملته، وهي حائض بن نداه، انبرى إذ ذلك الرب عقيباً ليقول: إنه ولد غير شرعي، وحملته أمه وهي حائض أيضاً.

فما كان من الحضور إلا أنْ سألوا الرابي عقيبا عن أسباب تجاسره على مناقضة رأي كل من زميليه فأجاب الرابي عقيبا: إنه سيبرهن لهم على ما قاله لهذه الغاية. توجَّه إلى أم الصبي التي وجدها تبيع الخضار في السوق حيث بادرها بقوله: إذا أجبتني بصدق على سؤالي يابنتي، فإنني أعاهدك على تنجيتك من الخطيئة في الحياة القادمة. سألته عندئذ أنْ يقسم على ذلك. ففعل الرابي عقيباه ما أرادت ولكنْ؛ بشفيته فقط، بينما ألغى في قلبه القسم، ثم سألها: قولي لي ما نوع ابنك؟ ردَّت المرأة بقولها: ليلة عرسي كنتُ حائضاً فهجرني زوجي، غير أن روحاً شريرة ضاجعتني، فكان ابني هذا نتيجة ذلك.

بهذا برهن الرابي عقيبا على أن الصبي ليس ابناً غير شرعي فقط، بل إن أمه حملت به وهي حائض، حين سمع سائلو الرابي عقيباه هذا الحوار هتفوا قائلين: حقاً إن أمر الرابي عقيباه لعجيب عندما صحَّحَ للشيوخ، ثم أعلنوا بقوة: مُقدَّسٌ إله إسرائيل الذي أوحى بسره إلى الرابي عقيباه بن يوسف، فَهِمَ اليهود أن هذه القصة على أنها مماثلة لحال يسوع وأمه مريم.

ويؤكد ذلك بوضوح كتابهم توليدوت جيشو؛ أي أجيال يسوع، الذي يروي قصة مولد عيسى المنقذ بنفس الكلمات تقريباً[2].

---

(1) برانا يتس، المصدر السابق، ص56.

(2) المصدر السابق، ص57.

صفات أخرى ليسوع في التلمود:

1 ـ اتهام عيسى ـ عليه السلام ـ بالشعوذة والجنون.

في الشاباط يقول المقطع المشار إليه: وقال الرابي اليعاذر للشيوخ ألم يمارس ابن ستادا الشعوذة المصرية، وقطع رموزها في داخل جسمه؟ أجاب الشيوخ: لقد كان مجنوناً، ونحن لا نهتم بما يفعله المجانين.

وشعوذة ابن ستادا مشروحة في كتاب يبت يعقوب على النحو التالي: قبل مغادرتهم مصر اتخذ السحرة احتياطياً استثنائياً كي لا يفسحوا المجال لانتشار سحرهم مكتوباً خشية أنْ تتعلمه شعوب أخرى، لكنه ابتكر طريقة جديدة بحفر رموز للسِّحر في جلده أو بتقطيعها داخل جلده، فإذا ما اندملت الجروح استحالت معرفة ما تعنيه آثارها.

2 ـ اتهامه بالضلال والمضلل.

يقول بوكستروف: ثمة شك بسيط في مسألة ابن ستادا أو ما هو موقف اليهود الجماعي حياله، ورغم أن الرابيين حاولوا في ملحقاتهم على التلمود إخفاء حقدهم، والقول إنه ليس يسوع المسيح فإن خداعهم على هذا الصعيد كان واضحاً مكشوفاً، وهنالك الكثير مما يبرهن على أنهم كتبوا كل هذه الأقوال عنه، واتفقوا فيما بينهم على أنه هو المقصود بها.

أولاً: هم يدعونه أيضاً بن بانديرا، ويُدعى كذلك يسوع الناصري في مقاطع أخرى من التلمود، حيث يذكر بوضوح على أنه يسوع بن بانديرا في كتابه عن سلالة نسب المسيح بذكر الكاهن داماسين أيضاً بانتيرا وابن بانتيرا.

ثانياً: قيل إن ستادا هذه هي ماري، وماري هي أم بيلوني الشخص المعين، وذلك يعني بدون أي شك يسوع.

وبهذه الطريقة اعتادوا إخفاء اسمه بعيداً لأنهم كانوا يخافون من ذكر اسمه، ولو كنا نملك نسخاً من المخطوطات الأصلية، فإنها ستبرهن على ذلك بالتأكيد.

ثالثاً: دُعي بمضلل الشعب، يؤكد أحد الأناجيل الأربعة من العهد الأول من العهد الجديد أن اليهود كانوا يُسمُّون يسوع باسم المضلِّل، ومؤلفاتهم تبرهن حتى هذا اليوم، وستبقى كذلك في المستقبل كما كانت في الماضي على أنهم يدعونه بهذا الاسم.

رابعاً: دُعي الرجل الذي شُنق، عبارة تشير بوضوح إلى صلب المسيح، خصوصاً وأنه منذ ذلك الوقت أُحدث عيد الفصح اليهودي الذي يتوافق الاحتفال به زمنياً مع وقت صلب المسيح وقد كتبوا في سنهدرين: في ليلة عيد الفصح شنقوا يسوع.

خامساً: بالنسبة إلى ما يقوله التلمود الفلسطيني عن تابعَي الشيوخ اللذين بُعِثَا كشاهدي زور اللذين ذكرهما متى ولوقا.

سادساً: فيما يتعلق بما يقولونه حول ممارسة ابن ستادا للفنون المصرية، وذلك لتقطيع رموزها في لحم جمسه إن التهمة ذاتها تُوجَّه إلى المسيح في كتابهم المعادي نولدت جيشو[1].

3 ـ روح عيسى روح شريرة:

علاوة على ذلك يقولون في الكتب السرية التي لا تتاح للمسيحيين فرصة الاطلاع عليها بسهولة: إن روح عيسو دخلت في المسيح، ولذلك كان شريراً، بل كان عيسو نفسه، وقد استطاع يعقوب ـ كما تقول التوراة ـ من خداع عيسو في اشتراك بكوريته بطبخة عدس، وسرق بركه أبيه بواسطة أمه.

4 ـ يصارع يهوذا الأسخريوطي وهو مجدف:

في الكتابات المشين توليدوت جيشو يُقال عن المخلص عيسى إنه مُجدِّف: وقال يسوع أم يتنبأ سلفي أزاحيا وداود عني؟ قال الرب لي: أنت ابني اليوم أنجبتك.

وبطريقة مماثلة في مكان آخر، قال الرب لسيدي: اجلس إلى يميني، الآن أنا أصعد إلى أبي الذي في السماء، وسأجلس إلى يمينه، وهذا ما ستراه بأم عينك، لكنك يا يهوذا لن تبلغ أبداً ذلك المكان السامي، ثم لفظ يسوع الاسم المعظم يهوه، واستمرَّ يفعل ذلك حتى هبت رياح رفعته بين الأرض والسماء ولفظ يهوذا أيضاً اسم يهوه وبطريقة مماثلة رفعته الرياح، وبهذا، عام الاثنان في الهواء وسط انذهال المتفرجين، حينئذ بادر يهوذا إلى ترديد لفظ الاسم الإلهي ممسكاً بيسوع وهو يدفع به إلى الأرض، لكنَّ يسوع حاول بدوره دفع يهوذا، فنشب بينهما قتال متواصل، وعندما تأكد يهوذا أنه لن يفوز في النهاية ضدّ أعمال يسوع بال عليه.

---

(1) المصدر السابق، ص61.

وهكذا أصبحا معاً وجوداً نجساً، فسقطا على الأرض، ولم يعد بإمكانهما التلفظ بالاسم الإلهي من جديد إلى أنْ يغسلا نفسيهما[1].

5 ـ يسوع ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ مدفونان في جهنم، يروي كتاب الزوهار، الجزء الثالث:

إن يسوع مات كبهيمة، ودُفن في كومة قذر حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة، وحيث أبناء عيسو، وأبناء إسماعيل بالإضافة إلى المسيح ومحمد غير المختونين والنجسين كالكلاب النافقة، هؤلاء جميعاً مدفونون معاً.

هذه أهم الصفات التي يطلقونها على عيسى ـ عليه السلام ـ في تلمودهم.

جـ ـ موقف اليهود التلموديين من أم المسيح عليهما السلام.

لم يكن موقف اليهود التلموديين من أم المسيح ـ عليهما السلام ـ أفضل من موقفهم من المسيح عليه السلام، ويمكن لنا أنْ نرى ذلك في النقاط التالية:

1 ـ يتهمون السيدة مريم العذراء بالزنا، ويرون عيسى أنه ابن سفاح، وقد مرت معنا قصة الرابي عقيبا الذي اتهم المرأة وابنها، وخرج الولد غير شرعي، وحملت أمه به وهي غير طاهرة، والشيء الذي فات على الرابي عقيبا الذي أوحى له يهوه هذا أن يهوه أجهل من الرابي عقيبا في أمور الحمل، فالمرأة في الطمث لا تحمل، وهذه المعلومات يعرفها أي إنسان كان ما عدا يهوه والرابي عقيبا.

ويقول التلمود: حينما زار ملاك الموت ذات مرة الرابي بيهادي قال لمساعده: اذهبْ، وأحضر لي ماري حلاقة السيدات (اقتلها). لكنَّ هذا أحضر حلاقة شعر الأطفال بدلاً من ماري المقصودة.

ثمة ملاحظات هامشية تشرح هذا المقطع كما يلي:

قصة ماري حلاقة السيدات هذه حدثت بالمصادفة في عهد الهيكل الثاني: إنها أم بيلوني ذاك الرجل كما دُعي في شاباط[2].

---

(1) المصدر السابق، ص64.

(2) المصدر السابق، من الصفحات 128-130.

2 ـ أسماء مختلفة لمريم ولقديس والقديسات .

مريم أم يسوع تُدعى شاريا ، وتعني روث غائط بالألمانية ، وريك اسمها الأصلي بالعبرية مريام ـ عليها السلام ـ القديسون المسيحيون ، الكلمة بالعبرية الكيدوشيم ، واليهود يدعونهم الكيدوشيم بمعنى الرجال المخنثين ، أما القديسات فيدعونهن كيديشوت المومسات .

الأحدُ يدعى بيوم الكارثة .

الأعياد المسيحية تُدعى نيتال الإفناء والإبادة .

عيد الفصح يُسمّى كيتساش التبر أو كيتساش المشقة .

الكنيسة تُدعى بيت هيتفلاه ، بيت الباطل وبيت الشيطان .

الكتب الإنجيلية تُدعى آفون جيلايون كتب الخطيئة .

الأضاحي المسيحية : نقرأ في تلمود القدس ومَنْ يراهم ميزابيليم (متغوطين) أمام وثنهم .

الخادمة المسيحية التي تشتغل لليهود في يوم سبتهم تُدعى شاووشيكال أي غائط السبت[1] .

د ـ موقف اليهود التلموديين من المسيحية:

ليس التلمود ببعيد عن المواقف العدائية تاريخياً إزاء المسيحيين والمسيحية ، خصوصاً متى علمنا أن النظرة التلمودية ترى في المسيحية الأولى نوعاً من الهرطقة اليهودية ، وهناك نقطة أخرى أُثير حولها الجدل الكثير أثناء المناظرات والمحاكمات ، وقد رأينا بعضاً منها في أواخر القرن السابع ونقصد بها عكوم (AKUM) .

فالمدافعون عن التلمود يصرون على عَدِّها بمثابة صيغة مختصرة (لعبدة الكواكب وأبراج النجوم) وفي العبرية تُلفظ (عبدة كوخبيم ومازالوت) (ع ك و م) ويؤكد المسيحيون أنها مأخوذة من عبدة كريستين ومريم (عكوم) .

يدعو اليهود كلمة غوي (عرق أو شعب) على كل مَنْ هو غير يهودي ، ويُسمّون كل ديانة غير الديانة اليهودية (غوياه) في بعض الأحيان ، ومن النادر جداً يُطلقون هذا الاسم على الإسرائيليين ، ويَعُدُّ التلمود أولئك الذين يحتفظون بكتب تُسَمَّى أناجيل مهرطقين .

---

(1) المصدر السابق ، من الصفحات 128 ـ 130 .

يقول الشاباط: يُسمّى الرابي ماير كتب المنييم المهرقطين باسم ابن غيلائيون (المجلدات الشريرة لأنهم يدعونها أناجيل).

أما الرابي بيشائي فيعلق على كلمات أزاحيا: هؤلاء الذين يأكلون لحم الخنزير قائلاً هؤلاء هم الآدوميون.

ومن ناحية أخرى يسميهم الرابي ليمشي المسيحيين، بينما يقول الرابي أبارنبئيل في مؤلفه ماشيما ايشوا: الناصريون هم الرومان أبناء أيدوم..

وغالباً ما يُطلق اسم غوي على غير اليهودي، ومن المعروف تماماً أنه في اللغة اليهودية يدعو اليهود المسيحيين الذين يعيشون وسطهم باسم غوييم ولا يُنكر اليهود ذلك، لكنهم يقولون أحياناً في مجلاتهم العامة: إن هذه الكلمة لا تعني مؤذياً أو شريراً. لكننا نلاحظ عكس ذلك تماماً في الكتب المؤلفة باللغة العبرية، مثال ذلك في شوشين همشباط حيث يُستعمل غوي بمعنى فاسد: الخونة الأبيقوريين والمرتدون عن عقائدهم الأسوأ من الغوييم[1].

إن أفضل حُجَّة يستخدمها اليهود للبرهنة على أن المسيحيين هم من جنس الشيطان هي حقيقة أنهم غير مختونيين، فلفظة غير اليهود تحول دون أنْ يُسمّوا أولاد الإله السامي العظيم، لأنه بالختان يكتمل اسم الإله إيل شداي في لحم المختون اليهودي، إن شكل حوف الشين في ثقبي أنفه (w) وشكل حرف دالت (t) في انحناء ذراعيه وشكل حرف يود (u) يظهر للعيان في عضوه التناسلي بواسطة الختان.

الأغيار غير المختونين، إذن، هم كالمسيحيين، إذ أن هناك فقط حرفي الشين والدال اللذين يشكلان شد التي تعني الشيطان، وعلى هذا فإنهم أبناء شيد (أبناء الشيطان)[2].

وهنا أتساءل ما الفرق بين اليهود المختونيين والمصريين الذين يمارسون الختان والمسلمين الذين يمارسون الختان؟

وأي إله هذا إذا كان الفارق بينه وبين الشيطان فلقة عضو اليهودي التناسلي؟ فهل يعبدون القضيب الذكري حتى يتم منظره بالختان؟

---

(1) برانا يتس، فضح التلمود، ص83.

(2) المصدر السابق، ص96.

وتقول تعاليم اليهود التلمودية إن الله خلق طبقتين إحداهما طيبة والأخرى شريرة، أو طبيعة ذات شقين أحدهما طاهر والآخر نجس، فعلى صعيد الشق النجس الذي يُدعى أديم الأرض الوضيع فمنه تحدَّرت أوراح المسيحيين، ونقرأ في الزوهار / 131 آ/ منذ وجودهم والناس الوثنيون يوسخون العالم لأن أرواحهم تحدَّرت من الشق النجس، ونقرأ أيضاً في طميمك هامليش: أرواح غير الأتقياء تحدَّرت من كليفا التي هي من الموت وشبح الموت.

ويعرض لنا الزوهار ص47 أ، و46 ب أ بأن هذا الشق النجس هو الأيسر، وهو الذي خلق كل شيء حياً؛ أي خلق الإسرائيليين أنفسهم لأنهم أبناء الرب العظيم، ومنه تحدَّرت أرواحهم، ولكنْ؛ من أين تحدَّرت أرواح الأغيار؟

يقول الرابي اليعازر: من الشق الأيسر خُلق الأغيار، وذلك جعل أرواحهم أرواحاً نجسة، إنهم ـ بناءً على ذلك ـ جميعاً أنجاس يدنسون كل مَنْ يحتك بهم.

يقول عبوده زاره: مُحرَّم بيع كتب الأنبياء إلى العرَّافين طالما أنه من الممكن أنْ يستخدموها في سبيل ديانتهم الشريرة في كنائسهم الوثنية. إن هؤلاء يرتكبون خطيئة ضدّ القانون الذي يُحرِّم علينا وضع أي عائق في طريق شخص أعمى، مُحرَّم علينا بيع تلك الكتب إلى مسيحي غير حالق، لأنه من المؤكد أنه سيبيعها إلى آخر حالق[1].

أما الكنائس المسيحية فإنها تُسمّى في العبرية بيت تيفيلاه، بيت الباطل والحماقة، بيت عبوده زاره (عبدة الأوثان)، بيت هتوراف شل ليتسم، بيت ضحك الشيطان.

وفي عبوده زاره 78 يقول بيروش موسى: ليكن معلوماً لديك أنه فوق الشك تحريم القانون المرور من مدينة مسيحية قائم فيها بيت باطل؛ أي بيت وثنية للعيش في ذلك المكان الوقت الطويل، لكننا اليوم كعقاب على خطايانا خاضعون لهم ومضطرون للعيش معهم في دولتهم كما تنبأ سفر تثنية الاشتراع قائلاً: هناك ستخدمون آلهة من خشب وحجارة صنعتها أيد بشرية، هكذا، فإنه إذا كان قد حلَّلَ لنا كما هو متنبأ به المرور في مدينة مسيحية، بل سوف نظر إلى المرور حول هيكل وثني، فإنه مُحرَّم علينا النظر إلى ما في باطن الهيكل، كما هو محرم إطلاقاً الدخول إليه. ليس مُحرَّماً فقط على اليهودي الدخول إلى كنيسة مسيحية، بل حرام عليه الاقتراب منها إلا تحت ظروف معينة[2].

---

(1) المصدر السابق، ص100.

(2) المصدر السابق، ص100.

ويُسمِّي التلمودُ كتبَ المسيحيين فييم أي كتب هراقطة وسِفر يبيت ايدان أي كتب بيت الهلاك، ويتحدث التلمود بشكل خاص عن الأناجيل.

نقرأ في شاباط توسيف ما يلي: يُسمِّي الرابي مائير كتب الهراقطة: آفين غيلاؤن؛ أي كتب الشيطان، لكنَّ الشولحان عاروخ طبعة كراكو يلاحظ أن الاسم هو آفين نيكتاب آل هاغيلاؤن؛ أي الشر هو مُدوَّن في كتاب.

أما الرابي جوشآن فيسميها آفون غيلاون؛ أي كتب الشيطان.

ويقول بوكسترف ثمة ملاحظة في الشولحان عاروخ عن شيكير نيكتاب غيلاؤن التي تعني كذبة مُدوَّنة في كتاب.

وأخيراً، إن جميع التلموديين متفقون على أنه يجب إتلاف كتب المسيحية غير أنهم يختلفون فقط على مسألة ما الذي يجب فعله بأسماء الله التي تتضمنها الكتب، يقول الشاباط: يجب عدم إنقاذ مسروات الكلمات العسيرة مع شروحها الملحقة بكتبنا وكتب الهراقطة من الاحتراق إذا لحقت بها النار يوم السبت. غير أن الرابي جوزية يقول: في أيام الأعياد يجب تمزيق الأسماء الإلهية التي تضمها كتب المسيحيين وإخفاؤها بعيداً، وما تبقى منها يجب إحراقه. أما الرابي طارفون فيقول: بشكل متسلسل ليذكرني أولادي إذا وقعت بين يدي دائماً سأحرقها بالإضافة إلى الأسماء الدِّينية التي تشمل عليها لأن الذي يطارده قاتل أو أفعى فأفضل ما يفعله هو الالتجاء إلى معبد وثني لا أنْ يلجأ إلى معبد مسيحي، لأن المسيحيين يقاومون الحق عامداً متعمداً في حين أن الوثنيين يقاومونه من غير عمد[1].

وأخيراً، يرون في الأفعى ما يلي: هذه الأفعى مصدر وجود المسيحيين، أي الشكل متجسداً بشكل أفعى تُدعى سامائيل كتب الرابي موسى بن ميمون في مور: إن سامائيل هذا قد اتخذ شكل أفعى، وأغوت حواء، كذلك تُدعى ملاك الموت ورأس مجلس الشياطين.

أما رابا ديباريم فيدعو سمائيل شخص غير تقي وأمير الشياطين كافة. بينما يدعوه الرابي بيشائي سمائيل غير التقي أمير روما[2].

---

(1) المصدر السابق، ص105.

(2) المصدر السابق، ص169.

ارتداد مسيحي إلى اليهودية

1 ـ اللوثرية وفروعها .

2 ـ المسيحية اليهودية أو المسيحية الصهيونية .

3 ـ شهود يهوه .

1 ـ اللوثرية وفروعها :

خير ما نبدأ هذه الفقرة قولان للوثر الفارق بينهما زمني فقط :

1 ـ لقد كانت مشيئة (يهوه) أن يكون إنعامه على العالم بالدِّين من خلال اليهود وحدهم دون سائر البشر، فهم أبناؤه الأثيرون إلى قلبه، وما نحن إلا الضيوف الغرباء على مائدتهم، وقدرنا هو نَقْنَعَ بأن نظل الكلاب التي تلتقط الفتات المتساقطة من مائدة أبيهم .

مارتن لوثر: المسيح وُلد يهودياً 1523 .

2 ـ مَنْ ذا الذي يمنع اليهود من أن يعودوا إلى أرضهم في يهوذا؟

لا أحد، بل إننا على أتم الاستعداد لأن نُزَوِّدَهم بكل ما يحتاجونه في رحلتهم، لمجرد أنْ نتخلص منهم، فهم عبءٌ ثقيل علينا، ومصيبة حلَّت بنا .

مارتن لوثر: عن اليهود وأكاذيبهم 1544 .

بدأ الخلاف بين المسيحية واليهودية في الاعتراف بعيسى وعدم الاعتراف به، بالإضافة إلى النقاط التي أشرنا إليها في فقرات سابقة .

وقد رأى اليهود في المسيح ـ عليه السلام ـ يهودياً خان الرسالة، وخرق التقاليد اليهودية، فقد ألغى السبتَ، وعمل فيه هو وتلاميذه، خان العهد فلم يدع إلى الختان، ولم يختن جماعته غير التعاليم التي يؤمنون بها، ولم يروا فيه رسولاً يدعو إلى ديانة جديدة تنقض ما بناه عزرا وتذهب بأقوال الفريسيين التي لا يريدون منها إلا أكل أموال اليتامى كما صرّحت الأناجيل بشرهم بخراب الهيكل، وقال: إنه سينقض حجراً على حجر، وحاولوا قتله ومحاكمته، ولكنّ الله عصمه منهم، ورفعه.

أما تلاميذه فقد حاولوا أنْ يثبتوا أنه المسيح المنتظر حسب النصوص التوراتية، فقاموا بالخطوات التالية:

أ ـ حاولوا إلحاقه بداود عليه السلام، وبديلاً من أنْ يتخذوا نسب أمه التي لا تنتمي إلى داود ألحقوه بيوسف النجار، ولا أرى مبرراً لذلك إلا اعتقاداً منهم بأن ذلك يرضي اليهود، وقد اختلف متى ويوحنا في سلسلة يوسف النجار اختلافاً كبيراً بيَّنتُه في موضعه.

ب ـ حاولوا أنْ يأخذوا التوراة؛ توراة عزرا قدوة لهم وحتى أنهم طبعوا أقوال عيسى ـ عليه السلام ـ للتوراة حتى ولو خالفوا أقوال عيسى.

من هذه النقاط التي ناقضت أقوال عيسى عليه السلام:

1 ـ وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح أي صلاة أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله.

ورد هذا النص في إنجيل متى **19/ 16 ـ 17/**. وفي لوقا: **18/ 18/**.

كيف يتوافق هذا الكلام مع كلام إنجيل متى؟ صلُّوا لأجل الذين يسيؤون إليكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات. متى **5/ 45/**.

أليس كلام الإصحاح الخامس مأخوذ من التوراة أبناء يهوه وإسرائيل الابن البكر له؟ والكلام الأول صريح وواضح، كلام أنبياء يتواضعون أمام عظمة الله الخالق، وهل يكون مخلوق ما سامياً كالخالق؟ بل كيف يتوافق هذا الكلام مع النظرة إلى المسيح على أنه ابن الرب؟ فكيف لا يكون صالحاً إلا الله وهو ابنه، ينكر نسبة الصلاح له؟

2 ـ ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة : ارحمني يا سيد ابن داود ، ابنتي هذه مجنونة جداً ، فلم يجبها بكلمة .

فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال : لم أُرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة ، فأتت وسجدت له قائلة : يا سيد أَعنِّي . فأجاب وقال : ليس حسناً أنْ يؤخذ خبز النبيين ويُطرح للكلاب ، فقالت : نعم يا سيد ، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها . متى 15/ 26 ـ 27/ أليس هذا الكلام تلمودياً خالصاً ؟ .

أليس هذا الكلام مناقضاً لما جاء بعده حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة ، عظيمٌ إيمانك ، ليكن لك كما تريدين ، فَشُفيت ابنتها من تلك الساعة ؟ متى 15/ 28/ . أليس تشبيه الأمم بالكلاب قولاً عنصرياً متزمتاً وعيسى ـ عليه السلام ـ بريء من هذه الأقوال .

3 ـ لقد أنكر إنجيل متى أنْ يكون المسيح ابناً لداود ، بينما ادَّعى في الإصحاح الأول أنه ابن داود وساق نسبه ، واسمع معي :

وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً : ماذا تظنون في المسيح ابن مَنْ هو ؟

قالوا له : ابن داود ، قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً ؟ قال الرب لربه : اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطناً لقدميك ، فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أنْ يجيبه بكلمة ، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أنْ يسأله بتة ، متى 22/ 41 ـ 46 .

هذه الكلمات تُسقط نظرية المسيح ابن داود ، والنظرية المسيحانية (المسيعانية) عند اليهود ، والتي يقول بها اليهود وجماعتهم وينتظرون المسيح ابن داود .

وسار المسيحيون في مجامعهم يتقربون من اليهود شيئاً فشيئاً ، فقالوا في التوراة على أساس أنه العهد القديم ، وبهذا ، ربطوا أنفسهم باليهود ربطاً عضوياً ، وبدؤوا في إدخال الكتب المنحولة التي لم يعترف بها اليهود في توراتهم العبرية ، وبهذا صاروا ملكيين أكثر من الملك .

ولن أتابع في هذا المنوال ، ولكنْ ؛ أردتُ أنْ أقول : إن المسيحية مهيأة لمتابعة اليهودية لو أن اليهود تراجعوا عن فكرة أن المسيح هو مهرطق كذاب ، ولو أبطلوا السبَّ والشتم لعيسى

عليه السلام، ومن ثم رأينا كيف أن الكنيسة الكاثوليكية بَرّأت اليهود من دم المسيح، وبهذا ـ كما يقول العامة ـ ذهب دمه هدراً، ولم يُعرف قاتله.

هذا التراجع لم يحصل دفعة واحدة، وإنما كان له ما يبرره وخطوات سابقة سبقت الخطوة النهائية. فقد أثارت صكوك الغفران في بداية القرن السادس عشر موجة من الاستنكار، إذ أن محصلي أثمانها قد حصّلوها بطريقة منفرة. تصدّى لمشكلة صكوك الغفران راهب ثري في الفاتيكان على التقوى والصلاح، هذا الراهب كان في ألمانيا حينما أُثيرت المشكلة، وأعلن أن الغفران لا يُباع، وطالب بإصلاح الكنيسة الكاثوليكية، وكتب قائمة من الإصلاحات دعا إليها الكنيسة، لم تناقش الكنيسة الطلب، ولم تجادل صاحب الطلبات، وإنما حرمته من الكنيسة (الغفران) وطردته من الديانة المسيحية، وعدَّته مهرطقاً.

ردَّ لوثر على هذا الطرد فأعلن تمرده على الكنيسة الكاثوليكية، وساعده بعض الأمراء الألمان ليتخلصوا من سلطة البابا، وهكذا أقام المذهب البروتستنتي أو المحتجين، ومن ثم دعا إلى الإصلاح كل من الراهبين كالفن وزونفل، وهذان انضويا تحت لواء البروتستنت أيضاً، وانشقت الكنيسة البريطانية على كنيسة الفاتيكان، ودُعي مذهبها بالمذهب الأنكليكاني، وساروا على خطا مارتن لوثر، وقامت الكنيسة البروتستنتية.

لم تستسلم الكنيسة الكاثوليكية، وإنما أقامت محاكم التفتيش، وبدأت بالتصدي للمهرطقين، وهذه المحاكم قتلت عشرات الألوف، وقامت الحروب الطائفية بين المذهبية، ولا زالت حتى الآن الحرب المذهبية في إيرلندة قائمة بين الكاثوليك والبروتستنت.

ولن أناقش المذاهب المسيحية أيهما على صواب، وأيهما على خطأ، وإنما سأناقش الطرف الذي خدم الصهيونية أكثر، واندفع نحو اليهودية بأشد ما يمكن.

يقول الباحث عبد الله التل: والحقيقة إن رياح التغيير في الموقف المسيحي تجاه اليهود بدأت تهبُّ منذ ظهور الحركة الإصلاحية البروتستنتية في القرن السادس عشر حيث أطاحت هذه الحركة بحق الكنيسة في احتكار تفسير الكتاب المقدس. وتحديد الرؤية المسيحية الفكرية، وبذلك تم إحياء النص التوراتي، وبدأ التفسير الحرفي للنصوص المتعلقة باليهود يحلُّ محلَّ التأويلات والتفسيرات التي بنتها الكنيسة الكاثوليكية الأم.

وبدأت النظرة إلى اليهود تتغير تدريجياً، وبدأ التهويد يشق طريقه نحو المسيحية الغربية، ومنذ بواكير القرن السابع عشر بدأ النصارى البروتستانت في الغرب ينظرون إلى اليهود على أنهم شعب مميز. وأخذوا يعتقدون أن عودة اليهود إلى فلسطين شرط لتحقيق المجيء الثاني للمسيح وأن مساعدة اليهود لتحقيق هذه الغاية أمر يريده الله لأنه يعجل بمجيء المسيح[1].

1 ـ في متى 28/ 16 ـ 20/ وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له، ولكنَّ بعضهم شكّوا، فتقدَّم يسوع، وكلّمهم قائلاً: دفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتَلمذُوا جميع الأمم وعَمِّدوهم باسم الأب والابن وروح القدس، وعلِّموهم أنْ يحفظوا جميعَ ما أوصيتكم به، وها أناذا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر، آمين.

2 ـ مرقس 16/ 14 ـ 20/ أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون، ووبَّخَ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروا، قد قام وقال لهم: اذهبوا للعالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، مَنْ آمن واعتمد خلص، ومَنْ لم يؤمن يدن، وهذه الأيام تتبع المؤمنين، يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حيات، وإنْ شربوا مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون.

ثم إن الرب بعدما كلّمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله، وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة. آمين.

3 ـ لوقا 24/ 36 ـ 53/ : وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم: سلام عليكم، فجزعوا، وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحاً، فقال لهم: ما بالكم مضطربين؟ ولماذا تخطر أخطار في قلوبكم؟ انظروا يديّ ورجلي، إني أنا هو، جسوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم ولا عظام كما ترون لي، وحين قال هذا: أراهم يديه ورجليه، وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم: أعندكم ههنا طعام، فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل، فأخذ وأكل قدامهم وقال لهم: هذا هو الكلام الذي كلّمتكم به، وأنا بعد معكم أنه لابُدَّ من أنْ يتمَّ جميع ما هو مكتوب، عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذٍ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب وقال لهم: هذا هو مكتوب،

---

(1) عبد الله التل: الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، ص: 9.

وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأنْ يكرز باسم بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدئاً من أورشليم، وأنتم شهود لذلك، وها أنا أرسل إليكم موعد أبي، فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أنْ تلبسوا قوة من الأعالي. وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد إلى السماء، فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم، وكانوا كل حين في الهيكل يُسبِّحون ويباركون الله، آمين.

أما يوحنا فهو الذي أشار إلى مجيئه إشارة بعيدة 21/ 15 ـ 25/ فعندما تفدوا قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء؟ قال له: نعم يا رب، أنت تعلم أني أحبك، قال له: ارع خرافي، قال له أيضاً ثانية: يا سمعان بن يونا أتحبني؟ قال: نعم يا رب، أنت تعلم أني أحبك، قال له: ارع غنمي، قال له ثالثة: يا سمعان بن يونا أتحبني؟ فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة: أتحبني، فقال له: يا رب، أنت تعلم كل شيء. أنت تعرف أني أحبك، قال له يسوع: ارع غنمي، الحقَّ الحقَّ أقول لك، لما كنتَ أكثر حداثة كنت تُمَنْطِقُ ذاتك، وتمشي حيث تشاء، ولكنْ متى شختَ فإنك تمدُّ يديك وآخر يُمَنْطِقُكَ ويحملك حيث لا تشاء، قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أنْ يُمَجِّدَ الله بها، ولما قالَ هذا، قال: اتبعني، فالتفت بطرس ونظر التلميذَ الذي كان يسوع يحبه يتبعه، وهو أيضاً الذي اتكأ على صدره وقت العشاء، وقال: يا سيد مَنْ هو الذي يسلمك؟ فلما رأى بطرس هذا قال ليسوع: يا رب وهذا ماله؟ قال له يسوع: إنْ كنتُ أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك؟ اتبعني أنتَ، فذاع هذا القول بين الأخوة، إن ذلك التلميذ لا يموت، ولكن لم يقل له يسوع إنه لا يموت، بل إنْ كنتُ أشاء أنه يبقى حتى أجيء فما ذلك. هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق، وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع، إنْ كُتبت واحدة واحدة فلستُ أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة، آمين.

وبهذا لم نر في الإنجيل ما يبشر بعودة المسيح ثانية على الإطلاق، ولم نر أنه قال بذلك، بل رأينا أنه ينفي أنْ يكون المسيح من نسل داود، وأنه أتى ولا عودة له من جديد حسب النص الإنجيلي.

أما مجيء المسيح فإنهم تلقّوه عن التوراة، ولنا في هذا أحد أمرين:

1 ـ اليهود ومَنْ والاهم والذين لم يؤمنوا بالمسيح ـ عليه السلام ـ ينتظرون المسيح المخلص ـ حسب ادعاء التوراة ـ ليعيد لليهود مكانهم ومجدهم إنْ كان لهم هذا المجد المزعوم.

2 ـ الذين آمنوا بوجوده واعتقدوا أن عيسى ـ عليه السلام ـ هو المسيح أن يقفوا ويدرسوا المسيح المنتظر ويقرروا إنْ كان هناك مسيح آخر.

والبروتستانتية آمنت في التوراة ضمن النقاط الآتية:

1 ـ الكتاب المقدس هو النص الوحيد الذي يُعتمد عليه.

2 ـ اعتبار الكتاب المقدس وتفسيره حرفياً ودون تأويل (وهذا التأويل يعتمده المذهب الكاثوليكي).

3 ـ اعتبار الآراء اليهودية أراء هادفة.

4 ـ اعتبار اليهود شعب الله المختار، وقد فَنَّدَ ذلك يسوع ـ عليه السلام ـ ورَدَّهُ.

5 ـ العودة إلى النص العبري للكتاب المقدس، ورفض الكتب المنحولة، ورفض النسخة اليونانية للعهد القديم.

هذه الأمور والتصرفات كلها التي تلت ذلك جعلتني أقول بالردة إلى اليهودية، وإليك بعض التصرفات التي تؤكد ذلك.

1 ـ منذ بواكير القرن السابع عشر بدأت النصارى البروتستانت في الغرب ينظرون إلى اليهود على أساس أنهم شعب مميز.

2 ـ أخذوا يعتقدون أن عودة اليهود إلى فلسطين شرط لتحقيق المجيء الثاني للمسيح، وقد رأينا هاتين النظرتين قد طرحهما لوثر في النصين اللذين أوردتهما في بداية هذه الفكرة.

3 ـ مساعدة اليهود لتحقيق هذه الغاية أمر يريده الله لأنه يعجل بمجيء المسيح الذي يحمل معه الخلاص والسلام حيث ساد الاعتقاد أن المسيحيين المخلصين سوف يعيشون في فلسطين ألف عام في رغد وسلام قبل يوم القيامة، وهي فكرة يهودية بحتة وَلَّدها في المسيحية سِفر رؤيا يوحنا اللاهوتي.

4 ـ عندما قرر هرتزل في اختيار فلسطين في مؤتمر بال كأرض يُقام عليها كيان صهيوني أرسل إليه المبشر وليم بلاكستون أحد الصهيونيين المسيحيين البارزين نسخة من الكتاب المقدس تظهر فيها علامات وضعها هو تشير إلى عودة اليهود إلى الأرض، وهذه النسخة ما تزال معروضة إلى جانب ضريح هرتزل في القدس، والمبشر بروتستانتي.

5 ـ في المؤتمر الأول للحركة الصهيونية الذي انعقد في مؤتمر بال بسويسرا عام 1897 ، دخل القس البروتستانتي وليم هشلر إلى قاعة المؤتمر مع هرتزل وهتف بحياة الزعيم الصهيوني قائلاً : يحيا الملك ، وخطب في الصهاينة قائلاً :

استفيقوا يا أبناء إسرائيل ، فالرب يدعوكم للعودة إلى وطنكم القديم فلسطين .

6 ـ في عام 1961 ، أصدر مجلس الكنائس العالمي الذي يضم كنائس بروتستنتية وأرثوذكسية في دلهي بياناً جاء فيه :

العداء للسامية خطيئة ضدّ الله ، ضدّ السامية ، علينا في التعليم المسيحي ألا نلقي الأحداث التاريخية التي أدت إلى صلب المسيح على عاتق الشعب اليهودي ، فالمسؤولية تقع على إنسانيتنا المشتركة ، وليست محصورة في جماعة معينة أو قوم ، وقد أيَّد هذا القول قرار الفاتيكان في عام 1965 .

ولنبدأ في خطوات البروتستانت بشكل منظم :

1 ـ توجُّهُ البروتستانت إلى العهد القديم ليس على أنه أكثر الكتب شهرة ، ولكنْ على أنه المرجع الوحيد لمعرفة التاريخ العام ، وبذلك قلَّصوا تاريخ فلسطين ما قبل المسيحية إلى تلك المراحل التي تتضمن فقط الوجود العبري ، وألغوا تاريخاً طويلاً لكنعان في أرض فلسطين ، كما عدُّوا الفترتين الرومانية والإسلامية في فلسطين غير معترف بهما .

2 ـ في عام 1600 ، بدأ البروتستانت كتابة معاهدات تعلن بأنه على جميع اليهود مغادرة أوروبا إلى فلسطين ، وقد نادى قبل ذلك بهذه الفكرة لوثر .

3 ـ أعلن أوليفر كرومويل ـ بصفته راعي الكومنولث البريطاني الذي أُنشئ حديثاً ـ أن الوجود اليهودي في فلسطين هو الذي يمهد للمجيء الثاني للمسيح .

4 ـ في عام 1655 ، أعلن البروتستنتي الألماني بول فلجن هوفر : أن اليهود سوف يعترفون بالمسيح على أنه مسيحهم بمناسبة مجيئه الثاني . وكتب في كتابه (أخبار جيدة لإسرائيل) إنه مما يثبت ذلك العودة الدائمة لليهود إلى بلدهم الذي منحهم الله إياه من خلال الوعد غير المشروط الذي قدمه إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب .

5 ـ في عام **1839**، حَثَّ اللورد أنطوني اشـلي كوبـر اليـهود جميعـهم على الـهجرة إلـى فلسـطين، ونشر مقـالاً بعنـوان (الدولـة وآفـاق المستقبل أمـام اليـهود) أعـرب عـن اهتمامـه بالعبريين، وعارض فكرة الذوبان التي نادت بها جماعة التنوير على أساس أن اليـهود سيبقون غرباء في كل الدول التي يعيش فيها غـير اليـهود. نظـر اللـورد كوبـر إلـى اليـهودي علـى أنـهم يلعبون دوراً رئيسياً في الخطة الإلهية حول المجـيء الثـاني للمسيح، وكمـا فسـر النصـوص فـإن المجيء الثاني للمسيح سيتحقق فقـط عندمـا يعيـش اليـهود فـي إسـرائيل المُسْتَرجَعَة انطلاقـاً مـن اعتقاده بأن عليه مساعدة الله. وكأن الله عاجز عـن تحيـق خطتـه لتحقيـق الخطـة الإلهيـة بنقـل جميع اليهود إلى فلسطين.

إن اللورد كوبر جعـل همـه أن اليـهود والإنكليز ضروريـون بالنسبة للأمـل المسيحي فـي الخلاص والنص الذي كتبه يقول: إن فلسطين بدون أمة لأمة بدون بلاد.

وفي مساعيه لنقل اليهود إلى دولة يهودية بالكامل مـارس اللـورد الإنكليـزي تـأثيره علـى عمه اللورد بالمرستون وزير الخارجية البريطانية لفتح قنصلية بريطانيا فـي القـدس. ومـن خـلال تعيـين الإنجيلي المتفـاني وليـم يونـغ نائبـاً للقنصـل فـي القـدس **1839**، أعلـن وزيـر الخارجيـة البريطانية بصورة خاصة: أن عليه حماية كل اليهود الذين يعيشون في فلسطين آنـذاك، وكـانوا **/9690/** يهودياً منهم الغرباء، ومنهم سكان فلسطين. وبهذا، أقام حجر الزاوية للصهيونيـة، وأكَّد الوحدة الوطنية لليهود جميعهم.

6 ـ في عام **1841**، كتب هنري تشرشل ضابط الأركان البريطانية في الشرق الأوسط إلى موسى مونتفيور رئيس مجلس اليهود في لندن: لا أستطيع أنْ أخفي عليك رغبتي الجامحة فـي أنْ أرى شعبك يحقق مرة أخرى وجوده كشعب، إننـي أعتقـد أنـه يمكـن تحقيـق الـهدف بدقـة، ولكنْ؛ لابُدَّ من توافر أمرين لا غنى عنهما: **أولاً**: إنَّ على اليهود أنفسهم أنْ يُنـهوا الأمـر علـى الصعيد العالمي وبالإجماع، **ثانياً**: إن على القوى الأوروبية أنْ تساعدهم.

7 ـ في عام **1845**، اقترح إدوار بتفورد من مكتب المستعمرات في لنـدن إقامة دولـة يهوديـة في فلسطين تكـون تحـت حمايـة بريطانيـا العظمـى علـى أنْ تُرفـع الوصايـة عنـها بمجـرد أنْ يصبـح اليهود قادرين على الاعتناء بأنفسهم. وقال: إن دولة يهودية ستضعنا في مركز القيادة في الشـرق بحيث نتمكن من مراقبة عملية التوسع والسيطرة على أعدائنا، والتصدي لهم عند الحاجة.

8 - إن المسيحيين الذين كانوا يتصدرون الحركة الصهيونية كانوا - بدون استثناء - من البروتستانت المداومين على زيارة الكنائس.

9 - في عام 1848، ساعد وردركريسون القنصل الأمريكي في القدس على إقامة مستوطنة يهودية في وادي رقيم بدعم من جمعية مسيحية مشتركة في إنكلترا، وتولّى كلود كوثدور مساعد اللورد كيتشز بإجراء مسح شامل عن فلسطين مؤكداً أنه باستطاعة اليهود إعادة إصلاحها، لتسترجع مجدها الغابر.

10 - في عام 1898، كتب القنصل الأمريكي في القدس إدوين شارمن دالس: إن الأرض بالانتظار، والشعب على استعداد للمجيء سيأتي فور أنْ تتأمن الحماية للحياة والممتلكات... يجب أنْ نقبل بذلك، وإلا فإن الرؤى العديدة التي تأكدت بإيجابية يجب أنْ تُعَدَّ عديمة الجدوى.

هذا ما قدمته البروتستنتية للحركة الصهيونية حتى ما قبل الحرب العالمية الأولى، وما قدمه الإنكليز والأمريكان بدءاً من وعد بلفور وحتى الآن لهو أكبر من ذلك.

وهكذا تم ارتداد البروتستنت من المسيحية إلى اليهودية، وهم لا يشعرون.

2 - المسيحية اليهودية أو المسيحية الصهيونية:

لقد ناقشنا في فقرة سابقة في اللوثرية تأثُّرَ المسيحية باليهودية، ويمكن أنْ نرى الأثر اليهودي في صميم العقيدة المسيحية ضمن النقاط التالية:

الأمر الأول: هو أن اليهود شعب الله المختار، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على الأمم كلهم ودون استثناء، ورأينا قول مارتن لوثر في هذا.

الأمر الثاني: هو أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق سرمدي وحتى قيام الساعة.

الأمر الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون، وهذه الأمور تؤلف اليوم قاعدة الصهيونية المسيحية التي تربط الدِّين بالقومية اليهودية والتي تُسَخِّر الاعتقاد الدِّيني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية.

وقد تم التهويد من خلال الحركة البروتستانتية أولاً، وبعد ذلك من خلال الحركة التطهيرية، وقد تنكَّرَ الإصلاح الدِّيني (البروتستانتي) لفكرة أن فلسطين هي إرث المسيح والمسيحيين، ويمكن أنْ نعدد أشهر رجال المسيحية الصهيونية:

1 ـ بعد انفصال الملك هنري الثامن عن روما اقتحمت حركة الإصلاح الدِّيني بريطانيا، وتمركزت فيها، وهناك نشأت أول دعوة لانبعاث اليهود كأمة الله المفضلة في فلسطين على يد عالم اللاهوت البريطاني توماس براتيمان إذ قال في كتابه: إن الله يريد عودة اليهود إلى فلسطين ليعبدوه من هناك، حيث يفضل الله أنْ تتم عبادته على مكان آخر.

2 ـ أوليفر كرومويل أول سياسي بريطاني كان رئيساً للمحفل البيوريتاني في (التطهيريين) دعا إلى عقد مؤتمر سنة 1655، للتشريع لعودة اليهود إلى بريطانيا، أي إلغاء قانون النفي الذي اتخذه الملك إدوارد، حضر إلى جانب كرومويل العالم اليهودي مناسح بن إسرائيل الذي ربط الصهيونية بالمسيحية بالمصالح الاستيراتيجية لبريطانيا، ومن خلال عملية الربط تلك تحمَّس كرومويل لمشروع التوطين اليهودي في فلسطين منذ ذلك الوقت المبكر.

3 ـ العالم الفرنسي فيليب جنتل دي لانجليز (1656 ـ 1717) دعا إلى مقايضة السلطان العثماني مدينة القدس بمدينة روما.

4 ـ ملتون صاحب الفردوس المفقود دعا إلى عودة اليهود إلى أرض الميعاد، وقال: إنني أتركهم لعناية الله وللوقت الذي يختاره من أجل عودتهم.

5 ـ في عام 1841، كتب أحد أنصار الصهيونية المسيحية وهو تشارلز هـ تشرشل رسالة إلى رئيس المجلس اليهودي في لندن يقول فيها: إن استعادة اليهود لوجودهم كشعب في فلسطين أمر ميسور، وهذه الدعوة كانت أول تحريض من الصهيونية المسيحية لقيام الصهيونية اليهودية، وكذلك كانت أول تحريض للعمل على تجمع القوى الأوروبية وراء مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين.

6 ـ د. وليم هشلر قسيس أنكليكاني في ملحق في السفارة البريطانية في فيينا، نَظَّمَ عملية تهجير اليهود الروس إلى فلسطين، وعقد مؤتمراً مسيحياً من أجل الهجرة إلى فلسطين، وهو الذي ساعد هرتزل، ورَتَّبَ له لقاء مع دوق بارن عم القيصر الألماني ولهلم الثاني، وهو اللقاء الذي فتح له أبواب القيصر مرتين في القسطنطينية وفي القدس عام 1898.

7 ـ بلفور ووعده المشؤوم.

هؤلاء أعلام المسيحية الصهيونية في أوروبا، أما في أمريكا فقد بلغ من تأثير الصهيونية المسيحية على الرواد الأوائل في أمريكا حداً اقترح معه الرئيس جيفرسون اتخاذ رمز لأمريكا يمثل أبناء إسرائيل تُظللهم غيمة في النهار وعمود من النور في الليل بدلاً من شعار النسر.

ـ تبنّى القس جوزيف سميث نظرية البعث اليهودي في فلسطين، وارتفعت في العام **1814**، الدعوات الأمريكية الإنجيلية لتوطين اليهود في فلسطين، وبلغ الحد بأحد روّاد الحركة الصهيونية المسيحية الأمريكية القس وردو جريسون أنه هاجر من أمريكا إلى فلسطين، واعتنق اليهودية.

ـ أَسَّسَ بلاكستون منظمة تُدعى البعثة العبرية من أجل إسرائيل ، وقد تحوّلت إلى الزمالة اليسوعية الأمريكية. وهذه المنظمة قلب جهاز اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة.

ـ لم يقتصر نشاط الصهيونية المسيحية الأمريكية على مجرد وعد بلفور، بل تجاوزه إلى:

أ ـ حَثّ اليهودَ على التجاوب مع نداء العودة.

ب ـ حَثّ السلطان العثماني على قبول توطين اليهود في فلسطين.

جـ ـ تكوين المنظمات والهيئات الشعبية والدِّينية لتوفير الدعم المعنوي والمادي من أجل تحقيق النبوءات التوراتية بإعادة اليهود إلى فلسطين.

ـ أرسى الرئيس الأمريكي وودرو ولسون قاعدة الالتزام الأمريكي بالوطن القومي اليهودي من خلال التزامه بوعد بلفور.

ـ الرئيس الأمريكي ترومان كان فظاً للغاية في رسالة وَجَّهَهَا إلى الملك عبد العزيز آل سعود في **28/ 10/ 1948**، والتي عَدَّ فيها أنه من الطبيعي أنْ تُشجِّعَ الإدارة الأمريكية هجرةَ اليهود من أوروبا إلى فلسطين لإقامة الوطن القومي اليهودي.

ولن أتابع في هذا المجال، فالأسماء والجمعيات في أمريكا أكثر من أنْ تُحصى.

تعتقد الصهيونية المسيحية أن ثلاث إشارات يجب أنْ تسبق ظهور المسيح:

1 ـ قيام إسرائيل: وقد قامت **1948**، ويُعَدُّ هذا الحدث عندهم أعظمَ حَدَثٍ في التاريخ.

2 ـ احتلال مدينة القدس: ولقد احتلت إسرائيل القدس في عام 1967، وينظر الإنجيليون من الصهيونية المسيحية على أنها المدينة التي سيمارس المسيح حكم العالم منها، ولهذا، اعترف الأمريكان بتوحيد القدس وجعلها عاصمة الدولة.

3 ـ إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، وقد وُضعت خريطة الهيكل الجديد.

4 ـ ستقع حرب هرمجدون التي يظهر المسيح فوقها مباشرة، وسيرفع إليه بالجسد المؤمنين به ليحكم العالم ألف سنة من القدس، ولتقوم بعدها القيامة.

وفي عام 1976، ناقش الرئيس ريغان معركة هرمجدون في مقابلة مُسجَّلة مع جورج أوتيس الذي سبق له وتنبأ بوصول ريغان إلى الرئاسة الأمريكية.

3 ـ شهود يهوه:

بدأت حركة شهود يهوه في بلدة بروكلين في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك عام 1881، أي إن هذه نشأت قبل الحركة الصهيونية بعدة أعوام تزيد على العشرة، حيث جاءت الصهيونية مستندة في حركتها الجديدة إلى تنبؤات القاضي رزرفورد أحد رسل شهود يهوه، حيث قال في كتاب حياة: إن عودة اليهود إلى فلسطين إنْ هي إلا تحقيق لتنبؤات الكتاب المقدس. إن الله عيَّن تيودور هرتزل اليهودي مؤسساً للصهيونية التي تعمل على إعادة اليهود إلى فلسطين وتركيزهم فيها.

وعُقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا، بلغ عدد أعضائه / 206/ أشخاص، هذا العدد الذي يقابل عدد عظام الجسم في الإنسان إنما هو تحقيق لنبوءة النبي حزقيال الذي رأى عظاماً تتجمع وتتشكل لتكون إنساناً حياً. إن على المسيحي أنْ يهتم بإعادة هؤلاء اليهود إلى أرضهم في فلسطين والتي هي أرض آبائه وأجداده.

وقد انسلخ شهود يهوه عن الديانة المسيحية إلى الديانة اليهودية، وإليك بعض أقوالهم في هذه الناحية:

1 ـ نسبوا إلى السيد المسيح أقوالاً تخالف ما جاء في جميع الشرائع السماوية مثل إن المسيح لم يأت من مريم العذراء، كما هو معروف في الأناجيل والقرآن الكريم، وإنما هو ابن

ليوسف النجار، ناسبين إلى السيدة مريم العذراء ضرباً في طهرها، فضلاً عن خفض منزلة السيد المسيح.

2 ـ إن السيد المسيح ذهب إلى الهند ما بين السنة الثانية عشرة والثلاثين من أجل درس السحر على سحر انهار.

3 ـ حينما يحين لنا الوقت كي نحطم البلاط البابوي تحطيماً تاماً فإن يداً مجهولة ستعطي إشارة الهجوم على الفاتيكان، وحينما يقذف الناس أثناء هيجانهم على الفاتيكان سنظهر نحن كحماة له لوقف المذابح. وبهذا العمل سننفذ إلى أعماق قلب هذا البلاط، وحينئذ لن يكون لقوة على وجه الأرض أنْ تخرجنا منه حتى نكون قد دمَّرنا السلطة البابوية.

4 ـ إن الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ فيه ما يكفي لخلاص المسيحيين تحت ظل يهوه، وهذه الدعوة مخالفة صريحة لما ورد في الكتاب المقدس (الإنجيل) إذ يقول: إن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فيسوع المسيح صارا.

ما مبادئ الشهوديين؟

ينطلق جماعة شهود يهوه من منطلقَين أساسيين في نشر معتقداتهم ومبادئهم:

1 ـ المنطلق الأول: ديني.

2 ـ المنطلق الثاني: سياسي.

ومن العسير الفصل بين المنطلقَين لتشابكهما تشابكاً يكاد يكون من العسير التميز بينهما، ذلك لأنهم يردُّون النتائج كلها التي يصلون إليها، فيربطونها ربطاً تأويلياً ببعض الآيات والتفسيرات الدِّينية التي ورثوها عن رُسُلِهِم ومفكّريهم.

مَنْ هم رسل شهود يهوه؟

1 ـ شارلس رسل، ولد في 16 شباط 1852. تردد كثيراً في اختيار دين جديد له. وكان أول ما عُرف عنه تمرده على القديسين، وإنكاره خلود الروح نقلاً عن طائفة السبتيين الذين أعلنوا عنها، وعملوا بها عندما قاموا بحركتهم 1879، على ذلك، فأكد حدوث مجيء المسيح قبل سنتين في كتابه إنجيل الحصاد، ووضع نفسه بذلك في مصاف الرسل والأنبياء، وقد توصل إلى فكرة أريوس الذي أعلن في المجمع المسكوني في نيقيا 325م، بأن المسيح ليس إلهاً، بل نبياً، ووضع تفسيراً جديداً للكتاب المقدس يقع في سبع مجلدات، ظهر المجلد الأول

عام 1881، ونشر بلغات متعددة. كان في الرابعة والعشرين عندما ابتدأ بمهاجمة الإيمان المسيحي، وأسس صحيفة 1879، دعاها حلقة الحرس، وسمّى نفسه الراعي. زار فلسطين 1910، وحين زار القدس للمرة الثانية استقبله اليهود في نيويورك استقبالاً ضخماً، ذلك لأنه تنبأ ـ وهو في أورشليم ـ بأن اليهود سوف يعودون إلى أرض الميعاد في القريب العاجل، الأمر الذي دفع اليهود في أمريكا لاستقباله والاحتفاء به احتفاءً طيباً. وفي عام 1884، أغرى ستة رجال فتقدموا بطلب إلى المحكمة المختصة في بنسلفانيا للحصول على رخصة تخوّلهم بالتبشير لما أسموه إنجيل ملكوت السموات.

حَدَّد في 1914، نهاية العالم، وأن الحرب العالمية هي حرب هرمجدون، وحَدَّدَ مجيء المسيح في العام نفسه، حيث يصعد القديسون جميعاً المعتقدين بمعتقدات برج المراقبة. أما حياته الخاصة فقد طلقته زوجته من تكرار خياناته لها، وسُجن من أجل الخيانات لمدة سنتين، ولأسباب غير أخلاقية، ولم يؤثر هذا في مريديه.

2 ـ القاضي جوزيف فردريك رذر فورد: وُلد في ميسوري 1899، انتُخب رئيساً للجمعية خلفاً لرسل، وقد ادّعى مريدوه أن انتخابه كان لإرادة إلهية.

أَلَّف ثمانية عشرة كتاباً كل واحد 350 صفحة، كما أَلَّف أكثر من اثنتين وثلاثين نشرة تحوي كل واحدة على أربع وستين صفحة، وخالف آراء رسل في أكثر من 148 تفسيراً.

شُهر رذر فورد بكثرة تنبؤاته وتوقعاته، ومنها اكتشف رذر فورد عمليات جديدة في التنبؤات منها أن الشيطان بقي في السماء إلى أنْ طُرد في عام 1918، وأن يسوع المسيح قد عاد 1918، أي في السنة نفسها حيث أقام القديسيين من الأموات وليس في عام 1878، وقد استحدث رذر فورد تاريخاً جديداً لظاهرات غريبة وتوقعات عظيمة ستبدأ في عام 1952، وذلك لتغطية الإخفاق الذريع الذي مُنيَ به الأتباع بعد وفاة سلفه رسل والذي كان قد تنبأ هذه التوقعات 1878، قال رذر فورد بأنه في عام 1925، في كتابه ملايين ممَّنْ هم أحياء لن يموتوا أبداً، إن إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع القديسيين والآباء سوف يعودون إلى الأرض في السنة المذكورة، واستعداداً لهذا الحدث العظيم اشترى رذر فورد فيلا أنيقة من أموال الجمعية في سنتياغو بمقاطعة كاليفورنيا، وجَهَّزها، وحضَّرها ليسكن داود وإبرهيم وإسحق ويعقوب وسجَّل الفيلا باسمه، وما إن جاء الموعد المحدد حتى تجمهر في المكان المعدّ لاستقبال الآباء

حشد من المريدين كان يربو عددهم على / 150/ ألف نسمة، وسرعان ما أزيلت ملامح التساؤلات هذه كلها التي رسمها مجيء رذر فورد وحده عندما بدأ القاضي رذر فورد يخطب منددأ بالحضور، ناسباً لهم أنهم يفضلون الفراش اللّيّن ويلاطف الآخرين قائلاً: لماذا ترغبون في الذهاب إلى السماء؟ وهكذا استطاع أن يُسكت الناس بجمله التي ألقاها، وقد ظل يتكلّم ماينوف على الثلاث ساعات، واقتنع الناس بعدم الذهاب إلى السماء.

توفي رذر فورد بعد أن خدم المنظمة / 72/ عاماً، وذلك عام **1942**.

3 ـ ناثان هومر كونور: دخل المنظمة في **1923**. وُلد في **1905**، لم يكتب كسابقيه، وإنما اعتمد على الدعاية. وفي سنة **1950**، نشر ترجمته الخاصة للكتاب المقدس، مدعياً في المقدمة أنه لا يمكننا التمييز بين العهدين القديم والجديد على اعتبار أن الوحي صادر عن ينبوع واحد. وعُني كونور بالسياحة، فزار عواصم أوروبا الغربية، وألقى موعظة طويلة على ثمانية آلاف مستمع، هاجم فيها الكاثوليكية هجوماً عنيفاً في الاجتماع السنوي، وزاد عدد الحضور إلى / **16**/ ألفاً منهم / **12**/ ألفاً فرنسياً، كما زار ألمانيا، وأقيم له في روما احتفال واستقبال حافل.

4 ـ وليم شنايل: وُلد في نيويورك **1905**. ساير نشأة الحركة منذ بدئها على وجه التقريب. يرجع إلى أصل ألماني. وكان قال عن نفسه إنه أحد الذين سقطوا في شراك وحبائل جمعية برج المراقبة. وقد استُخدم في فرع ألمانيا.

انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام **1927**، ووُظّف كشاهد. وترقى / **1933**/ ، وكان أصبح رئيساً للخدم على ما يقارب من / **84**/ مجموعة. وفي عام **1954**، طرح العبء الثقيل الذي أضنى كاهله، ولم يعد يتحمله ضميره، لقد شعر بوخز الضمير حتى أدى به إلى الكفر بهذه المنظمة وبمبادئها وآرائها.

بعد موت رذر فورد **1942**، تولّى قيادة الجمعية مجموعة ممَّنْ ادّعوا علم الغيب فاستبدلوا كتب رذر فورد بإنجيل آخر دعوه إنجيل برج المراقبة، وغيَّروا اسم الجمعية فأطلقوا عليها اسم جمعية التوراة ومطبوعات برج المراقبة برج صهيون.

وهكذا، فإن أناجيلهم ـ كما هو واضح ـ تتغير بتغير الرجال الذين يتزعمون رئاسة الجمعية.

ما أهدافهم؟

1 ـ هدم الأديان كلها ما عدا اليهودية .

2 ـ خدمة الصهيونية وإسكان اليهود في فلسطين .

أهم مؤلفاتهم:

ـ برج المراقبة مجلة .

ـ ليكن الله صادقاً، رذر فورد، وهو مركز ثقل عقيدة هؤلاء الشهود، وفيه يُنكرون على نفس الإنسان الخلود والروحانية، وليس هناك ما يميز بين روح الإنسان وروح الحيوان .

وكتب رذر فورد كثيرة ويكفي ما أوردناه .

وخلاصة القول: إن الأديان جميعها في نظرهم من صنع الشيطان تخالف شريعة يهوه، ولهذا، فإنه لابُدَّ من أنْ ينهي جميع هذه القوى الشريرة، ويحسر مدها في معركة هرمجدون .

وبهذا، نراها ـ وإنْ كان أفرادها من المسيحيين ـ ولكنهم سلخوا جلودهم، وأبدلوها بجلود يهودية .

الباب الرابع

الفِرَقُ اليهودية الحديثة

الفصل الأول :

الفِرَقُ اليهودية في الغرب

1 ـ بناي بريت .

2 ـ التنوير والاندماج اليهودي (الهاسكلاه).

3 ـ الأليانس.

4 ـ الصهيونية.

5 . أحباء صهيون .

الفصل الثاني:

ارتداد إسلامي إلى اليهودية

1 ـ البابية.

2 ـ البهائية.

الفصل الأول:

الفِرَقُ اليهودية في الغرب

1 ـ بناي بريت.

2 ـ التنوير والاندماج اليهودي (الهاسكلاه).

3 ـ الأليانس.

4 ـ الصهيونية.

5 ـ أحباء صهيون.

1 ـ بناي بريت :

منظمة صهيونية أُسست 1843، في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، وأول رئيس لها هو إسحق ديتنهوفر، ومُنشئها الفعلي الصهيوني هنري جويس، ويعني اسمها أبناء العهد.

أما أهدافها: فهي توحيد اليهود قلباً وقالباً، ونشر التراث والتقاليد اليهودية وسط الدِّين اليهودي، وتقديم العون والمساعدة لهم في شتى أنحاء العالم، والدفاع عن حقوقهم وإعلاء كلمتهم ومحاربة اللاسامية.

وتُعَدُّ هذه المنظمة أكبر وأقدم منظمة خدمات صهيونية، ولها فروع كثيرة في خمس وأربعين دولة.

بعد صدور وعد بلفور 1917، قدمت بناي بريت خدمات كبيرة للحركة الصهيونية، فأسهمت في المؤتمر الفلسطيني (اليهودي) في واشنطن في عام 1935، وأثَّرت على السياسة الأمريكية لصالح الصهيونية، وخاصة في عهد الرئيس ترومان، كما قدَّمت الدعم المادي لكيرين كيميث لتمكينها من شراء الأراضي وإقامتها المستعمرات في فلسطين.

وبعد قيام إسرائيل وضعت بناي بريت نفسها في خدمة السياسة الإسرائيلية، ونقلت حملات لجمع التبرعات المالية ودعمها.

تتخذ بناي بريت واشنطن مقراً لها، وأعلى سلطة فيها المكتب الأعلى تنفرع منه ثلاث مؤسسات هي:

1 - رابطة الدفاع اليهودية لمكافحة العنصرية واللاسامية.

2 - مؤسسة هيلل لمساعدة الطلبة ومنظمات الشبيبة والمراكز الثقافية الدِّينية اليهودية.

3 - مؤسسة العمل والتوجيه المهني لتوفير العمل لليهود.

2 - التنوير والاندماج اليهودي (الهاسكلاه).

تُسمّى هذه الحركة بالعبرية هسكلاه، وهي حركة ظهرت بين يهودا وربه في منتصف القرن الثامن عشر حتى **1880**.

دعت هذه الحركة إلى اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها في سبيل الحصول على حقوقهم المدنية والكاملة، وطالبت بأنْ يكون ولاء اليهود الأول والأخير للميلاد والمجتمعات التي يعيشون فيها، وكان السبيل إلى تحقيق ذلك - حسب رأي دعاة الحركة - هو اكتساب مقومات الحضارة الغربية العلمانية، وفصل الدِّين اليهودي عما يُسمّى القومية اليهودية.

كانت بداية حركة التنوير اليهودي في ألمانية أثناء حركة فريدريك الثاني / **1740 - 1776**/ ، عندما نشأت طبقة رأسمالية تجارية بين اليهودية، ومنها انتشرت إلى غاليسيا (منطقة وسط أوروبا كانت تتبع بولندا، ثم ضُمت إلى النمسا) وإلى النمسا وروسيا وبولندا.

وعلى الرغم من هذا الانتشار بقيت حركة التنوير حركة ثقافية ألمانية، ويعود سبب انتشار الحركة إلى تأثير الثقافات الألمانية والفرنسية والانكليزية، وما حملته من إيمان بالحرية والتقدم.

يُعَدُّ موسى مندلسون / **1729 - 1786**/ الممثل الرئيسي لحركة التنوير اليهودي على الرغم من أن نشأة الحركة في الأصل كانت مستقلة عن اتجاهات مندلسون، وقد درس قادة الحركة ودعاتها أعمال المفكِّرين الكبار ومؤلفاتهم أمثال جان جاك روسو ولوك وشلنغ.

تركَّز اهتمام الحركة على تعليم اليهود تعليماً علمانياً، وكانت هذه القضية أساسية بالنسبة إلى دعاة الحركة بسبب الطبيعة الرجعية والمتخلفة للجماعات اليهودية، وطالبت الحركة اليهود بأنْ يرسلوا أبناءهم إلى مدارس الأغيار حتى يتقنوا جميع الفنون العلمانية كالهندسة والزراعة.

ودافعت الحركة عن تعليم المرأة، وشجعت ممارسة الأعمال اليدوية، وكان من نتائج ذلك ظهور المدارس اليهودية العلمانية للمرة الأولى في تاريخ الأقليات اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر كالمدرسة الحرة في برلين **1778**، والمدرسة الخيرية في فرانكفورت **1804**. وافتتحت أول مدرسة لتعليم المرأة اليهودية في روسيا **1836**، وتأسس أول معابد الإصلاح في هامبورغ **1818**.

نادى دعاة الحركة بالاندماج اللغوي والقضاء على اللغة اليديشمية، ودعوا إلى تعلم اللغة الوطنية سواء كانت الروسية أو الألمانية أو الفرنسية. أما إحياء اللغة العبرية فيتم بِعَدِّها لغة التراث الأصيل اليهودي.

كان دعاة الحركة يؤمنون بالعقل وتقبل الواقع التاريخي، ومن هذا المنطلق هاجموا التراث الدِّيني المغرق في الغيبية والتخلف واللاتاريخية كفكرة المسيح (الملك من نسل داود) الذي سيأتي لجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون ويحطم أعداء إسرائيل وأسطورة العودة. كذلك حوَّلوا فكرة جبل صهيون إلى مفهوم روحي على غرار المدينة الفاضلة التي لا وجود لها، وهاجمت حركة التنوير الكتب والحركات الصوفية التي أنتجها التراث اليهودي كالحسيدية، وأحيت كتب المفكِّر اليهودي موسى بن ميمون الذي طالب - منذ العصور الوسطى - بإدخال التعليم العلماني في الدراسات الدِّينية اليهودية.

قام مندلسون بتأسيس مجلة بالعبرية هي همياسيف / **1774 - 1811**/ ، وقد دعت للإخاء البشري ومحاربة التعصب الدِّيني، ولما تبيَّن أن استخدام اللغة الألمانية يفتح آفاقاً أوسع بكثير من العبرية تحوَّلت المجلة إلى الألمانية باسم سلاميت / **1806 - 1848**/ ، وقد استبدلت هذه المجلة ما يُسمّى الأمة اليهودية بلفظة الإسرائيليين.

3 - الأليانس :

الأليانس كلمة فرنسية تعني التحالف، والاسم الكامل لجمعية الأليانس هو التحالف الإسرائيلي العالمي، وبالعبرية كل يسرائيل حفيريم أي جميع اليهود أخوة.

تأسست هذه الجمعية في باريز سنة 1860، بمبادرة بعض اليهود في فرنسا، وكان فيهم أدولف كريميو عضو مجلس النوّاب والوزير في الحكومة الفرنسية آنذاك.

سعت الأليانس لتكون اتحاداً عالمياً لليهود يهدف تقديم المساعدة السياسية والثقافية لليهود أينما كانوا، وتنمية المجتمعات اليهودية المختلفة عن طرق التعليم والتدريب المهني من خلال الفكرة الداعية إلى وحدة في أنحاء العالم كله.

ونشطت الأليانس في الدفاع عن حقوق اليهود السياسية في مختلف الدول الأوروبية وآسيا وإفريقيا.

كان أدولف كريميو أول رئيس لها، وظل كذلك حتى وفاته 1880. في سنة 1871، انفصل عن الأليانس فرعها في إنكلترا، وأسَّس الجمعية الإنكليزية اليهودية.

أبدت الأليانس في سنواتها الأولى تحفظاً من حركة أحباء صهيون والصهيونية، وسعت إلى نشر اللغة والثقافة الفرنسيتين، واتجهت إلى النشاط الثقافي، واهتمت به، وأوفدت إلى فلسطين 1868، كارل بيتر عضو لجنتها المركزية لدراسة أوضاع اليهود، وبعد التقرير الذي قدمه بيتر تقرر إقامة مدرسة زراعية في فلسطين لتعليم أبناء اليهود أصول الزراعة الحديثة.

وفي سنة 1870، أُقيمت مدرسة مكفية يسرائيل الزراعية على أرض مساحتها 2600 دونم تابعة لقرية يازور العربية بعد أنْ تمكنت من استئجارها من السلطة العثمانية، فكانت أول مدرسة زراعية من نوعها عند اليهود، وقد بلغ عدد تلاميذ المدارس التابعة للأليانس في سنة 1967، نحو 25000/ تلميذ منهم 5227 تلميذاً في إسرائيل.

4 ـ الصهيونية:

كلمة أخذها المفكر الصهيوني ناتان برنباوم من كلمة صهيون المكان الذي أقام عليه داود برجه ـ على حسب ادعاء التوراة ـ لتدل على الحركة الهادفة إلى تجميع الشعب اليهودي في أرض فلسطين، ويعتقد اليهود أن المسيح المخلص سيأتي في آخر الأيام ليعود بشعبه إلى أرض الميعاد، ويحكم العالم من جبل صهيون.

وقد حوَّل الصهيونيون هذا المعتقد الدِّيني إلى برنامج سياسي، كما حوَّلوا الشعارات والرموز الدِّينية إلى شعارات ورموز دنيوية سياسية، ورغم تنوع المدارس الصهيونية ظلت

المقولة الأساسية هي مقولة الشعب اليهودي؛ أي الإيمان بأن الأقليات اليهودية في العالم لا تُشكّل أقليات دينية ذات انتماءات عرقية وقومية مختلفة إنما تُشكِّل أمة متكاملة توجد في الشتات أو المنفى بعيدة عن وطنها الحقيقي أرض الميعاد أو صهيون؛ أي فلسطين.

ويعتقد الصهيونيون أنه لمّا كان الشعب اليهودي لا يوجدفي وطنه وهو مشتت في الخارج فإنه يعاني من صنوف التفرقة العنصرية ويمارس إحساساً عميقاً بالاغتراب عن الذات اليهودية الحقيقية، وبالتالي، لا يمكن حل المسألة اليهودية ببعديها الاجتماعي والنفسي إلا عن طريق الاستيطان في فلسطين.

ويرى الصهيونيون أن جذور الحركة الصهيونية تعود إلى الدِّين اليهودي ذاته، وأن التاريخ اليهودي بعد تحطيم الهيكل على يد الرومان هو تاريخ شعب مختار منفي مرتبط بأرضه ينتظر دائماً لحظة الخلاص والنجاة، لكنَّ الدارسين للدِّين اليهودي يعلمون أن الارتباط اليهودي بالعودة إلى الأرض المقدسة هو ارتباط توراتي مشهور. إذ أنَّ الدِّين اليهودي يُحرِّم العودة إلى أرض الميعاد، ويعدّ أن مثل هذه المحاولة هي من قبيل التحريف والهرطقة لأن عودة اليهود حسب المعتقد الدِّيني لا يمكنها أنْ تتم إلا على يد مبعوث من لدن الخالق هو المسيح المخلص، وليسس على يد حركة سياسية مثل المنظمة الصهيونية العالمية، ولهذا، حينما ظهرت الحركة الصهيونية عارضتها المنظمات اليهودية في العالم. وقد يكون من الأدق البحث عن الجذور التاريخية الحقيقية للحركة الصهيونية في شرق أوروبا وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر على وجه التحديد، فمجتمعات هذه الجزء من العالم كانت تمرُّ بتحول سريع من الإقطاع إلى الرأسمالية صَاحَبَهَا انفجار سكاني نتج عنه أعداد كبيرة من اليهود لم يكن من الممكن استيعابها بسرعة في الاقتصاد الرأسمالي الصناعي الجديد، الأمر الذي سبب خلق المشكلة المعروفة باسم المسألة اليهودية.

وقد طُرحت حلول عديدة لهذه المسألة منها الحل الاشتراكي الثوري الذي يرى أن الثورة الاجتماعية ستحلُّ مشكلات الكادحين والأقليات، ومنها أيضاً الحل الاشتراكي القومي الذي يطالب باستقلال ثقافي حضاري لليهود كأقلية قومية متميزة داخل إطار الدولة الإشتراكية، ثم كان هناك أيضاً الحل الصهيوني الذي لا يرى أي حل لمشكلة اليهود إلا عن طريق توطينهم في فلسطين.

وظهرت - إبان هذه الفترة - إرهاصات صهيونية عدة إلى أنْ بدأ هرتزل يُنظِّم الجمعيات الصهيونية المختلفة في العالم داخل إطار واحد.

دعا هرتزل إلى عقد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897، في مدينة بال في سويسرا، وقد اكتشف هرتزل منذ بداية نشاطه حقيقة بديهية وهي أنه لابُدَّ لتنفيذ الرؤية الصهيونية من الاعتماد على دولة إمبريالية كبيرة تقوم بتوفير الأرض للمستوطنين الصهيونيين، وبحمايتهم ضدَّ السكان الأصليين، وبالدفاع عنهم في المحافل الدولية. لذا؛ توجَّهَ هرتزل إلى جميع الدول الكبرى ذات المصالح الإمبريالية في الشرق الأوسط ابتداءً بالإمبراطورية العثمانية ومروراً بفرنسا وألمانيا وانتهاء بإنكلترا، وقد تُوِّجَتْ هذه الجهود بالحصول على وعد بلفور عام 1917.

وقد حدثت انقسامات عدة في صفوف الحركة الصهيونية، فثمة اتجاه صهيوني روحي (ديني ثقافي) يؤكد ضرورة أنْ يكون البعث الصهيوني بعثاً دينياً وثقافياً في الدرجة الأولى وبعثاً سياسياً في الدرجة الثانية، وثمة اتجاه سياسي آخر يرى أن المسألة اليهودية هي أساساً مسألة فائض سكاني يهودي يجب توطينه في فلسطين في إطار دولة ذات طابع ليبرالي، أما الاتجاه العمالي فكان يرى أن المسألة هي في الأساس مسألة عُمَّال يهود وأن حل المشكلة لا يتأتى إلا بتأسيس دولة صهيونية تتبع النموذج الاشتراكي، ولكنَّ جميع المدارس الصهيونية تتفق على ضرورة إسقاط حق الفلسطينيين.

ويمكن تخطي هذه التقسيمات التقليدية، فتقسم المدارس الصهيونية كلها إلى فرقتين أساسيتين: صهيونية استيطانية، وصهيونية تدعيمية.

أما الصهيونية الاستيطانية فهي تهدف إلى تجمع اليهود وتوطينهم في فلسطين. وأما الصهيونية التدعيمية فهي التي تهدف إلى تجنيد يهود العالم في أوطانهم المختلفة لتحويلهم إلى جماعات ضغط تعمل من أجل الاستيطان والمستوطنين، وهي تهدف أيضاً إلى جمع العون المالي من يهود الشتات. ولكل فريق صهيوني مؤسساته التي تحاول تحقيق أغراضه، فالصهيونية الاستيطانية كانت تُعَبِّرُ عن نفسها في مؤسسات مثل الهستدروت والمنظمات الحزبية الاستيطانية وحركة الكيبوتز والجماعات العسكرية المختلفة مثل الهاغاناه وغيرها.

أما الصهيونية التدعيمية فكانت تقوم أساساً بتكوين جمعيات مختلفة مثل الجباية اليهودية الموحَّدة التي ترمي إلى جمع الأموال للمستوطنين، ولكنَّ الفريقين كليهما يضمهما إطار تنظيمي واحد هو المنظمة الصهيونية العالمية / الوكالة اليهودية/ ولعل هذه التسمية المزدوجة تشير إلى طبيعة الصهيونية المزدوجة، فالقسم الأول من التسمية تشير إلى الصهيونية التدعيمية، في حين يشير الجزء الثاني إلى الصهيونية الاستيطانية، وتنتهي المدارس الصهيونية كلها - بغض النظر عن ارتباطاتها الإيديولوجية - إلى المنظمة الصهيونية العالمية وتأخذ منها العون المالي مما يدل على أن الخلافات شكلية ولا تنصب على الجوهر في أي حال.

والصهيونية حركة عنصرية في موقفها من العرب ومن يهود الشتات على حدّ سواء. فهي تنكر على يهود الشتات حقهم في الانتماء إلى الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيهم، كما أنها تفترض دائماً أنهم ينتمون بحاله من الشذوذ المرضي، وتنكر على العرب حقهم في تقرير المصير على أرض وطنهم فلسطين.

ولهذا، نجد أن ثمة معارضة عربية وأخرى يهودية للصهيونية، أما المعارضة العربية فهي تتضح أكثر ما تتضح في الرفض العربي للكيان الصهيوني وفي المقاومة الفلسطينية المسلحة، أما المعارضة اليهودية للصهيونية فهي تتركز بين اليهود الاندماجيين الذين لا يتركون أوطانهم الحقيقية والانتماء إلى وطن وهمي كبعض الاشتراكيين من اليهود الذين يعدّون الصهيونية حركة إمبريالية، تستخدم اليهود من أجل مصالحهم الإمبريالية، كما أن فريقاً من اليهود الأرثوذكس يعارضون الصهيونية باعتبارها نوعاً من أنواع الكفر والإلحاد.

5 - أحباء صهيون :

ترجمة للاسم العبري حفيفي تسيون، وهو اسم يُطلق على جمعيات صهيونية نشأت في روسيا سنة 1881، بعد صدور قوانين أيار التي فرضت قيوداً على الأقلية اليهودية هناك بين عامي 1881 - 1883، وعلى حركة المهاجرين اليهود من روسيا وبولونيا ورومانيا إلى فلسطين (الهجرة الأولى 1881 - 1904). وكان هدف حركة أحباء صهيون محاربة اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها والعودة إلى صهيون، وقد اتخذت شعاراً لها إلى فلسطين، ودعت إلى الاستعداد للهجرة لشراء الأراضي فيها أو مساعدة الاستيطان اليهودي هناك، وكانت حركة أحباء صهيون صلة الوصل بين ما أُطلق عليه طلائع الصهيونية في منتصف القرن

التاسع عشر وبداية الصهيونية السياسية مع ظهور تيودور هرتزل وانعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في سنة 1897.

وقد سبق هذه الحركة أفكار ومشاريع مختلفة من جانب أشخاص فرادى، مثل الحاخام زيفي هيشر كليشر ويهودا القلعي وموشيه هيس والأدباء دافيد غوردون وبيرتس سمولينسكين واليعزر بن يهودا وآخرين.

كما قامت في تلك الفترة أيضاً جمعيات يهودية تعمل من أجل الاستيطان في فلسطين أطلقت عليها في البداية أسماء مختلفة، وكان القاسم المشترك بينها فكرة أنه لا خلاص لليهود في أماكن وجودهم، والحل هو العودة إلى صهيون.

وقد انتشرت حركة أحباء صهيون بين اليهود في روسيا ورومانيا وغربي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وإنْ كان بعض أعضائها قد راودتهم المخاوف من الشك في وطنيتهم، ومن ازدواج الولاء، وكان يغلب على الحركة في دول أوروبا الوسطى والغربية طابع ثقافي نظري غير أنها ساهمت بدور كبير في مكافحة الاندماج، ووضعت الأساس للحركة الصهيونية السياسية، وظهور هرتزل على منبر الصهيونية.

1 ـ وضع يهودا ليون بينسكر (1821 ـ 1891) الأساس الفكري لحركة أحباء صهيون في كراسة التحرير الذاتي نشرت بالألمانية أولاً في عام 1882، ثم تُرجمت إلى اللغتين العبرية والروسية، وقد عُقد أول مؤتمر لحركة حركة أحباء صهيون بمبادرة بينسكر في روسيا وأوروبا، وتم فيه تشكيل لجنة مركزية مؤلفة من / 19/ عضواً للإشراف على نشاط أحباء صهيون وتوحيد قواهم ونشاطهم خارج فلسطين وداخلها، وتم انتخاب الدكتور بينسكر رئيساً للجنة المركزية، وشكّلت لجنة فرعية تابعة لها في وارسو، وكان أهم ما تمخّض عنه هذا المؤتمر البحث عن السبل الكفيلة بتقوية المستعمرات الصهيونية في فلسطين، وتوفير الدعم المالي لها، وتوحيد صفوف الحركة، وإقامة علاقات مع السلطات التركية، ومن أجل تحقيق هذا الغرض قرر المؤتمر تشكيل جمعية مونتفيوري بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد موشيه مونتفيوري مهمتها تشجيع الزراعة بين اليهود، وتشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين، ومن القرارات التي اتخذها المؤتمر إرسال وفد إلى فلسطين لدراسة أوضاع المستعمرات، وبحث سبل دعمها، وبذل المساعي لدى الحكومة التركية لإلغاء القيود التي فرضها على دخول المهاجرين اليهود إلى

فلسطين. عملت اللجنة المركزية لحركة أحباء صهيون على توحيد الصفوف، فارتفع عدد الجمعيات التي انضمّت إلى الحركة خلال الأشهر الأولى من سنة 1885، إلى / 55/ جمعية منها / 51/ جمعية في روسيا قُدِّر أعضاؤها بنحو 8500 عضو و 4 جمعيات في الخارج، ووصل عدد أعضاء الجمعيات كلها إلى ما يقارب / 14/ ألف. غير أن الخلافات سرعان ما نشبت داخل الحركة بين المتديِّنين والعلمانيين، مما أدى إلى إخفاقها وازدياد تأثير روتشيلد ونفوذه على النشاط الاستيطاني في فلسطين.

عُقد المؤتمر الثاني لحركة أحباء صهيون في دور سكينبك في حزيران 1887، بحضور مندوبين عن 30 جمعية من جمعيات الحركة في روسيا فقط، ونشبت فيه خلافات بين الشبان العلمانيين (مناحيم أوسيشكين، ديزنمبوف وآخرين) والمتديِّنين الذين كان على رأسهم الحاخام شموئيل موهيليفر / 1824 ـ 1898/ أحد زعماء الحركة في روسيا ومؤسس الصهيونية الدِّينية، ونجح المتديِّنون في انتخاب ثلاثة حاخامين، من بينهم موهيليفر أعضاء في اللجنة المركزية. وقرر المؤتمر عدم إقامة مستعمرات جديدة في فسطين ما لم تنته عملية تأسيس المستعمرات القائمة هناك، وأوصى بإقامة مكتب في فلسطين لشراء الأراضي وتقديم الخدمات للمهاجرين والمستوطنين، ضعفت الحركة بعد ذلك مما استدعى عقد المؤتمر الثالث لها في فيينا في آب 1889، وقد تمت الغلبة فيه لأوساط المتديِّنين، وانتخبت قيادة جديدة للحركة كان الحاخام موهيليفير من أبرز أعضائها، وجرى توسيع تمثيل المتديِّنين ونفوذهم في داخل الحركة مما حدا ببعض الزعماء العلمانيين إلى البحث عن تعبير ثقافي وروحي آخر لصهيونتهم، وبرز على هذا الصعيد اشرتسفي جينز بورج / 1856 ـ 1927/ المعروف باسم آحاد هاعام الذي نشر أولى مقالاته تحت عنوان ليست هذه هي الطريق، وانتقد فيها نظرة زعماء أحباء صهيون إلى أوضاع المستعمرات اليهودية في فلسطين، ووصفها بأنها غير واقعية، ودعا إلى تقوية الاهتمام بما أسماه نجاح الأمة بأسرها في بلاد أجدادها، دون الإتمام بسعادة الفرد، ونادى بضرورة إصلاح اليهود في المهجر كشرط مسبق لإنقاذهم، وقد أثارت آراؤه تلك جدالاً شديداً بين زعماء حركة أحباء صهيون ومفكّريها لمعارضتها لنظريات الحركة، ولكن آحاد هاعام اتجه إلى العمل، وتم تأسيس جمعية بني موشييه (أبناء موسى) في آذار 1889، لتقوية الروح القومية بين اليهود، وتولى هاعام رئاستها، فشدَّد على أولوية العمل الثقافي بين اليهود في العالم، غير أن هذه الجمعية لم تنجح فيما كان تصبو إليه، وجرى حلُّها في سنة 1897، وكان الخلاف في هذه

المرحلة يدور حول الأولويات، إذ كان دعاة الاتجاه العملي يؤيّدون النشاط الاستيطاني المباشر، في حين كان الثقافيون يرون ضرورة النشاط الثقافي كمقدمة للاستيطان وليس كمرحلة لاحقة، وقد أسَّس أحباء صهيون جمعيات لإحياء اللغة العبرية ونشرها، وأصدروا دوريات أدبية كما أن جمعية بني موشييه أسست في سنة **1893**، دار إحيا آساف للنشر في وارسو، وقد نشرت أعمالاً أدبية، وأصدرت مجلة عبرية باسم هاشيلواح بين سنوات **1896** - **1914**، ثم انتقلت فيما بعد إلى فلسطين، حصلت حركة أحباء صهيون في أواخر شباط **1890**، على ترخيص من الحكومة الروسية لمارسة نشاطها بصورة رسمية، وأسَّست في السنة ذاتها جمعية عُرفت باسم جمعية دعم اليهود الفلاحين والحرفيين في روسية وفلسطين.

وهكذا أضفت الحركة طابعاً رسمياً على نشاطها في أنحاء روسيا، وأُطلق على لجنتها المركزية اسم اللجنة الأوديسية نسبة إلى مدينة أويسة حيث المقر الرئيسي لأحباء صهيون.

انعقد المؤتمر الرابع للحركة، بعد وقت قصير من الاعتراف بها في روسية، فانتُخبت فيه لجنة تنفيذية جديدة، وأُعيد انتخاب بينسكر رئيساً للحركة، وقد امتنع الحاخامون عن حضور هذا المؤتمر بسبب غضبهم من المستوطنين في فلسطين الذين لم يلتزموا جميعاً بتعاليم الشريعة اليهودية، ولم يمتنعوا عن فلاحة أراضيهم خلال الموسم الزراعي لسنة **5649** عبرية/ **1889** - **1890**/ التي كانت سنة تبوير (وسنة التبوير تحل مرة كل سبع سنوات) وينبغي على اليهودي الملتزم بتعاليم الدِّين الامتناع خلالها عن فلاحة أراضيه أو استغلال ثمارها، إلا بناءً على فتوى يظهرها حاخامون معتمدون، وفي ظروف قاهرة.

قامت اللجنة التنفيذية الجديدة لأحباء صهيون بنشاط تنظيمي واسع، وجمعت مبالغ كثيرة، وقدمت المساعدات المالية للمهاجرين إلى فلسطين، وساهمت في شراء الأراضي، وتقرر إنشاء لجنة تنفيذية في يافا للإشراف على عمليات شراء الأراضي والهجرة والاستيطان.

وأوفدت الحركة في أواخر سنة **1890**، زئيف طيومكين للقيام بهذا العمل، ونشط طيومكين بشكل خاص في مجال تنسيق عمليات شراء الأراضي، واستطاع حصر هذا النشاط باللجنة التنفيذية لأحباء صهيون وحدها، إلا أن روتشيلد عارض هذا الاتجاه، ورفض زعماء المستوطنين في فلسطين التعاون مع طيوميكين مما اضطُره إلى ترك فلسطين.

ومع ظهور هرتزل وإقامة المنظمة الصهيونية العالمية انضمت معظم جمعيات أحباء صهيون ومعظم نشيطيها إلى الحركة الصهيونية، وواصل أحباء صهيون نشاطهم العملي في إقامة المستعمرات في فلسطين وتقديم المساعدات للمدارس العبرية وغير ذلك. وفي سنة **1900**، سافر وفد خاص من أحباء صهيون برئاسة آحاد هاعام إلى فلسطين لبحث وضع المستعمرات هناك، كما اقترح وفد على البارون روتشيلد إلغاء وصاية الموظفين على اليشيوف اليهودي في فلسطين وإدخال تغييرات في دائرة شؤون المستعمرات، وبلغ مجموع ما صرفته جمعيات أحباء صهيون على إقامة المستعمرات الصهيونية حتى سنة **1903**، نحو **87** ألف جنيه.

الفصل الثاني

ارتداد إسلامي إلى اليهودية

1 ـ البابية .

2 ـ البهائية .

1 ـ البابية :

ظهر في ديار فارس 1843، رجل من أبنائها استحوذ عليه الشيطان يُعرف بالميرزا علي محمد لَقَّبَ نفسه الباب، وادَّعى أنه المهدي المنتظر، وأن الله تعالى نبَّأه، وأنزل عليه كتاباً يُسمّى بالبيان، وبعثه للأحمر والأسود من بني الإنسان، ونسخ بدينه ما بين يديه من التوراة والإنجيل والفرقان، فالتفَّ حوله جماعة هانوا على الله، قلوبهم غلف، وفي آذانهم وقر، صدَّقوا بهتانه، وأيَّدوا هذيانه، وآمنوا بكذبه، وانتسبوا إلى لقبه[1].

ثم استفحل أمره، وطار في أرجاء فارس ذكره، فدخلوا أفواجاً أفواجاً في دينه المكذوب، منهم مَنْ دفعه الجهل إلى هذا البهتان، ورأى الناس من شرورهم ما لا رأته عين، ثم ثاروا على الحكومة بعد أنْ سجنت الحكومةُ الفارسيةُ البابَ، وعُذِّبَ في سجنه عذاباً مهيناً، فرأت الحكومة أنْ تطفئ بدمه هذه النار، وتتقرب بهلاكه إلى الله تعالى، فجاءت به من السجن إلى تبريز بفتوى من العلماء هو وزعيم من زعماء تابعيه.

وبعد مضي سنة من مقتل الباب حاول اثنان من أتباعه قتل الشاه ناصر الدِّين، فرمياه بالرصاص، لكنهما لم يصيباه، فبطش بهما الحرس بطشاً شديداً مما أدّى بالشاه أنْ يحاول

---

(1) محمد الفاضل: الحراب في صدر البهاء والباب، ص: 8.

تصفيتهم، وكان الباب قد أشار في بعض رسائله إلى أن الذي يخلفه بعد موته شاب من أتباعه يسمى المرزا يحيى ولقبه صح أزل.

فرَّ يحيى هذا وكثير من أتباعه إلى بغداد وهي تابعة للدولة العثمانية، ثم اختفى صبح أزل عن أعين الناس بأمر من أخيه البهاء.

ولما وُقِّع الاتفاق بين الدولة العباسية ودولة الشاه على إخراجهم من بغداد نقلتهم الدولة إلى القسطنطينية تحت المراقبة الشديدة، ولم يَرُقْ ذلك في أعين الفرس، وطلبوا من الباب العالي في إبعادهم من العاصمة، فنقلهم السلطان إلى أدرنة، وهناك استطاع يحيى أزل أنْ يتحرك مما أغضب أخاه البهاء، ووقع الشقاق بين الأخوين، وادّعى كل منهما أن الآخر كذّاب ودجال، ولم يكتفيا بذلك، بل ادّعى كل منهما أنه نبي مرسل أُوحي إليه بشرع ناسخ للقرآن مما اضطُرت الدولة أنْ تفرق بينهما، فَنَفَتْ صبح أزل وحزبه إلى قبرص، وسجنتهم في قلعة ما غوسا، وجعلت عليهم رقباء من جماعة البهاء يرصدون حركاته، وينقلونها إلى الدولتين. ونفت البهاء وحزبه إلى عكا، وثبتت عليهم من حرب الأزل عيوناً يرقبونهم كذلك، ولكنَّ البهاء تخلص من جماعة الأزل فقتلهم عن نهايتهم، وخلا له الجو، وقالت الموسوعة الفلسطينية: البابية مذهب ديني صاحبه الميرزا محمد علي رضا الشيرازي ادَّعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر المستور، فَسُمِّي بذلك.

أودع الباب تعاليمه الدِّينية كتاب البيان، وزعم أنه أنزل عليه، وظل يدعو الناس إلى مذهبه سراً وعلانية، وأثارت دعوته ضجة حتى أصدر العلماء فتوى بارتداده عن الإسلام ويقتله، وقد سُجن، ثم أُعدم (1850)، ولاحقت السلطات الإيرانية أتباعه، وقد نقل البابيون بقايا الباب خلسة إلى حيفا، وله فيها ضريح، وأصبح مزاراً لهم. يذكر بعض الباحثين أن للباب علاقة بالأجانب، وأن البابية حركة أوجدها واحتضنها الاستعمار، وأن هناك علاقات مع اليهودية العالمية التي عُرفت بدعمها للبابية، ورعايتها لها وللبهائية في فلسطين، وقد اعتنق أعداد من اليهود تحت ستار ما نادت به البابية من وحدة الأديان والإنسانية[1].

وعن البابية ظهرت البهائية التي سنتكلم عنها الآن.

---

(1) الموسوعة الفلسطينية، ج 1، ص343.

2 ـ البهائية :

فرقة من البابية رئيسها عباس أفندي بن ميرزا حسين علـي الملقـب بالبـهاء بـهاء اللـه دفـين عكا . وهم آخر طوائف الباطنية ، يعبدون البهاء عبـادة حقيقيـة ، ويدينـون بألوهيتـه وربوبيتـه ، ولهم شريعة خاصة بهم ، وكان عباس أفندي محجوراً عليه فـي عكـا ، فلمّـا صـارت الحكومـة العثمانية دستورية تسنّى له أنْ يخرج من عكا ، وهو زعيم دين جديـد فـي بعـض تعاليمـه . وإنْ كان مبنياً على أصـول باطنيـة ، ويُدعَـون أصحـابَ الأديـان الأخـرى كلـهم ، يُدعَـون المسلمين لأنهم يزعمون أنهم منهم ، ويُدعَون بالنصارى بتسـليم ألوهيـة المسـيح وادعـاء أنـه هـو البـهاء ، وقـد جعـل قدمـاؤهم للدعـوة أصـولاً وأسـاليب حكيمـة بيَّنـها المقريـزي وغيره مـن المؤرخــين كالتشكيك في آيات القـرآن وتأويلـها بمـا تتـبرأ منـه اللغـة والدِّيـن ، كتـأويل البهائيـة السـماوات بالأديان ، واختصام الملأ الأعلى باختصام أولاد البهاء عباس وإخوتـه ، وتفسـيره هـل ينظـرون إلا أنْ يأتيهم الله ، وعندهم أن القيامة قامت بظهور الباب والبهاء .

أقول : إن عباس ليس إماماً من أئمة المسلمين المجتهدين لأن قومه ليسوا منهم ، ولكـنْ ؛ لا ننكر أنه مطلع على تاريخ المسلمين وعلومهم .

وُلد البهاء **1817** ، وتوفي **1892** ، وكان البهاء حسين وأخـوه الأكـبر يحيـى ـ ولقبـه صـح أزل ـ من أتباع الباب علي محمد رضا الشيرازي ، وقد ثار الخلاف بينهما بعد إعدام الباب سـنة **1850** ، ونفت الحكومة العثمانية صبح أزل إلى قبرص ، ونفت البهاء وجماعة إلى مكان يُدعى البهجة قرب عكا في فلسطين .

مات البهاء ودُفن في عكا ، وخلفه ابنه عباس الملقب عبد البهاء / **1844 ـ 1921**/ .

انطلق البهاء في دعوته من مبادئ توخّى منـها إنشـاء ديـن جديـد ، فنسـخ كتـاب البيـان ، وكتب كتاب الأقدس ، ثم الإيقان ، ثم الإشـراقات ، وجعـل كتابـه الأقـدس فـي عـداد الكتـب السماوية المقدسة ، وادّعى أنه المسيح المنتظر . ثـم ذكـر أن اللـه يتجلـى عليـه ، وادَّعـى الألوهيـة ذاكراً أن الله يظهر بمظهر البهاء .

لم يقصر البهاء دعوته على المسلمين، فكاتبَ الملوك والأمراء في أوروبا وأمريكا وآسيا، داعياً لهم لاعتناق مذهبه، معلناً توحيد الأديان واختيار البهائية لتكون الدِّين الأوحد الذي تدين به البشرية جمعاء، ونادى بتوحيد اللغات، وطالب بإنشاء برلمان عالمي واحد.

ويلاحظ البعض علاقة البهائية واليهود، وقد تجلّت هذه الظاهرة فيما يلي:

1 ـ دفعهم البهاء إلى أنْ يعلن نفسه رباً للجنود، أو مسيحاً جاء لهداية العالم، مستدلِّين على ذلك بما ورد في التوراة من آيات تشيد بمجد يهوذا، وما يحتويه من سِفر دانيال والعهد القديم من الرؤى التي تبشر ـ في رأيهم ـ بظهور بهاء الله وابنه عباس.

2 ـ دعوة الباب العلنية إلى التجمع اليهودي الصهيوني في أرض فلسطين، فيقول: هذا يوم فاز فيه الكليم بأنوار القديم، وشرب زلال الوصل من هذا القدح الذي به سجرت البحور قل تا الله الحق، إن الطور يطوف حول مطلع الظهور، والروح ينادي مَنْ في الملكوت، هلموا وتعالوا يا أبناء الغرور، هذا يوم أسرع كرم الله شوقاً للقائه، وصاح لصهيون قد أتى الوعد، وظهر ما هو مكتوب في ألواح الله المتعالي العزيز المحبوب. كتاب الأقداس، ص**111**.

وجاء عباس أفندي ابن البهاء مكملاً دعوة أبيه للتجمع اليهودي الصهيوني، وتكوين أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة، وقال: فانتظروا الآن تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة، ويمتلكون الأراضي والقرى، ويسكنون فيها، ويزداد تدريجياً إلى أنْ تصير فلسطين جميعاً وطناً لهم. مفاوضات عبد البهاء، ص**59**.

3 ـ تزلف عباس أفندي لليهود ومجاهرته بصداقتهم.

وفي المؤتمر السابع والثلاثين لضباط المقاطعة التابع لجامعة الدول العربية تقرر مقاطعة البهائيين، وعدم التعامل معهم، واعتبار البهائية مرتبطة بالصهيونية، لكنَّ البهائيين العرب يدفعون هذه التهمة عن أنفسهم، ويؤكدون ابتعادهم الكامل عن السياسة والعمل السياسي والتزامهم بقوانين البلاد. الموسوعة الفلسطينية، ج**1**، ص **431**.

ومن أشهر أتباعه في مصر:

1 ـ المرزا حسن الخراساني التاجر بالقاهرة، وهو العميد الذي يلتفون حوله، ويرجعون في أمورهم المدنية إليه.

2 ـ المرزا أبو الفضل محمد بن محمد الجرفادقادني الإيراني ، وهو كبير الدعاة ومؤلف الفرائد والدرر البهية ، وهما كتابان جامعان لطائفة كبيرة من الزور والبهتان والإقرار بربوبية البهاء ، والعياذ بالله .

3 ـ فرج الله زكي الكردي صاحب مطبعة كردستان بالحسينية من أخطاط القاهرة ، وهو داعية كبير كان يدخل الجامع الأزهر بحجة طلب العلم ، ثم ظهرت بابيته من طبعه كتاب الدرر البهية الآنف الذكر ، وقيامه بتصحيحه ، وشرح بعض غوامضه .

4 ـ حسين أفندي روحي بن الملا على التبريزي ، وهو صاحب مجلة تدعو إلى هذا الدِّين الخبيث ، كان يصدرها في القاهرة شهرياً سنة 1904 ، للميلاد باسم لسان الأمم .

http://kotob.has.it

خاتمة البحث

بعد هذه الجولة السريعة التي أردتُ أنْ تكون أكثر من ذلك، ولكنْ؛ أرجو أن يكون الأمر ذلك لِمَنْ يأتي من بعدي، فأنا أبذر والحصاد للبذّار لا يأتي مباشرة.

فِرَقُ اليهود فِرَقٌ كثيرة أنافت على السبعين، ولم أستطع حصرها بشكل كامل، فقد كانت منذ أيام الرسول العربي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبعين، وقد رأينا هناك فِرَقاً جديدة وردت بعد الرسول صلى الله عليه وسلم. فِرَقٌ كلها على الباطل، وقد كانت هذه الديانة في زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبعين فرقة خفي منها الكثير، ومات الكثير منها، وجاء شيء جديد لم يكن آنذاك موجوداً.

لم أستطع الحصول على الفِرَق اليهودية كلها، فالديانة يلفُّها الغموض، وتحيط نفسها بالكتمان، وهي ديانة منغلقة على نفسها وأصحابها، وإذا ما صدف ودخلها أحد الناس فإنه يُشَكُّ في ولائه حتى الجيل العاشر من أبنائه، ولهذا، سيعذرني القارئ إنْ رأى تقصيراً مني في تفنيد هذه الفِرَق، وفي إيراد القليل القليل عنها، وبالكاد حتى يعرف الإنسان الشيء القليل.

وأحب أنْ أورد ملاحظة بعد هذا كله، هي أن هذه الفِرَقَ مهما اختلفت فإن مصدرها واحد هو التوراة (العهد القديم) وهو كتاب إرهابي يأمر بالإبادة الشاملة للبشرية، كتابٌ عنصري عرقي يؤمن بتفوُّق اليهود على الناس، فهم يحتقرون الناس، كتابٌ لا يؤمن بالله القدير العلي الواحد الأحد، ولكنه يؤمن بإله جبار منتقم، يخطئ ويندم، ويبكي، ويُصَحِّحُ له الأحبارُ أخطاءه. هؤلاء الأحبار رفعوا أنفسهم إلى مصاف الآلهة، واتخذهم اليهود أرباباً من دون الله، ولهذا، يعدّون أنفسهم أسمى من يهوه إلههم، وأجلّ وأعلى، ولهذا، ورد في التلمود مَنْ صفعَ يهودياً فكأنما صفعَ ربَّ العزة، هذا شأن اليهودي فما شأن الحبر؟.

بهذه الطغمة الفاسدة ابتلانا الله لنقاتلهم، فاحتلّوا بلادنا، ودانوا كبرياءنا، وهتكوا أعراضنا، وداسوا مقدساتنا، فإلى متى سنظل صابرين على الهوان؟

وإلى متى نحن قابعون في دياجير الذل؟

منشورات الأوائل
للنَّشْر والتَّوزيع

1) سِفْر التَّايخ اليهُودي اليهُود تاريخهم عقائدهم فرَقهم نشاطاتهم سُلُوكيَّاتهم الحركة الصِّهْيَوْنيَّة والقضيَّة الفلسطينيَّة، رجا عبد الحميد عُرابي، 2004

تزعم - دار الأوائل - أنَّه الكتاب الأشمل في ما أُلِّف عن اليهُود؛ حيثُ يتحدَّث المؤلِّف فيه عن تاريخ اليهُود وتشتُّتهم وانتشارهم في العالم، وعن كُتُبهم الدِّينيَّة وعقائدهم وفرَقهم وطوائفهم قديماً وحديثاً، وعن تعاليم حُكَمائهم، وعن نشاطاتهم السِّياسيَّة، وعن سُلُوكيَّاتهم وأخلاقيَّاتهم، كما يتحدَّث عن الحركة الصِّهْيَوْنيَّة والقضيَّة الفلسطينيَّة. ممَّا يتناوله المؤلِّف: جنَّة عَدَن في التَّوراة، وفكرة الفردوس عند السُّومريِّين، وآدم وجنَّته، مصادر التَّاريخ القديم لليهُود، النَّظريَّة السَّاميَّة، العبْريَّة والعبْرانيُّون، القُرآن والعبْريَّة، إبراهيم، العبْرانيُّون والإسرائيليُّون والموسويُّون واليهُود، أسباب انحراف اليهُود، الخَلْطُ بين اليهُود وبني إسرائيل، يعقوب والرَّحيل، الهكسُوس، مُوسى، أخناتون والتَّوحيد، مُوسى والتَّوحيد، بُرهان أنَّ مصر هي مصران الجزيرة، الأمر بغزو فلسطين، تابوت العهد وخيمة الاجتماع، يُوشع بن نُون، عهد القُضاة، عهد الملُوك، داود، سُليمان، بلقيس، سبأ، انقسام المملكة اليهُوديَّة، مملكة دمشق الآراميَّة، الأسباط العشرة، التَّوراة، السَّبي البابليّ، الفُرْس الإخمينيُّون، اليهُود والرُّومان، تشتُّت اليهُود، انتشار اليهُود في العالم، الخَزَر، اليمن، الجزيرة العَرَبيَّة، الحبشة، الأشكناز، السَّفارد، الدِّيانة اليهُوديَّة، ترجمة التَّوراة، التَّلمُود، القرَّاءون، السَّنهدرين، الكَتَبَة، السَّامريُّون، الصَّدوقيُّون، الفرِّيسيُّون، الإسينيُّون، المسيح المُنتظَر، الدُّونمة، الصِّهْيَوْنيَّة، الأحزاب الدِّينيَّة اليهُوديَّة، الهسكالا، برُوتُوكُولات حُكماء صهْيَوْن، الماسُونيَّة، بَنَاي بريت، إله اليهُود، اللاَّساميَّة، حاخامات اليهُود، هرتزل، ألمانيا وفرنسا واليهُود، إسرائيل وفلسطين بالتَّفصيل الدَّقيق، العلاقة الأمريكيَّة الإسرائيليَّة، وغيرها من المعلومات المُهمَّة التي لا غنى عنها لكُلِّ عَرَبيٍّ ومُسلم وغير يهُوديٍّ.

2) الفرَق والمذاهب الإسلاميَّة مُنذُ البدايات النَّشأة - التَّاريخ - العقيدة - التَّوزُّع الجغرافيِّ، سعد رُستُم، 2004

عرض تاريخيٌّ تحليليٌّ لقصَّة نُشُوء الفرَق والمذاهب الإسلاميَّة، وأسباب انقسامها، مع شرح أهمِّ العقائد التي ميَّزت كُلَّ فرقة، ويُبيِّن التوزُّع الجَغرافيَّ لأتباعها، والأسباب الحقيقيَّة الكامنة وراء انفصالها، وأسرار انقساماتها، مع التَّعرُّف - بدقَّة وموضوعيَّة - إلى أهدافها ونواحيها، والوُقُوف على عقائدها الحقيقيَّة التي تميَّزت بها، برُوح موضوعيَّة علميَّة ومُتجرِّدة، أوَّل اختلاف بين المُسلمين، الخوارج، مأساة كربلاء، الانقسامات الكلاميَّة والفقهيَّة ضمن أهل السُّنَّة، المُعتزلة، الحشويَّة، الحنابلة، الأثريَّة، والأشاعرة، الماتريديَّة، النِّزاع بين الرَّأي والحديث، المذاهب: الحنفيّ، المالكيّ، الشَّافعيّ، الحنبليّ، التَّصوُّف، الإباضيُّون، الشِّيعة: اليزيديُّون، الإماميَّة الاثنَيْ عشريَّة (الجعفريَّة)، الشِّيعة الجعفريُّون العلويُّون، الشِّيعة الإسماعيليَّة، الحوشبيَّة، الخلفيَّة، الفاطميُّون، الصّليحيُّون، المُستعلية، النِّزاريَّة، المُوحِّدون (الدُّرُوز)، الآغا خانيَّة، القاديانيَّة (الجماعة الإسلاميَّة الأحمديَّة) جمعيَّة أهل القُرآن (أصحاب الفَهْم العصريِّ للقُرآن ورَفْض السُّنَّة والحديث)، وغيرها من الموضوعات التي تُؤكِّد أنَّ جُلَّ المذاهب والفرَق الإسلاميَّة لا تعدو وُجهات نَظَر مُختلفة في فَهْم الإسلام، وكُلُّها نابعة من الإسلام الحنيف، تتحرَّك فيه، وتتمسَّك بأُصُوله، حسب فَهْمها، وترجع إليه، الكُلُّ مُسلمون ينتمون لأُمَّة واحدة هي أمَّة مُحمَّد بن عبد الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، ويعبدون إلهاً واحداً هُو الله الواحد الأحد، الفَرْد الصَّمَد، الذي لم يلدْ، ولم يُولدْ، ولم يكنْ له كُفُواً أحد، ويؤمنون بكتاب واحد هُو القُرآن الكريم، ويستقبلون قبلة واحدة هي بيت الله الحرام.

3) الفرَق والمذاهب المسيحيَّة مُنذُ ظُهُور الإسلام حتَّى الآن، سعد رُستُم، 2004

الآريُوسيَّة - النَّساطرة - اليعاقبة - الملكانيَّة - الخلاف بشأن تقديس الأيقونة والتَّماثيل والصُّور - الانشقاق المسيحيُّ الكبير إلى كنيستَيْن: اليُونانيَّة الشَّرقيَّة الأرثُوذُكسيَّة والرُّومانيَّة الغربيَّة الكاثُوليكيَّة - الشَّتات الأرثُوذُكسيُّ والبعثات التَّبشيريَّة - الفُرُوقات الرَّئيسيَّة بين

الأرثوذكسيَّة والكاثوليكيَّة ـ فترة الانقسام البابويِّ ـ الإصلاح والحركة المُضادَّة ـ التّحوُّل الهامُّ لموقف الكنسية الكاثوليكيَّة تجاه الإسلام في المجمع الفاتيكاني الثاني ـ الحوار الإسلاميُّ المسيحيُّ بعد المجمع الفاتيكانيِّ الثاني ـ الرّهبانيّات والحركات التّبشيريَّة الكاثوليكيَّة ـ مُنظَّمات الفُرسان الرّوحيَّة ـ فُرسان القدّيس يُوحنَّا ـ فُرسان الهيكل ـ الفُرسان التّيوتونيُّون ـ حركة الإصلاح الدّينيِّ ونشأة الكنائس البرُوتستانتيَّة ـ مارتن لُوثر ـ أولريخ زفينغلي ـ جان كالفن ـ الفرَق والحركات التي انشقَّت عن البرُوتستانتيَّة : الأنابابْتيست ـ المنيونيُّون ـ السُّوسيانيَّة ـ الأرمينيانيُّون ـ الكنيسة اللُّوثريَّة ـ المنهجيَّة ـ المشيخيَّة والمُصْلَحَة ـ التّطهُّريَّة البيُوريتانيَّة ـ حركة الإصلاح المُضادِّ للكنيسة الكاثوليكيَّة في نضالها مع البرُوتستانتيَّة : مجمع ترينت ـ اليسُوعيُّون ـ الفرَق والشّيَع المسيحيَّة الغربيَّة الحديثة : المعمدانيَّة ـ الألفيُّون ـ السّبتيُّون ـ شُهُود يَهْوَه ـ جماعة أصدقاء الإنسان ـ المُورمون ـ الشّفائيُّون ـ الأنطونيُّون ـ المسيحيَّة العلميَّة ـ الأخت غايا ـ حركات اليقظة أو الصّحوة المسيحيَّة ـ الإخوة بلايموث ـ الرّسُوليَّة ـ الرّسُوليَّة الجديدة ـ جمعيَّة الأصدقاء الهزّازين ـ جيش الخلاص ـ العنصرة ـ الكنائس الكاثوليكيَّة الصّغيرة ـ رابطة توحيد المسيحيَّة في العالم ـ الصّهيونيَّة المسيحيَّة الأصوليَّة ـ مذهب الألفيَّة السّابقة البريطاني والصّهيونيَّة المسيحيَّة ـ مُنظَّمة المائدة المُستديرة الدّينيَّة ـ مُؤتمر القيادة المسيحيَّة الوطنيَّة لأجل (إسرائيل) ـ المسيحيُّون المُتَّحدون من أجل (إسرائيل) ـ المصرف المسيحيّ الأمريكيّ لأجل (إسرائيل) ـ و . . . .
الكتاب ليس مُناظرة دينيَّة ، أو مُجادلة كلاميَّة ، أو لاهوتيَّة لبيان الحقِّ من الباطل ، وإنَّما هُو عرض تحليليٌّ ، تاريخيٌّ ، دينيٌّ ، اجتماعيٌّ ، سياسيٌّ ، للفرَق المسيحيَّة جميعها ؛ بدءاً من بُزُوغ فجر الإسلام حتَّى الآن ، يُبيِّن فيه المُؤلِّف تاريخ نشأة كُلِّ فرقة ، والأسرار الكامنة وراء انقساماتها ، وترجمة مُؤسِّسيها ، مع شرح ما يُميِّز كُلَّ فرقة من عقائد ، أو طُقُوس ، أو مبادئ وأهداف ، وطريقة تنظيم وإدارة ، مع الإشارة ـ ما أمكن ـ إلى التّوزُّع الجغرافيِّ لأبناء كُلِّ فرقة ، والعدد المُقدَّر لأتباعها .

4) نساء في قصُور الحُكَّام (ومن الجنس ما قَتَلَ) ، مازن النّقيب ، 2004

بعض الرجال ـ سياسيِّين كانوا أم أُدباء ، مُلُوكاً أم رُؤساء ، عُلماء أم من العامَّة ....ـ لا يستطيعون مُقاومة عيُون النّساء ، ولا دَلَعهنَّ ، ولا أصواتهنَّ ، ولا ... ولا ... ، حكَّام ونساءٌ من الشّرق والغرب ، بعضهم رحل وأصبح في عالم النّسيان ، وبعضهم مازال يقف على الشُّطآن ، يحلم بأنْ يكون إنساناً ، ليصطاد حُوريَّة من البحر ، يتعرَّض الكتاب إلى عيِّنة من البشر تخلَّت عن المبادىء والقيَم والعادات والأخلاق والتّقاليد من أجل لحظة فساد ونشوة عابرة ، فمَنْ منَّا لا يذكر الملك فاروق وناريمان ، وقَصَص بيل كلينتون ، والأميرة ديانا ودُودي الفايد ، وجُون كينيدي وزوجته ومارلين مُونرُو ، وشاه إيران مُحمَّد رضا بهلوي ، والمُشير عبد الحميد ، والرّئيس ميتيران ومازارين ، والملك إدوارد الثّامن وأليس سيمبسُون ، والملكة أليزابيث الثّانية ، والأمير فيليب ، والأميرة مارغريت وعاشقها المُطلَّق ، والأمير آندرو وسارة ، وجواهر لال نهرو واللّيدي مُونتباتن ، ويانازير بُوتُو وزَرَادي ، وأُوناسيس وجاكلين كينيدي ، والأميرة كارولين وفينسان ليندُون ، والأميرة مارتا وآري بين ، . . . . ، يربط الكتاب بين قَصَص حُبٍّ وعشق هؤلاء مع الخفايا والأسرار التي كانت تُحاك خلف أسوار القُصُور والمنازل ، وعلاقة ذلك كُلِّه ـ في النّهاية ـ بالسِّياسة .

5) لماذا الاغتيالات السِّياسيَّة؟! مازن النّقيب ، 2004

الاغتيال السِّياسيُّ موضوع هامٌّ شغل ألباب المُفكِّرين على مرِّ العُصُور ؛ حيثُ كَتَبَ عنه عُلماء النَّفْس والاجتماع والسِّياسة والدِّين ، ما هي النَّظريَّات العلميَّة في تفسير الاغتيال السِّياسيِّ؟ ما هُو الاغتيال السِّياسيُّ للدَّولة؟ اليهُوديَّة الصِّهيَوْنيَّة والاغتيال السِّياسيُّ . القصَّة الحقيقيَّة لكيفيَّة اغتيال (أبُو جهاد ؛ خليل الوزير) . اغتيال الشّهيد زُهير مُحسن . اغتيال د . فتحي الشّقاقي مُؤسِّس الجهاد الإسلاميِّ . اغتيال (أبُو علي مُصطفى ، علي حسن سلامة ، وفاء إدريس ، وغيرهم من شُهداء فلسطين) . كيف تمَّت اغتيالات : حُسني الزَّعيم ، سامي الحنّاوي ، أديب الشِّيشكلي ، عدنان المالكي ، الملك عبد الله الأوَّل ، هزَّاع المجالي ، وصفي التَّلّ ، نُوري السَّعيد ، الملك فيصل الثّاني ملك العراق ، أنور السَّادات ، أنطُون سعادة ، رشيد كرامي ، كمال جُنبلاط ، عبَّاس الموسوي ، رينيه مُعوَّض ، بشير الجميِّل ، إيلي حبيقة ، إسحق رابين ، رحبعام زائيفي ، مُحمَّد بُو ضياف ، المهدي بن بركة ، مُحمَّد فرح عيديد ، عبد الفتَّاح إسماعيل ، إبراهيم الحمدي ، جُون كينيدي ، باتريس لُومُومبا ، د . مارتن لُوثر كينج ، تشي غيفارا ، أنديرا غاندي ، شهبور بختيار ، بعض السُّفراء الأتراك ، المُونسينيُور دُوراتي .

6) **تشنيف السَّمْع ﴿ في انسكاب الدَّمْع (من جميل تُراثنا)** صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي ، تح : مُحمَّد عايش ، 2004
كتابٌ فريدٌ في بابه ، وليس له نظير ، فهُو الوحيد الذي يُفصِّل القَوْل في الدَّمْع ، من ناحيـة لُغويَّة ونَقْليَّة وعَقْليَّة وأدبيَّة ، ويربط بينها بصيغة منطقيَّة ، ويُشكِّل الكتاب حلقة وَصل بين دواوين مفقودة لكثير من الشُّعراء ، بل هُو يُضيف بعض الشِّعر إلى دواوين مطبوعة . إنَّه ـ بحقٍّ ـ دُرَّة من دُرَر تُراثنا .

7) **التَّقاليد والعادات الدِّمشقيَّة خلال عُهُود السّلجُوقيِّيْن ـ الزِّنكيِّيْن ـ الأيُّوبيِّيْن**

د . فراس سليم حياوي السَّامرائي ، 2004
إنَّ دراسة المُجتمع العَرَبيِّ الإسلاميِّ في هذه المُدَّة يُعدُّ من أكثر الدِّراسات تعقيداً ؛ لأنَّ في دمشق طوائف مُتعدِّدة . دَرَسَ الباحث ـ بداية ـ جَغرافيَّة دمشق ، وأهمَّ التَّطوُّرات السِّياسيَّة ، ثُمَّ عرَّج على دراسة فئات المُجتمع الدِّمشقيِّ (حُكَّام ، رجال دين ، أرباب الفكْر والعُلماء ، تُجَّار ، أصحاب الفُنُون الجميلة ، وغيرهم) ثُمَّ فصَّل في الطَّعام ، والشَّراب ، والملابس ، والحمَّامات ، والخانات ، والصِّحَّة العامَّة ، والأسواق ، ووسائل الرُّكُوب ، ومُستوى المعيشة ، والأسعار ، والأعياد ، والمُناسبات ، ووسائل التَّسلية ، والعائلة الدِّمشقيَّة ، ومُفرداتها ، وعلاقاتها بغيرها ، وأوصاف قُصُور الأمراء والميسورين ، و . . . .

8) **تاريخ مدينة دمشق وعُلماؤها خلال الحُكْم المصري ، خالد أحمد مفلح بني هاني ، 2004**
تتناول هذه الدِّراسة فترة تاريخيَّة هامَّة ، نُظر إليها على أنَّها من أهمِّ فترات التَّاريخ الحديث لبرِّ الشَّام . بدأ الباحث دراسته بالعُلماء والأعيان الدِّمشقيِّيْن ، وشُيُوخ الطُّرُق الصُّوفيَّة ، والأشراف ، والعَسْكَر ، والحرَفيِّيْن ، والعامَّة ، والملاَّكين ، والفلاَّحين ، ثُمَّ تحدَّث عن دمشق قُبيل الحُكْم المصريِّ ، وعن الفتنة الدَّاخليَّة(1831 م) وعن المسيحيِّيْن والمُسلمين ، كما تحدَّث عن الإصلاحات المصريَّة في برِّ الشَّام (الإدارة ، والقضاء ، والزِّراعة ، والصِّناعة ، والتِّجارة ، والتَّعليم ، وعن المُتغيِّرات الرُّوحيَّة والاجتماعيَّة) وبحث ـ بالتَّفصيل ـ موقف العُلماء والأعيان في دمشق من الحُكْم المصريِّ ، ورُدُود الفعْل والمواقف المحلِّيَّة الدِّمشقيَّة ، ثُمَّ تناول أساليب الحُكْم المصريِّ في التَّعامل مع العُلماء والأعيان ، ثُمَّ دَرَسَ نهاية الحُكْم المصريِّ ، وآثاره السِّياسيَّة ، والاقتصاديَّة ، والاجتماعيَّة ، وكيف انسحب المصريُّون ، ثُمَّ أورد مُقارنة لتقييم أحكام بعض المُؤرِّخين لآثار الحُكْم المصري لبرِّ الشَّام .

9) **مسارات وحدة الوُجُود ﴿ في التَّصوُّف الإسلامي الله الإنسان العَالَم ، مُحمَّد الرَّاشد ، 2004**
لماذا خلق اللهُ الإنسانَ والعالمَ!؟ كيف تمَّ الخَلْقُ الأوَّل!؟ ما دور الحُبِّ في عمليَّة الخَلْق وحكمته الماورائيَّة!؟ وبالتَّالي ؛ ما السَّبيل إلى تحقيق إنسانيَّة الإنسان على هذا الكوكب المُوشَّح بالأحزان!؟وأخيراً ؛ ما الطَّريق إلى الخُرُوج من مأزق الحياة الدُّنيا ومأساويَّتها ، وُصُولاً إلى الفردوس الموعود!؟هذه بعض التَّساؤلات التي عَمَدَ حَمَلَة لواء وحدة الوُجُود في التَّصوُّف الإسلامي إلى تقديم إجابات حاسمة عنها ، دُون إلغاء الآخرين ، وبعيداً عن مُصادرة آرائهم وعقائدهم وتوجُّهاتهم ، وبذلك استطاعوا تحقيق ضَرْب من التَّماس مع البشريَّة جمعاء ، وصاغوا قواسم مُشتركة مع كُلِّ الفلسفات والمذاهب والأديان ، وولَّدوا تعاطفاً بين الزَّماني والأزلي ، بين النِّهائي واللاَّنهائي ، بين الله والإنسان والعَالَم . هذا ما حاول المُؤلِّف رَصْدَه لدى فريق من أساطين التَّصوُّف الإسلامي بموضوعيَّة حملت طابعاً حياديَّاً ، دُون أنْ تفوته الإشارة ـ بين حين وآخر ـ إلى بعض الثَّغرات والإشكاليَّات التي انزلقوا فيها ، وعلى رأس الهَرَم منها : الانسحاب من المُجتمع ـ جدليَّة العلاقة بين الخالق والمخلوق ـ لوائح القيَم ومُشكلةالثَّواب والعقاب... لكنَّما أكَّد المُؤلِّف ـ بالوقت نفسه ـ على توجُّه الصُّوفي تلقاء المُطلق ، وتوقير الذَّات الإلهيَّة ، ونَسْج خُيُوط التَّسامي والحُبِّ والصَّفاء في العالم .

10) **أضواء على برُوتُوكُولات حُكماء صهيَوْن ، (النُّصُوص الكاملة) دراسة تحقيقيَّة تاريخيَّة مُعاصرة ، رجا عبد الحميد عُرابي ، 2004**
ما هي الجُذُور القديمة لليهُوديَّة ؟ فرية الشَّعب المُختار . . . الوعد وأرض الميعاد ـ الفطير المُقدَّس . ما هي النُّصُوص الكاملة لبرُوتُوكُولات حُكماء صهيون؟ ومَنْ واضعها؟ اليهُود والإمبراطُوريَّة العُثمانيَّة ـ ما هي الأهداف الهامَّة للبرُوتُوكُولات؟ ما هي مُنظَّمات اليهُود وحَرَكَاتهم؟ . . الصّهيونيَّة المسيحيَّة ـ اللّجنة اليهُوديَّة الأمريكيَّة ـ بَنَاي بريت ـ كيف تمَّ تسخير الدُّول العُظمى

لخدمة اليهود - بريطانيا - الاتِّحاد السُّوفيتي سابقاً - ألمانيا - فرنسا - الولايات المُتّحدة الأمريكيَّة . تنظيم القاعدة وحرب أفغانستان - زلزال 11 أيلول 2001 - لماذا احتلال أفغانستان؟! لماذا احتلال العراق؟ الدّولة الكُرديَّة ومشروع (إسرائيل) لتفجير الشَّرق الأوسط - حرب الخليج الثّالثة - اليهُود ومُحاولة السّيطرة على العالم - الدّولة اليهُوديَّة العالميَّة - العراق يُنهَبُ ويُعرَضُ للبَيْع - (إسرائيل) استثمار أمريكيٌّ - ماذا تحقَّق من أهداف البرُوتُوكُولات؟ وماذا لم يتحقَّق بَعْدُ؟ مسيرة الانحدار بدأت عند اليهُود . .

11) العبادات في الدّيانات القديمة المصريَّة - العراقيَّة - الرُّومانيَّة - الهندُوسيَّة - البُوذيَّة - الصّينيَّة - الزرادشتيَّة - الصّابئيَّة ، عبد الرَّزّاق المُوحي ، 2004

عبادة قُرص الشّمس عند المصريِّين القُدماء ، ودعوة أخناتون إلى التّوحيد وصيام الكَهَنَة - ربُّ الأرباب عند العراقيِّين القُدماء (أنو إله السّماء ، وأنليل سيِّد الرّيح العاصفة) - الدّيانة اليُونانيَّة القديمة والفلسفة والإشراك ، وصيامهم - الرُّومان القُدماء وآلهتهم وصيامهم - الهندُوس والبُوذيُّون والصّينيُّون والزّرادشتيُّون والصّابئيُّون وصلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجُّهم و ......

12) العبادات في الدّيانة اليهُوديَّة ، عبد الرَّزّاق المُوحي ، 2004

الله في الفكر اليهُودي - النُّبوَّة عند اليهُود - الصّلاة (الطّهارة الوُضُوء) صلاة الصّباح - صلاة المساء - الصّلاة الجماعيَّة - صلاة الظّهيرة أو العصر - صلاة المغرب - صلاة الغُفران - صلاة القمر - صلاة السّبت - صلاة عيد شعوت - صلاة عيد المظال - صلاة العشاء الخاصَّة بالافتتاح بيوم الغُفران - الزّكاة - الصّدقة - الصّوم (فَرْديّ وجَمَاعيّ) صوم الصّمت - الحجُّ (إلى بيت المقدس) - الأعياد : الفصح - المظال - الأسابيع (العَنْصُرة) ما هُو رأي الإسلام في العبادات اليهُوديَّة ؟ وما هُو تأثير الدّيانات القديمة على العبادات اليهُوديَّة ؟ وما هي التّأثيرات الإسلاميَّة في العبادات اليهُوديَّة مُتمثِّلة بالصّلاة؟ وغيرها من الموضوعات التي يجهلها عامَّة النّاس .

13) العبادات في الدّيانة المسيحيَّة ، عبد الرَّزّاق المُوحي ، 2004

الألُوهيَّة والنُّبوَّة - الصّلاة (عقليَّة فَرْديَّة - لفظيَّة جَمَاعيَّة) - صلاة المساء وصلاة الصُّبح وصلاة الظّهيرة - التّسابيح - صلوات الاستغاثة والثّقة والحمد - مزامير التّعليم - الزّكاة - الصّيام (صوم الصّمت - الصّوم عن أنواع الطّعام) الصّيام عند الكاثُوليك - الصّيام في الكنيسة الأرثُوذُكسيَّة الشّرقيَّة - صوم الأربعين - صوم الميلاد - صوم العَنْصُرة - صوم العذراء - صوم نينوى - صيام طائفَتَيْ الأرمن والقبط - الحجُّ - أثر الدّيانات القديمة على العبادات المسيحيَّة - ومُقارنة بين السَّيِّد المسيح وبُوذا - أوجه التّشابه بين المسيحيَّة وعَبَدَة بَعْل - تأثُّر الدّيانة المسيحيَّة بالدّيانة الميثيريَّة - العبادات المسيحيَّة الواردة في القُرآن الكريم ورأي الإسلام فيها .

14) الهجرة على مدار الحَمَل (رواية) ، رزان نعيم المُغربي ، 2004

اللّقاء كُلُّه لم يَعُدْ يعني لي شيئاً ، فقط ؛ أخذتُ أمضغ شُعُوري بالغَيْرة منها ، لأوّل مرَّة وجُنُون أصابني ، وأنا أتبادل معها الأدوار ، وبأنَّها نعمَتْ بكُلِّ ما أطمح إليه من عُمر الآن ، وأُريد أنْ أناله بقُوَّة ، بينما هي فاقدة - وإلى الأبد - كُلَّ ما حلمتُ به ، وحصلتُ عليه من هذا الرَّجل... الّذي تقاسمنا حياته . كان جُنُوناً غير مُبرَّر ، والأصحُّ ، لو قُلت إنَّه رجل يدفع بي إلى ذلك الجُنُون ، ورغم ذلك أُغرم به... أُحبُّه ، أملك قلبه ، وتملك هي اسمه ، تملك الماضي الّذي قدَّمه بفخر لها ، ولم تُحافظ عليه . بينما أمتلك - الآن - أوقاتاً سريَّة أخشى عليها ، كيف لي أنْ أُعيد ترتيب أوراق أيّامنا من جديد؟! . لكنَّ تفاؤلي يعكس لي قصَّة حُبّنا في مرآتي ، فتشعُّ منها ابتسامته الصّافية ، وعيناه مملوءتان خوفاً وحناناً عليَّ ، أسأله دُون كلام ، مُمتدَّة يديَّ إلى وجهه ، مُحاولة الإمساك به ، لأُقبِّله ، فيختفي . أُناديه من خلف غبش الذّكرى ، حبيبي ، أين أنتَ يا عُمر؟...

15) الاستبداد والمرجعيَّة في الخطاب الإسلاميِّ دراسة الحالة المُعاصرة ، أ. د. خالد مدحت أبُو الفضل ، تر: مُحمَّد سفر عيد ، تقديم: أنور إيمان ، 2004

بمَوْت الرَّسول الكريم أصبح المُسلمون وحدهم ، مُنفردين بأنفسهم ، فقد كان الرّسول الكريم الصِّلة الوحيدة المُباشرة بالله ، حينها ؛ لم تتحطَّم الولاءات السِّياسيَّة فحسب ، بل تحطَّمت - أيضاً - تلك الرَّابطة الفريدة والضّروريَّة بالمشيئة الإلهيَّة ، ومن ثمَّ ؛ بدأ علم الشَّريعة . إنَّ سياسات إبراز الهُويَّة هبطت بالشّريعة إلى مُستوى الشِّعار السِّياسيِّ ، وكان الأحرى أنْ ترتفع بها إلى مُستوى المكانة الثّقافيَّة الرَّفيعة التي تبوَّأتها في عُهُود أسلافنا الفُقهاء المُشرِّعين . ما هي إشكاليَّة السُّلطة؟ النَّصُّ والسُّلطة ، **الفتوى** ، حديث أنس حول الوُقُوف ، حديث مُعاوية ، علم منهج الحديث وحديث السُّجُود ، بنية الاستبداد بالرَّأي .

16) تاريخ الخطِّ العَرَبيِّ وغيره من الخُطُوط العالميَّة ، آن زالي وآني بيرثييه ، تر : سالم سُليمان العيسى ، 2004

لقد جمع هذا الكتاب أسمى الصِّفات المُبدعة للخطِّ العَرَبيِّ الذي يفتخر به كُلُّ العَرَب ، وخُطُوط بلاد ما بين النّهرَيْن ، ومصر ، والصّين ، وأمريكا قبل العهد الكُولُومبي ، وإفريقية ، وتحدَّث مُؤلِّفاه فيه عن الحضارة الغربيَّة وعن خطِّ بلاد ما بين النّهرَيْن / المسماريّ و ...../ وعن القُدرة السِّحْريَّة للخطِّ ، وعن خطِّ الفراعنة ، والأبجديَّة الهيرُوغليفيَّة وخطِّها الخطِّ الدّيمُوطيِّ والقبطيِّ ، وأساطير ولادة الأحرف الصِّينيَّة وأحرفها ، مُرُوراً عبر فيتنام ، واللُّغة اليابانيَّة المُعقَّدة ، ومدينة الأزتيك اللاّمعة ، ومصير الخُطُوط المُدوَّنة قبل تأسيس كُولُومبيا ، وإفريقية من الكلام فيما يتعلَّق بالرّسْم إلى الخطِّ ، وُصُولاً بالقارئ إلى ثورة الأبجديَّة ، بدءاً بالفينيقيَّة ونُقُوشها ، ومُرُوراً بالآراميِّين وهُم النّاشرون للأبجديَّة ، وُصُولاً إلى الخُطُوط في العَرَبيَّة الجنوبيَّة ، وفي الحبشة ، وُصُولاً إلى القُرآن ، وبيان أنَّ الخطَّ العَرَبي ارتقى من الفينيقيَّة عن طريق الآراميَّة مُتخلِّلاً بين الفارسيَّة والهندُو أُورُوبيَّة (مثل التُّركيَّة) . . وكيف وصل الخطُّ إلى الهيلّلينيِّين ، وابتكار الأحرف الصّوتيَّة ، وكيف وُلدت من الأبجديَّة اليُونانيَّة ، ومُرُوراً من اليُونانيَّة ، ووُصُولاً إلى اللاّتينيَّة ، وبيان أنَّ الخطَّ هُو مرآة الكلام . كتاب جدير بالقراءة . هذا أقلُّ ما يُمكن أنْ يُقال عنه .

17) الإسلام ونُبُوءات المسيح والقرن الحادي والعشُرون ، عبد الوهاب نُوشاد ، 2004

يبحث المُؤلِّف في نُبُوءات المسيح المذكورة في العهد الجديد ، ومُقارنة هذه النُّبُوءات مع الواقع ، ومعرفة مقدار ما تحقَّق منها . الإنجيل وأعمال المسيح ، نُبُوءة المسيح عن مَلَكُوت السَّموات ، نُبُوءة المسيح عن المُعين رُوح الحقِّ ، نُبُوءة المسيح عن عودته من السَّماء . كما تمَّ في هذا البحث الاستعانة بالنُّبُوءات الموجودة في العهد القديم (التَّوراة) ، لتوضيح نُبُوءات المسيح بشكل دقيق .

18) أساطير وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة ، فيليب آجي وآخرون ، تر:حمدي الصّاحب ، 2004

يبحث هذا الكتاب الهامُّ جداً في كيفيَّة انشقاق بعض زُمر مُوظَّفي وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة على مدى سنين عديدة ، وخاصَّة بعد حرب فيتنام ؛ حيثُ ترك العديد منهم هذه الوكالة وهُم ساخطون . وبدلاً من الانشقاق والذّهاب إلى الاتِّحاد السُّوفيتيِّ فَعَلوا الأخطر ؛ وهُو إبلاغ أسرارهم إلى العالم أجمع ؛ وخاصَّة إلى الشّعب الأمريكي . بدأ بكيفيَّة تحديد مكان الجاسُوس ، وكيفيَّة هَتْك أسرار الـ سي آي إيه ، ومَنْ هُم رُؤساء المركز . ومَنْ هُو الجاسُوس السُّوبر (كُوردمير) . والـ سي آي إيه في البُرتغال والتّغييرات فيها . ثُمَّ انتقل إلى نُقطة التّحوُّل ومسألة ريتشارد ويلتسن ، وُصُولاً إلى أثينا وبيان مُنظَّمة 17 نُوفمبر الثّوريَّة . وماذا تفعل الـ سي آي إيه في أُورُوبة الغربيَّة . إسبانيا بعد فرانكو . عمليَّات الاستخبارات في اليُونان . العامل الأمريكيُّ في اليُونان . مُونتغمري . إيطاليا ومارتشيني . الاستخبارات في فرنسا . في ألمانية الغربيَّة . وكيف تنتزع أموالُ الـ سي آي إيه أسنانَ الاشتراكيَّة البريطانيَّة ، وكيف تدعم الـ سي آي إيه السُّوق المُشتركة . كيف تصنع الـ سي آي إيه الأخبار . سويسرا . ثُمَّ يُختتم الكتاب بمقاييس معنويَّات الـ سي آي إيه ، ثُمَّ الـ سي آي إيه الجديدة . كتاب جدير جداً بالقراءة والتّدبُّر ، وُصُولاً إلى مُحاولة استشفاف ما بين السُّطُور أكثر ممَّا على السُّطُور .

19) لُورنس والقضيَّة العَرَبيَّة 1888 ـ 1935 ، حسام علي مُحسن المدامغة ، 2004

حفلت المنطقة العَرَبيَّة في فترة الحُكْم العُثمانيِّ بنشاط من الرَّحَّالة والمُستشرقين الأُورُوبيِّين والأمريكان الذين اختلفوا في مغزى نشاطهم ، فمنهم مَنْ جاء بحثاً عن معلومات جديدة تُغني معرفته ، وتُرضي فُضُوله ، ومنهم مَنْ جاء بناءً على توجيه من حُكُومته لأهداف استخباريَّة يقصد من ورائها جَمْعَ معلومات سياسيَّة أو عسكريَّة . وتُوماس إدوارد لُورانس من الذين عملوا في المنطقة العَرَبيَّة بتوجيه خارجي ، فتحدَّث المُؤلِّف عن ولادته ونشأته الأُسَريَّة وصفاته الشّخصيَّة ، وكيف انخرط لُورنس في الجيش البريطانيِّ عند اندلاع الحرب العالميَّة الأولى ، وكيفيَّة عمله في عمليَّات الثَّورة العَرَبيَّة . اعتمد المُؤلِّف ـ فضلاً عن الوثائق العَرَبيَّة والإنكليزيَّة غير المنشورة والمنشورة ـ على الكثير من المصادر العَرَبيَّة والأجنبيَّة وفي مُقدِّمتها مُؤلَّفات لُورانس نفسه ، والتي أهمّها (أعمدة الحكْمة السّبعة) ممَّا جعل الكتاب غنيّاً جداً بمصادره وتحليلاته واستنتاجاته .

20) اليهُوديَّة والغَيْريَّة غير اليهود في منظار اليهُوديَّة ، ألبيرتو دانزول ، تر : د. ماري شهرستان ، 2004

ألبيرتو دانزول كاتبٌ فرنسيٌّ ذُو خلفيَّة ثقافيَّة علمانيَّة ، وهُو ـ في هذه الدّراسة ـ يرمي إلى إلقاء الضّوء على هيكليَّة خفايا التَّفاسير اليهُوديَّة والتّلمُود ، ويُعرِّي دور التّلمُود الآثم في بناء شخصيَّة اليهُودي ، حتَّى غدا اليهُودي أشدَّ المخلوقات عداوة لبني البشر ،

كما أنَّه وضَّح البنى الذّهنيَّة للأحبار والحاخامات ودأبهم المُستمرّ لتكريس انعزال وانغلاق اليهُودي وتكبُّره وتغطرُسه، ممَّا أدَّى إلى عدم تفاعله مع المُجتمعات الإنسانيَّة قاطبة؛ فالذي اعتمده اليهُودي هُو الكنيس والتّوراة المنحولة والتّلمُود، وهُم وطن اليهُودي وقضاء يَهْوَه وأوامره على الأرض من قَتْل وإبادة جماعيَّة. هُناك بشر غير قادرين على مُقاربة الله: إنَّهم نوع البشر الذين ليس لديهم أيُّ مُعتقد دينيٍّ ولا علميٍّ ولا تقليديٍّ مثل آخر الأتراك في أقصى الشّمال، والزُّنُوج في أقصى الجنوب والذين يُشبهونهم في مناخاتها. هؤلاء يُعدُّون مثل حيوانات غير عاقلة: فأنا لا أُصنِّفهم في مُستوى البشر؛ إذْ إنَّهم من بين الكائنات الحيَّة صنفٌ أدنى من البشر وأعلى من القرد. بما أنَّ لديهم وجه وملامح الإنسان وفطنة أعلى من القرد، هذا ما قاله ابن ميمُون، وهُو عَلَمٌ من أعلام اليهُوديَّة الحاخاميَّة. فلنُبحر معاً لاستكشاف ما خفي.

21) مُناهضة السّاميَّة تاريخها وأسبابها، برنار لازار، تر: د. ماري شهرستان، 2004

يُشكِّل هذا الكتاب مُساهمة أساسيَّة في سعة مراجعه ومنهجيَّته. وإنَّ تغييب هذا النّصّ وعدم معرفته تُشكِّل - بحَدِّ ذاتها - فضيحة. قال اليهُود عنه - وهُو يهُودي أيضاً - إنَّ لازار مُناهض للسّاميَّة. لكنَّه يقول: اقرؤوا، وستجدوا أنِّي كتبتُ بتجرُّد - بحياديَّة - دراسة تاريخيَّة اجتماعيَّة. تحدَّث فيه المُؤلِّف عن أسباب مُناهضة السّاميَّة الحقيقيَّة مُنذُ القديم حتَّى العصر الحديث. فتكلَّم عن الهكسُوس والرّواقيِّين ورُوما وأنطاكية واصطدام الدّيانة الرُّومانيَّة باليهُوديَّة، ومن ثَمَّ بالمسيحيَّة، ثُمَّ اصطدام الكنيسة في القرن الثّامن باليهُوديَّة، ثُمَّ تحدَّث عن محاكم التّفتيش، عن اليهُود وتعذيبهم وقَتْلهم ردّاً على ما كانوا يفعلون من جرائم، لعلَّ أبسطها تسميم المياه كي يموت المسيحيُّون في الغرب... ثُمَّ فصَّل في الأدب المُناهض لليهُوديَّة، ثُمَّ تحدَّث عن الثّورة الفرنسيَّة والثّورة الرُّوسيَّة وأثر اليهُود فيهما... وفصَّل المُؤلِّف في حديثه عن العرْق اليهُودي وعن القوميَّة ومُناهضة السّاميَّة وعن الرُّوح الثّوريَّة في اليهُوديَّة وعن اليهُود وتحوُّلات المُجتمع... وختَمَ بالحديث عن مصير مُناهضة السّاميَّة (إنَّه كاتب يهُوديٌّ حياديٌّ يفضح اليهُوديَّة).

22) خارقيَّة الإنسان الباراسيكُولُوجي من المنظور العلمي، د. صلاح الجابري، 2004

مُنذُ القرن السّابع عشر وحتَّى بدايات القرن العشرين فَقَدَ العلمُ شفافيَّته، وراح ينأى مُبتعداً عن كُلِّ همسة رُوحيَّة أو لمسة شاعريَّة للكون، والتصق - أكثر فأكثر - بأقسى جوانب الطّبيعة صلابة، وبأكثر قوى العقل البشريِّ بُعْداً عن المواهب الحدسيَّة النّافذة إلى صميم الأشياء. كان لتلك الرُّؤية نتائج فلسفيَّة وخيمة على الإنسانيَّة؛ لأنَّها جمَّدت عواطف الإنسان، وأغلقت منافذه الرُّوحيَّة بجُدُر صلبة، فأفقدتْهُ طابعه الإنسانيَّ الحقيقيَّ، فكان لذلك انعكاسات نَفْسيَّة سُلُوكيَّة، نما في إطارها الدّافع العُدواني المدفوع بمُيُول حُبِّ الذّات المُوجَّهة باقتصاديّات السُّوق، وحُبِّ الثّراء السّريع على حساب القيَم الرُّوحيَّة التي بدأت تتراجع مكانتها في نَفْسيَّة الإنسانيَّة، وحلَّت محلَّها قيَم اللّيبراليَّة، التي تفتقر إلى أيِّ أسلوب أو آليَّات لمُعالجة الانحراف الإنساني وإيقاف قَتْل الإنسان لأخيه. علم السّاي من العُلُوم الجديدة التي ظهرت حديثاً على السّاحة العلميَّة، والاسم الشّائع لهذا الحقل هُو الباراسيكُولُوجي، ويُسمِّيه بعضهم السّيكُوترُونيك، والقُوَّة الأساسيَّة التي يُفترض أنَّها تُسبِّب ظواهره تُسمَّى قُوَّة ساي Psi تظهر قُوَّة ساي بأشكال مُتعدِّدَة، ففي بعض الأحيان تتَّخذ شكل قُوَّة إدراكيَّة - تخاطر، جلاء بصريّ (استشفاف)، تنبُّؤ بالمُستقبل - وأحياناً؛ تتَّخذ شكل التّأثير على الأشياء المادّيَّة بكُلِّ أشكالها. والقُوَّة الإدراكيَّة لـ ساي هي نوع من الاتِّصال بين الأحياء على شكل تخاطر، أو بين الأحياء والبيئة على شكل استشفاف (جلاء بصريّ)، وقد يأتي التّخاطر والجلاء البصريُّ على شكل تنبُّؤ بالأحداث قبل وُقُوعها. يهدف الكتاب إلى إيضاح طبيعة الدّليل الذي يُقدِّمه الباراسيكُولُوجي لإثبات واقعيَّة ظواهر ساي، ويُؤكِّد - علميّاً وفلسفيّاً - أنْ ليس كُلُّ المُتنبِّئين موهُوبين حقيقة، بل يدخل ضمنهم المُشعوذُون والدَّجّالون والسَّحَرَة، علماً أنَّ السِّحْر لا يدخل في إطار القوى أو المَلَكات الباراسيكُولُوجيَّة، وأنَّ الباراسيكُولُوجي - كأيِّ علم آخر - انتزع نفسه من رُكام هائل من الظّواهر المُختلفة وأعمال السِّحْر والكَهَانة بفضل الطّريقة العلميَّة والتّحقُّق التّجريبيّ.

23) القَتْل من أسفار اليهود وبرُوتُوكُولات حُكماء صِهْيَوْن إلى فارس بلا جواد، مازن النّقيب، 2004

من نُقطة التّفريق بين أُمٍّ يهُوديَّة تحمل طفلاً يهُوديّاً بريئاً، رفض حافظ (مُحمَّد صُبحي) في مُسلسل فارس بلا جواد أنْ يُفجِّر مكاناً اجتمع فيه حاخامات اليهُود؛ لأنَّ فيه طفلاً بريئاً، من هذه النُّقطة وُلدت فكرة الكتاب، يشرح الكتاب - بشيء من التّفصيل - القَتْل، العُنْصُريَّة، سَلْب حُقُوق وأرواح غير اليهُود، من خلال الغوص في التّوراة، والتّلمُود، وبرُوتُوكُولات حُكماء صِهْيَوْن، فاليهُود

ـ وحدهم ـ بشر، والشُّعُوب الأُخرى حيوانات مُسخَّرة لخدمتهم، ولا يترتَّب أيُّ عقاب على يهُوديٍّ يقتل غير يهُوديٍّ، قَسَمُ اليهُوديِّ لغير اليهُوديِّ غير مُلزم، ألم يقل شارون يوماً: أُمنيتي احتلال القاهرة ودمشق، وأتنزَّه ـ عسكرياً ـ في لُبنان، الفلسطينيُّون من السّهل مُحاصرتهم وإبادتهم، إنَّهم في فمنا، أمَّا المصريُّون والسُّوريُّون فمازالوا خارج أيدينا، ويجب أنْ يكونوا في أيدينا أوَّلاً، ثُمَّ في فمنا ثانياً، بعدها؛ يُمكن أنْ نقول (إسرائيل) قد حقَّقت أمنها؟ يقولون: إنَّ الصّهاينة لديهم 24 برُوتُوكُولاً، نفَّذوا منها 19 برُوتُوكُولاً، انتهت بأحداث 11 أيلول في الولايات المُتَّحدة، كما يتعرَّض الكتاب إلى البرُوتُوكُولات ويشرحها ـ بشيء من الاختصار ـ ويُقارن بينها وبين مدى مُطابقتها لما قد تحقَّق منها خلال القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين.

24) نهاية التّاريخ في الفكر الإسلامي الحديث، علي سكيف، 2004

هل وصل سُكَّان الأرض إلى حضارة تفوق حضارتنا الحاليَّة؟ هل شهد كوكب الأرض حضارة مُتقدِّمة أكثر من حضارتنا الحاليَّة اندثرت نتيجة حرب كونيَّة؟ هل هُناك مخلوقات بشريَّة على كواكب أُخرى؟ هل صحيح أنَّ الكون يتمدَّد ويتوسَّع: وما هي نهاية هذا التّوسُّع؟! هل كان أصحاب الكهف في عصر الرُّومان؟ وهل كان الكهف على هذا الكوكب أم كان خارج الأرض؟! هل الخُلُود في الجنَّة والنار أبديٌّ؟ هل صحيح أنَّ يعقوب بن إسحاق هُو إسرائيل وذُرِّيَّته من بعده هُم بنو إسرائيل؟! هل هُناك علامات عن قُرب يوم القيامة لسُكَّان هذا الكوكب؟ هل نشأت المخلوقات البشريَّة على هذا الكوكب أم جاءت وافدة من كواكب أُخرى؟ هل عرف العالم قبلنا الاستنساخ بكافَّة أشكاله وأنواعه؟ هل كان نُوح يعيش في العصر الحجري؟ أم كان عالماً مُتخصِّصاً بعلم الاستنساخ؟ هل هُناك ـ فعلاً ـ جنٌّ وشياطين وأبالسة غير مرئيِّين؟ أم أنَّ هذَيْن المُصطلحَيْن يُعبِّران عن مُصطلحات توراتيَّة.

25) نَزْع فتيل الإرهاب الدَّولي إسلام السَّلام وأمان العالم، مُحمَّد مُنير إدلبي، 2004

من تاريخ الاضطهاد الدِّيني؛ دم المسيح، عذابات وآلام الشُّهداء المسيحيِّين، التَّعذيب عبر العُصُور، محاكم التَّفتيش، دم مُوسى، إرهاب أرباب الحضارة الحديثة، الهُنُود الحُمر، إفريقيا، ...، فرعون والمُسلمون، النَّبيّ سُليمان، المسيح وحواريُّوه، دعوة الإسلام إلى أُخوَّة عالميَّة حقَّة غير مشروطة بالدُّخُول فيه، لا إكراه في الدِّين، قَتْل المُرتدِّ جريمة حرَّمها الإسلام، الجهاد الحقُّ في الإسلام، البُرهان على عدم جواز فَرْض الشَّريعة الإسلاميَّة بالقُوَّة كقانون دولة، حقيقة فناء جهنَّم، خَلْق الله جميعهم يدخلون الجنَّة، الخلاص ليس حكْراً على المُسلمين، ما هي دولة الإسلام؟ الإرهاب المُوجَّه ضدَّ العَرَب والمُسلمين من أتباع مُحمَّد، من وقائع الإرهاب الإسرائيليِّ في وعي الوُجدان العالميِّ، بشارة التَّوراة(فلسطين للعَرَب) خطأ "إسرائيل" العقائدي القاتل، "إسرائيل" ذبيحة الله في فلسطين؛ هذا هُو وعد التَّوراة، الإرهاب الدَّوليُّ بين مُعضلة التَّعريف وواقع المُمارسة، فلسطين وسُؤال الدَّم.

26) مُؤامرة الصَّمت ختان الذُّكُور والإناث عند اليهُود والمسيحيِّيْن والمُسلمين الجَدَلُ الدِّينيُّ الطِّبِّيُّ الاجتماعيُّ القانونيُّ، د. سامي الذّيب، تقديم: د. نوال السّعداوي، 2003

تعريف الختان وأهميَّته ـ الجَدَل الدِّيني ـ الختان في الفكر الدِّينيِّ اليهُوديِّ ـ في الفكر الدِّينيِّ المسيحيِّ ـ في الفكر الدِّينيِّ الإسلاميِّ ـ الختان والجَدَل الطِّبِّيُّ ـ الآلام النّاتجة عن ختان الذُّكُور والإناث ـ الأضرار الصِّحِّيَّة لختان الجنسَيْن ـ المضارُّ الجنسيَّة لختان الجنسَيْن ـ الفوائد الصِّحِّيَّة المزعومة لختان الجنسَيْن ـ الختان والجَدَل الاجتماعيُّ ـ الختان والجَدَل القانونيُّ ـ مع الختان بين المُثُل والإمكانيَّات.

تقول الدُّكتورة نوال السّعداوي في تقديمها لهذا الكتاب: هذا الكتاب من الكُتُب الضّروريَّة للمكتبة العَرَبيَّة. لهذا؛ أودُّ أنْ يُنشَر في بلادنا العَرَبيَّة. وأنْ يكون في مُتناول الشُّبَّان والشَّابَّات والتّلاميذ والتّلميذات في المدارس والجامعات. إنَّه أحد الأسلحة في مجال الثّقافة العامَّة؛ حيثُ تُحرم الأغلبيَّة السّاحقة من الثّقافة الحقيقيَّة؛ حيثُ يفشل نظام التّعليم في تدريب الشُّبَّان والشَّابَّات على تشغيل عقُولهم. تُؤدِّي الهزيمة العقليَّة إلى هزيمة سياسيَّة وعسكريَّة واقتصاديَّة. إنَّ الثّقافة غير مُنفصلة عن السِّياسة أو الدِّين أو الحرب، والعقل هُو الذي يُوجِّه اليد التي تُمسك السّيف أو البُندقيَّة.

27) العراق أوّلاً حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشَّرق الأوسط عمليَّة (شيخينا)
جُو فيالز، تر: مروان سعد الدِّين، 2003

إنَّ فكرة سرقة المخزون النِّفطيِّ لشعب آخر ليست ابتكاراً إسرائيلياً، بل ربَّما تعود إلى عام 1941، عندما فرض رُوزفلت حظراً كاملاً على تزويد اليابان بالنِّفط خلال (الحرب على الإرهاب الأمريكيَّة الأُولى)، ويأتي هذا الكتاب ليفضح عمليَّة « شيخينا »

التي خطَّطت لها (إسرائيل) لتُسيطر على نفط العراق، وَسَعَتْ لتحقيقها، لولا الهجمات على مركز التِّجارة العالمي في أيلول 2001، وذلك بعد أنْ عقدت (إسرائيل) العزم على شنٍّ اعتداء مُباغت على جنوب العراق، لإحكام السَّيطرة على حُقُوله النِّفطيَّة الجنوبيَّة، ومن ثَمَّ استخدام خطٍّ أنابيب نقل النِّفط العَرَبيِّ الموجود سابقاً (التَّابلاين) لضخِّ النِّفط إلى مصافيها في حيفا، كما يُوضِّح الكاتب الأمريكيُّ بأنَّه من أجل تنفيذ هذا المُخطَّط سعت (إسرائيل) إلى التَّسلُّل إلى جنوب العراق وشمال السُّعُوديَّة، وكيف مَنَحَتْ بعض المُسلمين الشِّيعة - دُون أنْ يدروا بأنَّ (إسرائيل) وراء هذا التَّخطيط - ممراً مجَّانيّاً إلى بُلدان أُخرى، بعيداً عن عدوِّهم صدَّام حُسين، ويُبرز الأمريكي فيالز كيف تمَّ التَّخطيط لما سُمِّي بعمليَّة «حُرِّيَّة العراق»، وهي الجُزء الثَّاني من عمليَّة «شيخينا»، وكيف سيتمُّ قَطْعُ رأس صدَّام حُسين وتعيين جي غارنر الذي هُو عُضو في المعهد اليهُوديِّ لشُؤُون الأمن القوميِّ، ليكون حاكماً عسكريّاً للعراق، ثُمَّ سيأتي دور أحمد الشَّلبي كإداريٍّ مُؤقَّت للعراق، على أنْ يتمَّ - فيما بَعْدُ - إبدال الرَّئيس السُّوريِّ بشَّار الأسد بالأخ الأصغر لأحمد الشَّلبي، وإذا رفضت سُوريَّة هذا، فإنَّه سيجري تدميرها وإعادتها إلى العصر الحجريِّ، ولكنْ؛ لم تسر الأُمُور كما خُطِّط لها. . ، تفاصيل دقيقة ومُثيرة وسرِّيَّة يكشفها الكاتب الأمريكيُّ جُو فيالز في ثنايا هذا الكتاب المُدعَّم بالصُّور والخرائط اللاَّزمة.

28) الحُكْمُ بالسِّرِّ التَّاريخ السِّرِّيُّ بين الهيئة الثُّلاثيَّة والماسُونيَّة والأهرامات الكُبرى

مَنْ يحكم أمريكا والعالم سرّاً؟ جيم مارس، تر: مُحمَّد مُنير إدلبي، 2003

في هذا الكتاب المُذهل يقوم الكاتب الأمريكيُّ المشهور وكاتب صحيفة نيُو يُورك تايمز والمبيعات الحائزة على أفضل المبيعات جيم مارس باستكشاف وتمحُّص أكثر أسرار العالم خفاء. وذلك بكَشْفِ الأدمغة المُسيطرة المُختبئة، من خلال مُحاولة للوُصُول إلى جُذُور الحقيقة؛ حيثُ يقوم بإماطة اللِّثام عن البراهين بأنَّ أصحاب الأمر الحقيقيِّين ومُحرِّكي الأحداث في العالم هُم الذين يتمكَّنون - عادةً - من التَّسبُّب باندلاع الحُرُوب وإيقافها. كما يتحكَّمون بأسواق الأسهم الماليَّة ونسَب الفوائد على العُملات، كما يُحافظون على تفوُّقهم الفئويِّ، حتَّى إنَّهم يُسيطرون على الأخبار اليوميَّة. وهُم يقومون بذلك كُلِّه تحت رعاية وأنظار مجلس العلاقات الخارجيَّة الأمريكيِّ والهيئة الثُّلاثيَّة، والمُخابرات الألمانيَّة و الـ CIA، وحتَّى الفاتيكان. من خلال تقصِّيه للبراهين التَّاريخيَّة، ومن خلال بحثه المُحكَم، يقوم مارس - بعناية - بتقصِّي الألغاز التي تربط بين هذه المُؤامرات المُعاصرة لنا بالتَّاريخ القديم للبشريَّة. والنَّتيجة المُذهلة هي تحليل رائع لمُعطيات تاريخيَّة (كثير منها كان مخفياً عن جُمهُور النَّاس) وهي تُلقي ضوءاً على المُنظَّمات السِّرِّيَّة التي تحكم شُؤُون حياتنا. من الأشياء المُثيرة في الكتاب: ما هي مُنظَّمة الهيئة الثُّلاثيَّة السِّرِّيَّة. ما هي مُنظَّمة المعهد المَلكيِّ البريطانيِّ. ما هي مُنظَّمة الإليوميناتي. ما مُنظَّمة دير صهيَوْن. ما هي علاقة اليهُود وأساطين عائلاتهم المصرفيَّة الثَّريَّة بهذه المُنظَّمات. وما هي الماسُونيَّة، وما علاقتها بهذه المُنظَّمات. ومَنْ يحكم - فعْليّاً - أمريكا. ما هي مُنظَّمة مجلس العلاقات الخارجيَّة الأمريكيِّ. آل رُوكفلر. آل مُورغان. آل رُوتشيلد. أسرار المال ونظام الاحتياط الفيدراليِّ. المعهد المَلكيُّ للشُّؤُون الدَّوليَّة (المائدة) المُستديرة، رُوديس ورَسكين، ما هُو جبل الحديد، الخليج العَرَبيّ والحُرُوب للسَّيطرة عليه، حرب الخليج 1991، وأسبابها الحقيقيَّة. بُوش الجَدُّ ويُوش الأب ويُوش الابن والنِّفط. فيتنام. كينيدي وأسباب اغتياله، الحرب الكُوريَّة. النَّازيَّة. برُوتُوكُولات حُكماء صهيَوْن. هتْلر. اليابان. الحرب العالميَّة الثَّانية. الحرب العالميَّة الأُولى. الثَّورة الرُّوسيَّة. برُوز الشُّيُوعيَّة. الحرب بين الولايات الأمَريكيَّة. مُنظَّمة الفُرسان السِّرِّيَّة. الماسُونيَّة. الثَّورة الفرنسيَّة. اليعقُوبيُّون، الجيمسيُّون. فرانس بيكُون وأتلانتيس الجديدة. الثَّورة الأمريكيَّة. الإليُوميناتي (المُستنيرون). الماسُونيَّة ضدَّ المسيحيَّة. الرُّوزيكروشيُّون. فُرسان الهيكل المُقدَّس. الحشَّاشُون. مصرفيُّو وبُناة فُرسان الهيكل. الكاثاريُّون. الحرب الصَّليبيَّة. مُنظَّمة دير صهيَوْن. الميرُوفنجينيُّون. الطَّريق إلى رُوما. القَبَالاة. الغنُوسطيَّة. الإيسيُّون. الأسرار والألغاز القديمة. التَّناسُخ في العالم القَديم (زمن نُوح). أصل الإنسان. مُوسى. كُلُّ الطُّرُق تُؤدِّي إلى سُومر. الأناكيُّون. الطُّوفان والحُرُوب و. . و. هذا الكتاب (الحُكْم بالسِّرِّ) - بما فيه من طبيعة مُقلقة ومُثيرة وحافزة بشدَّة ومُجبرة على التَّفكير - يُقدِّم لنا رُؤية عالميَّة فريدة بإمكانها أنْ تُفسِّر لنا حقيقة عالمنا، وما هي أُصُولنا؟ وإلى أين نتَّجه؟. .

29) الماسُونيَّة والمُنظَّمات السِّرِّيَّة ماذا فَعَلَتْ؟ ومَنْ خدَمَتْ؟ عبد المجيد همُّو، ط1 2003، ط2 2004

الكَهَنُوت الأعلى في طيبة - القُوَّة الخفيَّة اليهُوديَّة - جماعة الآلهة ميترا وعبادتها - الغنُوصيَّة العرفانيَّة - الحشَّاشُون - النُّورانيُّون - البابيَّة - البهائيَّة - فُرسان الهيكل - الغاردُونا - جماعة الصَّليب الورديِّ - الفحَّامون - أحباب الملاك الحارس - الخصَّاؤن -

الماسُونيَّة: أصلها ـ نُشُوءها ـ تعريفها ـ من أين اسمها؟ ـ محافلها ـ وأسماء ماسُونيَّة عالميَّة وعَرَبيَّة ـ اليمين التي يُقسمها المُنتسب للماسُونيَّة ـ ما الامتحانات؟ وما الاختبارات التي يخضع لها؟ الماسُونيَّة والسّياسة ـ التّجنيد لصالح اليهُود ـ علاقة الماسُونيَّة بالقَبَّالة وبالتّلمُود ـ مُحاربة الأديان ـ التّوراة ولا شيء غيرها ـ مُحاربة الأُمم ـ كيف سقطت الإمبراطُوريَّة الرُّوسيَّة ـ كيف تفجَّرت الثّورة الفرنسيَّة ـ إعادة اليهُود إلى فلسطين ـ بناء الهيكل ـ الماسُونيَّة والتّنظيم ـ الماسُونيَّة الرّمزيَّة ـ كيف أُقيم أوّل محفل ـ محافل أُورُوبة ـ محافل أمريكا ـ محافل البلاد العَرَبيَّة ـ مشاهير الماسونيّين من الشّرق والغرب ـ اللُّوثريَّة ـ البيُوريتانيَّة ـ أحبَّاء صهيَوْن ـ شُهُود يَهْوَه ـ الرُّوتاريَّة ـ بَنَاي بْريت ـ الدُّونمة ـ الاتّحاد والتَّرقّي ـ العلْمانيَّة ـ الاشتراكيَّة العلميَّة ـ الاتّحاد اليهُوديّ العامّ ـ الرّيفُورم ـ بلُوتُو ـ أنوشيت ـ ترُويد رست. كتاب يجمع مُعظم المُنظّمات السِّرِّيَّة العالميَّة، ويشرح كيف يتمُّ الانتساب لهذه الجمعيَّات. كتاب يسدُّ فجوة في المكتبة العَرَبيَّة، ويُعرّي ويفضح اليهُود الذين كانوا السّبب الأهمّ وراء تأسيس مثل هذه المُنظّمات السِّرِّيَّة.

30) دراسات توراتيَّة، حنَّا حنَّا، 2003

يُميط الكاتبُ اللِّثامَ عن بعض القضايا الوَثَنيَّة السُّوريَّة القديمة، منها مازال راسخاً في سماويَّات اليوم، كالحيَّة والقُربان والصّليب، ومنها ما اندثر. . ، ثُمَّ يغوص الكاتب ليُعرِّي عُيُوب وفضائح شعب الله المُختار الذي تتبارك في نسله جميع الأُمم دُون استثناء. . وبعدها؛ يربط المُمارسات الصّهيَوْنيَّة من قَتْل وإبادة واحتقار الأغيار بآيات توراتيَّة، يعمل اليهُود على تحقيقها إلى الآن. . ، اليهُود وعبادة الأصنام (التّرافيم) ـ البُخُور ـ القُربان، الخصاء والرَّهبَنَة، الدّيْر، الجنس في التّوراة، طُقُوس جنسيَّة وعلاقات زواج، عشتار ربَّة الجنس، نشيد الإنشاد (نجوى حُبٍّ في هيكل الرَّبّ)، القمر وعباداته، الثّالُوث المُقدّس، الصّليب، القرن، الثّور المُجنّح (الكيروب). . ، الإله رامون، جنَّة عَدن، أساطير التّكوين، الطُّوفان، قايين وهابيل، الشّيطان، صفات إله العبرانيّين، الأسفار السَّاقطة، المسيح والعذراء، بعض الأخطاء الواردة في التّوراة، أخطاء نَسَب المسيح، بابل وسُقُوطها، وغيرها من الموضوعات التي تدحض وتُفنّد وتُعرّي كتاباً اسمه التّوارة.

31) الحقيقة بين النُّبُوءة والسّياسة التّوراة الأناجيل نُوستراداموُس القُرآن الكريم، مُحمَّد نضال الحافظ، 2003

هل كان انهيار بُرجَيْ مركز التّجارة العالمي نُبُوءة؟ ما مصير مَنْ دعا إلى ضرب مكَّة المُكرَّمة بقُنبلة نوويَّة؟ ما هي العلاقة بين العراق الآن وبابل زمن نبُوخذ نصَّر؟ ما قصَّة النُّبوءات في آخر الزّمان؟ ما هي تلك النُّبوءات الإنجيليَّة والتّوراتيَّة والقُرآنيَّة؟ وما علاقتها بالسّياسة العالميَّة؟ ماذا يفعل اليهُود والمسيحيُّون والمُسلمون تجاه نُبُوءاتهم؟ كيف تبدو نهاية اليهُود و(إسرائيل) من خلال التّوراة والتّلمُود والأناجيل ونُوستراداموُس والقُرآن الكريم؟ العراق وبابل واليهُود ونُوستراداموُس، هل نسي اليهُود كيف أسرهم نبُوخذ نصَّر وسباهم إلى بابل؟ هل يُحاول اليهُود (أمريكا ـ بريطانيا) الانتقام من العراق؟ هل من المُمكن أنْ تكون هُناك ضربة نوويَّة للعراق؟ المسيحيَّة الصّهيَوْنيَّة ـ نشأتها ومشاهيرها، برُوتُوكُولات حُكماء صهيَوْن، السّياسيُّون الأمريكيُّون ونُبُوءات التّوراة والأناجيل ونُوستراداموُس، معركة هرمجدون والحرب العالميَّة النَوويَّة الثّالثَة، المُؤامرات اليهُوديَّة الأمريكيَّة، فلسطين واليهُود والتّوراة والتّلمُود ونُوستراداموُس، هل بدأ يوم القيامة؟! لنتعرَّف الحقيقة المُذهلة من خلال كتاب الحقيقة بين النُّبوءة والسّياسة.

32) الفقه السِّياسيُّ الإسلاميُّ، د. خالد الفهداوي، 2003

في هذا الزّمن وفي هذا الوقت بالذّات غدت الحاجة مُلحَّة جداً جداً من أجل وضع قواعد لتأسيس فقه سياسيٍّ إسلاميٍّ، بعد أنْ أُشبع الفقه العادي إنْ صحَّ التّعبير؛ أيْ فقه المُعاملات وفقه العبادات، تأسيساً ومنهجيَّة. يتناول الباحث ـ تاريخيّاً ـ السّياسة الإسلاميَّة مُنذُ عُمَر بن الخطَّاب، مُرُوراً بأبي حنيفة وابن خلدون والشّاطبي وابن تيميَّة والماوردي والغزالي، وصُولاً إلى المدرسة التّجديديَّة المُعاصرة. ويُعلّل لماذا الحاجة إلى قواعد فقه سياسيٍّ إسلاميٍّ. ثُمَّ يُوضّح ما هي أسباب تعطيل الفقه السّياسيّ الإسلاميّ ومظاهره. ويُعرّج على العلمانيَّة والاستشراق والخلافة والمُلك وإلى دَور الجامعات الإسلاميَّة في إغناء الفقه السّياسيّ. كما يرتدُّ الباحث إلى بحث فقه السّياسة عند الأنبياء نُوح وإبراهيم ومُوسى وعيسى، ويبحث في نحو قواعد مُؤصّلة للتّفسير السّياسيّ للقُرآن الكريم. ومن ثَمَّ يصل إلى فقه هذه المرحلة التي نعيشها؛ أيْ قواعد الحرب والسّلام. ويبحث في مُصطلحات عديدة مثل: الجهاد ـ القتال ـ السّلام ـ الحرب ـ وكيفيَّة ضبط كُلٍّ من هذه المُصطلحات في القُرآن والسُّنَّة. كما يتطرّق ـ بشيء من التّفصيل ـ إلى قواعد السّلام والحرب في مرحلة الاستضعاف (مثال السّلام مع الكيان الصّهيَوْني بين الشّرع